يقظة ـ حرارة ـ هدف واضح ـ تدقيق ـ عمل

{١}

مار إسحق السرياني

الميمر التاسع عشر

📖 ١ـ كل طبيعة عاقلة تـهيأت لقبول التعليم الإلهي، قد تأسست في تركيبها الخاص، من قِبل حكمة الخالق العظيم، من ثلاثة أجزاء رئيسية، هي: {١} الرغبة {٢} والغيرة {٣} والعقل ـ والآن من الضروري أن نعرف ما هي الأشياء التي أُعدت كل منها لقبولها.

📖 ٢ـ الجزء الأول:

📖 وهو جزء الرغبة: يختص بالاشتياق، واشتهاء كل ما هو فاضل

وجميل، من الأمور التي تُعلِّم العقل الناطق، وتوجهه نحو الشرائع الإلهية، الاتضاع، واللطف، وتحقير الذات، والرأفة العظيمة، وما إلى ذلك. فهذه هي الأمور التي تهيأنا لنكون قادرين على قبولها، بواسطة الجزء الأول {الرغبة} عندما نتحرك به.

📖 وهذا الجزء {الرغبة} من خاصيات النفس، حين يسود فيها، تظهر بعدئذ هذه الأمور في الطبيعة الناطقة.

📖 **٣- والجزء الثاني:**

📖 أي جزء الغيرة، يختص باليقظة، والاجتهاد.

📖 مع الوقوف بشجاعة ومثابرة مقابل المحن، وكافة أنواع البلايا، التي قد تعرض للإنسان ويحتملها من أجل الأمور الإلهية.

📖 وكذلك الاستعداد، والإقدام، وثبات القلب، والجَلَد مقابل كل ما يتسبب في المضرة، والفزع، سواء كان من الشياطين، أو من الناس، أو من الزحافات والوحوش، أو من الجوع، أو التعب، أو العوز، أو الأمراض، وما أشبه ذلك مما يمكن أن يعرض من أمور مضادة لطبيعتنا البشرية، من أجل اسم الله، بل وحتى الموت نفسه.

📖 **٤- والجزء الثالث:**

📖 أي جزء العقل، ويختص بالإيمان القلبي المستنير، وضبط الانفعالات، والرجاء، والاستغراق الدائم في الحكمة الإلهية.

📖 **٥- الجزءان الأول والثاني:** يُدعيان معاً بالجزء الفعال من النفس.

📖 بينما يدعى الجزء الثالث بالتاؤريا الإلهية، أعني: "الاستعمال الفاضل للجزء الذي وُهب الفطنة، أي العقل"

📖 ٦- وعندما نُظهر الصبر في ذلك الجزء الفعال {الرغبة والغيرة}، فهذا يعني التركيز الدائم على نوع الفضيلة، التي يمكن إدراكها

بواسطة الجسد.

📖 أما جزء التاؤريا {أو التأمل} الذي هو خاصية الفطنة، فيقرِّب الذهن من الشركة الكاملة مع الله، ويجعله يحدق في أسراره الإلهية، التي توجد في حالة مضيئة أعلى من العالم.

📖 ٧– عندما تسير الأمور بحسب الطبيعة، حينئذ فذلك السبيل غالباً ما يرافق مسيرة كل من التلاميذ والمعلمين {المرشدين}.

📖 أما إذا أردنا أن ننكر الطبيعة نفسها، فإنها من المحتمل أن تتجاوز الحد في الاتجاه نحو كل ما هو ضد ذلك، وتهيئ نشاط قدراتها الكامنة في الجسد للأفعال المضادة، إذ تُحرك جزء الفطنة والذكاء إلى اكتشاف كل أنواع أفكار الشر.

📖 ٨– والطريق القويم الذي يخص الطبيعة، تصحبه عناية إلهية في صورة أحداث نافعة، وتعزيات، وأفراح إلهية بلا انقطاع.

📖 بينما الطريق الآخر، أي الخطأ، تصحبه التأديبات في صورة مصادمات دائمة، مع بلايا تخلو من الرجاء، وتخلية في كل أنواع المخاطر والتجارب، التي تقود إلى الإحساس بالتقويم.

📖 ٩– وحينما نرغب في الأعمال المتعبة، ونفرز أنفسنا لكي نداوم عليها من أجل مخافة الله، فإننا بمعونة الله سوف ندرك أفراح الذهن على الدوام. أما إذا كنا – بسبب رخاوة الجسد – نهرب منها كالطفل الذي يهرب من المدرسة راغباً في البطالة، فبالضرورة تردّنا الرحمة الإلهية ضد إرادتنا إلى تلك الأتعاب.

📖 إن انحراف الطبيعة الناطقة يحزن جداً «أبا الأرواح» {عب١٢:٩}، أكثر بكثير مما يُحزن انحراف الأبناء آباءهم بالجسد.

📖 ١٠– وإذا لم تكن هناك أية وسيلة على الإطلاق للهروب من

الأعمال المجهدة والشاقة، فعلينا أن نتقبلها باختيارنا، مثل الحكماء الذين يحترمون أنفسهم، لكي نصير أهلاً للكرامة والمسرة، ولا يحتاج الأمر أن نُحمل إليها بالجَلْد والقيود.

📖 ١١– أما إذا عجزنا عن أن نقبلها باختيارنا، فعلينا أن نحتملها بشكرٍ، حتى تلك الشدة التي تأتي من الشيطان، لأنه حتى في تلك الحالة ستؤول إلى نتيجة جيدة. فما أعجب تحنن الله!

📖 من يستطيع أن يقيس عمق بحر نعمته؟

ميامر مار إسحق - الجزء الخامس - الميمر التاسع عشر - صفحة ١٢٥ - ١٢٦

📖 ضع هذا في قلبك يا أخي، واذكرني في وقتها، ان كل منزل تصل إليه، في طريق الفضيلة، ومعرفة الحق، تجده أفضل، وأعظم من الذي تركته بالأمس وانتقلت منه وكنت قد تعجبت من كثرة بهائه، وحُسنه، لان مجد منزل الأمس، يُبتلع بحسن المنزل، الذي تدخله اليوم. مَن هو الذي أحسَّ بغيارات، الفكر اللذيذة؟! صلِّ لكي ينفتح أمامك الباب، واحذر من قطع الرجاء.

📖 الأعمال الجسدانية، تتقدم الفِلاحة النفسانية، كتقدم التراب على النفس المنفوخة في آدم، والذي ليس له أعمال جسدانية، لا يقدر ان يقتني العمل النفساني، لان الثاني يتولد من الأول، كما تتولد السنبلة من الحبَّة المجردة. ومَن ليس له العمل النفساني، قد عَدِمَ المواهب الروحانية ... هكذا الفرح يتبع الأتعاب، والأعمال من أجل الله.

📖 والخبز الذي من العرق يلذُّ للفلاح، وهكذا الأعمال التي من أجل البر تبهج القلب، الذي قد قَبِل معرفة المسيح.

📖 لا تكسل من الأعمال، حتى لا تخزى إذا ما مثلت وسط رفقائك.

📖 لا تكن بغير زاد، لئلا يتركك خلانك وحدك وسط الطريق ويمضوا.

📖 اصنع عملك بمعرفة وتمييز، لئلا تتعطل وتتخلف عن سيرك كله.

📖 اقتنِ حرية في تدبيرك، لتنعتق من الخباط {أي القلق}.
📖 اعلم يا أخي، إنه ليس لكثرة الأعمال يعطى الله الأجر، بل لشوق الإرادة والبشاشة المفرزة، كمثل الصبيان الذين يسرعون إلى الطاعة، واتضاعهم هو فخر أنفسهم.

📖 لا تصدِّق يا أخي أنه بدون الأعمال ينعتق الإنسان من الآلام، أو يشرق له نور النعمة. لقد رأينا أن كثرة المواهب لا يعطيها الله إلا لأناس عماليين. فبالأعمال تعرَّى آباؤنا القديسون القدماء من الإنسان العتيق. ولا تظن أن النسك عن الأطعمة فقط هو العمل، أو أن القيام في الخدمة يُبلِّغ الإنسان إلى النقاوة، بل الصبر عن مفاوضة الناس، والجثو دائماً قدام الصليب، ومشاركة هذه مع تلك حسب قوتك.

📖 احتراس الجسد وإفراز الأفكار يقني الفكر عفة نقية، وحفظ الحواس وترتيب الأعضاء حسناً يولِّد حياءً واستحياء الأفكار، وضميراً نقياً من غير جهاد، أما عدم الاحتراس والقرب من الناس والأمور فقد ولَّد للشيوخ العمّالين الأعفّاء أفكارَ الشبان وأقامهم في قتال الصبوة {أي الشهوة}، كما أن الطياشة وعدم الانقباض تصوِّب {أو تسهِّل} للإنسان سقوطاً على الدوام، وإن لم ينهمك في الشيء لعدم توفر سبب السقطة فهي {أي الطياشة} تُفنيه عقلاً مضطرباً كل وقت، وتُبعد عنه هدوء القلب وسكونه.

📖 اليقظة الداخلية هي، نوم للأشياء المرئية.
📖 لا يمكن أن نغلب الأفكار الردية التي تتحرك – بالتنازل معها {بفعلها} – في الجسم ... لأنه لا يمكننا أن نهتم بالأشياء المحسوسة ونقدر مع ذلك أن نبطل الآلام ونقوِّم نفوسنا.
📖 إن التاجر إذا أنهى عمله، فهو يجتهد أن يمضي إلى منزله، والراهب بمقدار ما يعوزه من زمان لتكميل عمله، هكذا يحزن ويقلق

عند تفكيره بالرحيل من الجسد، ولكنه إذا أحسَّ في نفسه أنه قد افتدى وقته وأخذ العربون، فعندئذ يشتاق إلى العالم الجديد.

📖 إن التاجر ما دام في البحر فالخوف متملك في أعضائه لئلا تتعالى عليه الأمواج فيغرق ويخيب أمله من عمله، والراهب ما دام في بحر هذا العالم فالخوف مُستولٍ على سيرته لئلا تفاجئه عاصفة وتصيبه أذية فيهلك عمله الذي تعب فيه منذ شبابه حتى شيخوخته، فالتاجر عينه إلى البَرِّ، والراهب يرمق ساعة الموت.

📖 الهواء يسمِّن {يُنضج} الثمار والاهتمام بأمور الله يسمِّن أثمار النفس.

📖 ٥٢ـ تاؤرية الطبائع الروحانية واحدة هي في المعرفة.

📖 وبالحرارة {الروحية} يرتفع وينحط الناس. وبالحرارة وبتاؤرية المعرفة يُفرزون، ولهذا فهم يُفرزون أيضاً بتدابيرهم.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الرابع - رؤوس المعرفة - الميمر الرابع - صفحة ١٤٦

📖 ٥٨ـ ويلٌ للإنسان الذي لا يكون حاراً في تدبيره، كما كان الرسل المباركون الذين تعرَّضوا للاستهزاء بهم من الناس، لأنهم استحقوا الخمر الجديدة وصاروا سكارى.

📖 ولكنه مباركٌ ضِعفين هو الإنسان الذي بعد الحرارة الأولى، يُحسب مستحقاً للحرارة الثانية، الذي ينال سلاماً وهدوءاً، والذي يعطي الثمار التي ذكرها بولس الطوباوي.

📖 ٥٩ـ تماماً كما أنه لا فائدة من أن يكون الإنسان غنياً بالأتعاب الجسدانية، في حين أن عقله قد انعمي عن إدراك كلمة النور.

📖 هكذا وبنفس الطريقة يكون الإنسان الذي يحوم عقله حول أفكار الأوهام، وتخيلات الذهن، والتصورات غير المادية، بينما هو خالٍ من أعمال التوبة. لذلك قد أوصى ربنا أننا بالتساوي نعطي «ما لقيصر لقيصر وما لله لله»

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر السادس ـ صفحة ٢٠٧ ـ ٢٠٨

📖 ١٥ـ الحكم الخاطئ على أهمية الممارسات الرهبانية:

📖 إن الاهتمام بهذه الأمور وما أشبهها، يا أخي، ليس هو لأن الله يغصبنا أن نعتني بممارستها.

📖 بعض الناس الذين يظنون أنهم حكماء ـ مع أنهم لا يدركون السبب في حفظنا هذه الأمور، ويحكمون على كل شيء حسب ظواهره فقط ـ يزدرون بالإخوة الأعفاء بسبب هذه الممارسات، ويقولون لهم: "أحقاً سوف يطرحكم الله في جهنم بسبب إهمالكم هذه الأمور"؟

📖 أو "هل هي سترفعكم فعلاً إلى السماء إذا حافظتم عليها"؟

📖 كما ويعتبرون الذين يتمسَّكون بها "أميين" و"مرائين".

📖 أمَّا نحن الذين نعرف ما يتولَّد في نفوسنا نتيجة لحفظها، فعلينا أن نعتني بتتميمها بفرح، ولأننا ندرك المنفعة التي تحصل لنا من ذلك، فلتكن مسرتنا في مراعاة تكميل أعمالنا من أجل الله بكل اهتمام.

📖 وفي جميع الأعمال التي نعملها من أجل اسمه القدوس ليتنا ننتظر مترجين الخيرات التي تأتينا من عنده، حتى في هذا العالم الحاضر.

ميامر مار إسحق ـ الجزء الخامس ـ الميمر الأول ـ صفحة ١٨

📖 [٢٤] اليقظة التي تُقتَنَى في التأمل، تُحرِّر العقل من أي رأي ساذج عن الله، ولكنها تؤكِّد له الفرح الذي يوجد في الاعتقاد الواثق الثابت.

ميامر مار إسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الأولي ـ صفحة ٦٤٣

📖 [١٥] الخوف الذي يُولَد في الإنسان، في الوقت الذي تكون فيه سفينته تبحر بِهدوء، مع نسيم الفرح، والأفهام التي تنبع في قلبه – ذلك الخوف الذي يكون مصدره نعمة الله، هذا لأن ذلك الإنسان هو بلا شك، في خوفٍ من الضلالة – ينشئ في قلبه حزناً في الله، لكنه في الحقيقة يكون لتقوية نفسه.

ومن هذا الحزن تتولَّد فيه صلوات نقية متخشِّعة، مُحَمَّلة في الوقت نفسه بالفرح والحزن معاً، أي بالرجاء والخوف.

لأنه يقول في نفسه: "ربَّما أسير خارجاً عن الطريق، أو ربَّما أضلّ فجأةً بعيداً عن الله في أحد دروب الضلالة". وهكذا يقتني ذلك الإنسان فكراً متضعاً جداً، لأن ذلك الخوف يَحفظ قلبه، حتى لا يرتفع بسبب أي صلاح يقتنيه.

ميامر مار إسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الثانية ـ صفحة ٦٥٧

عندما تداهم الظالم تجربة، يفقد ثقته بالله. فلا يتضرع إليه، ولا يتوقع منه الخلاص، لأنه في أيام الراحة كان بعيداً عنه.

قبل أن تبدأ الحرب استعن بالحلفاء ــ وقبل أن تقع في المرض، أطلب الطبيب ـ قبل أن تداهمك الشدائد صل إلى الله، تجده وقت الحزن، ويستجيب لك ـ قبل أن تنزلق توسل إليه، وتضرع ــ وقبل أن تبدأ الصلاة هيئ الوعود، أي غنائم الصلاة.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الخامسة ـ صفحة ٣٧



سفينة نوح صنعت وقت السلام، لكن أخشابها زرعت قبل مئة سنة.

غضب الرب هلاك للظالمين، أما الأبرار فستر لهم.

فم الظالم يقفل بالصلاة، لأن توبيخ ضميره يفقده الدالة على الله.

القلب الصالح يفيض بدموع الفرح أثناء الصلاة.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الخامسة ـ صفحة ٣٨



حزن الذهن {في العمل الروحي} يفوق تعب الجسد.

وإذا داهمك التهاون فاستيقظ، وحرك غيرتك قليلاً، لأن الغيرة توقظ القلب إلى حد كبير، وتمنح معاني الأفكار حرارة.

فالغضب {على النفس} أثناء الكسل، يقوي الطبيعة ضد الشهوة الجسدية، ويزيل الفتور من النفس.

إن الكسل يحاربنا عيادة لسببين: "ثقل البطن، أو كثرة الأشغال".

📖 إن سير الأعمال بانتظام هو نور للعقل، ولا شيء يضاهي المعرفة.
كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الرابعة والثلاثون ـ صفحة ١٣٢

{٢}
القديس أنبا دوروثاؤس

📖 ليكن اهتمامنا بأنفسنا يا إخوة. لنكن يقظين. من يعيد لنا تلك اللحظة إن أضعناها؟ يمكننا أن نجري وراء الأيام الضائعة لكن عبثاً ودونما جدوى. كان الأب أرساني يقول: "أرسانيوس! لماذا خرجت من العالم؟" ونحن مهملون إلى حد أننا لم نعد نعلم لماذا خرجنا، ولم نعد نعلم ما كنا نبغي من خروجنا، لأجل هذا نحن لا نتقدم، ونجد أنفسنا حزانى على الدوام.

📖 إن نحن أردنا حقاً أن يكون جهادنا قصيراً، فلماذا نتعب ونتألم كثيراً، لأنه إن كان علينا ان نقسو على أنفستا في البداية، إلا أننا ونحن في الجهاد ننمو شيئاً فشيئاً، إلى أن ننتهي إلى العمل ونحن في سلام، والله إذ يرانا نضغط على أنفستا، يمد لنا يد العون.

📖 لنقسُ إذا على أنفستا، ولنبدأ بالعمل بإرادة طيّبة على الأقل. وان لم نصل بعد إلى الكمال، لكن مجرد التوق إليه هو بداية الخلاص. لأنه من الإرادة نبدأ بعون الله في الجهاد، وإذ نجاهد نجد عوناً من أجل اكتساب الفضائل. هذا ما جعل أحد الآباء يقول: "أعطِ دماً وخذ روحاً" أي جاهد تكتسب الفضيلة.

📖 إن كان أحد يرغب في اكتساب فضيلة ما ينبغي له ان يكون بلا مبالاة أو تشتّت. مَن يريد إتقان فن النجارة لا يهتم بسواها. هكذا الحال مع الراغبينِ في إتقان الفن الروحي، عليهم ألا يهتموا بشيء سواه، بل يجتهدوا ليلاً ونهاراً في دراسته وكيفية امتلاكه.

إننا بدون يقظة وجهاد، نسقط بسهولة خارج بيت الفضائل.

ما أعني هو التالي: لا يوجد الشر بحدّ ذاته. لا جوهر له ولا خواص. حاشا! لكن النفس التي تحيد عن الفضيلة، وتميل إلى الأهواء، هي التي تخلق الشرّ. وبعدها تهلك به كونها لا تجد راحة فيه. مثلها مثل الخشب الذي لا دود فيه أصلاً، لكن ان أخذ يهترئ، يتولّد الدود من الاهتراء نفسه.

وهذا الدود هو الذي يأكل الخشب، كذلك النحاس يعطي الصدأ، والصدأ نفسه هو الذي يأكل النحاس، كما ان اللباس، يولّد العث الذي بدوره يأكل اللباس، هكذا فان النفس تصنع الشر دون ان يكون له وجود سابق، ولا خواص كما ذكرت، والشرّ بدوره هو الذي يهلك النفس، لقد صدق القديس غريغوريوس بقوله: "النار الناتجة عن المادة تستهلك هذه المادة، كما يفعل الشر بالأشرار".

الشر هو مرض النفس التي فقدت سلامتها الطبيعية أي الفضيلة.

لذلك نقول ان الفضائل طريق وسط. مثل الشجاعة هي الحدّ الوسط بين الجبن والتهوّر، التواضع بين العجرفة والعبودية أو التخاذل، الحشمة بين الحياء والسفاهة.

كلنا نشبه مسافرين يقصدون المدينة المقدّسة ... وهناك من وصل إلى المدينة. ولم يدخلها بل بقي خارجها.

هذا ما نحن عليه: هناك من كان يهدف إلى اكتساب الفضائل عندما غادر العالم ليدخل الدير. من هؤلاء مَن تقدم قليلاً ثم توقف، منهم من تقدم نصف الطريق لكنه بقي حيث وصل، وهناك من لا يفعل شيئاً. تراءى له انه ترك العالم، لكنه بقي في أمور العالم في الأهواء وفي رائحتها الكريهة.

البعض يحققون القليل من الخير ثم يهدمونه، أو حتى يهدمون أكثر مما فعلوا. غيرهم اكتسب بعض الفضائل لكنهم يتكبرون على

القريب ويزدرونه، أي إنهم بقوا خارج المدينة المقدّسة، ولم يدخلوها.

{٣}

الأنبا إشعياء الإسقيطي

📖 لتكون أمام الله دائماً مثل بَهيم هادئ جداً، لا يحارب بل يخضع دائماً لسيده، مائتاً عن الأوجاع البشرية، وعن كل شهوة، وكمن ليست له مشيئة أو رغبة خاصة، واجعل مسرتك دائماً في الاشتغال بعمل الله، ولا تظن أنك حر، أو أنك قادر أن تعمل شيئاً من ذاتك، بل صر عبداً لله خاضعاً لمشيئته.

العلاقات بين الرهبان

📖 **قال لي أنبا آمون:**

📖 قلت لشيخ هو الأنبا بيمن: إذا مضيت إلى قلاية أحد الإخوة، أو دعته الضرورة أن يأتي عندي، نخاف أن نتكلم الواحد مع الآخر لئلا تتولد بيننا محادثة غريبة.

📖 **أجاب الشيخ:** تعملون حسناً، لأن الشاب تلزمه اليقظة

📖 فقلت له أيضاً: "كيف يتحادث الشيوخ؟

📖 أجابني الشيخ قائلاً: "إن الشيوخ تخطوا حدود اليقظة والانتباه، يَزد على ذلك أنه لا يوجد عندهم شيء غريب ليقولونه"

📖 وقلت له أيضاً: "إن دعت الضرورة إلى التحدث مع أحد الإخوة، هل أتحدث إليه من الأسفار الإلهية أم أقوال الشيوخ؟".

📖 فقال لي الشيخ: "إذا لم تستطع أن تمضي في صمت، فمن الأفضل لك أن تتحدث بأقوال الشيوخ أكثر من الأسفار الإلهية، لأن التحدث

من الأسفار الإلهية لا يخلوا من خطر" كان ذا يقظة عظيمة في كل شيء، وكان يقول: أنه بغير يقظة لا يقدر أحد أن ينمو في أية فضيلة.

سأل مرة أحد الإخوة الأنبا أغاثون:

أيهما أعظم الأتعاب الجسدية أم اليقظة؟

فأجابه بِهذه الكلمات: "إن الإنسان يشبه شجرة والأتعاب الجسدية هي الأوراق، واليقظة هي الثمرة، فإذا لم يكن للمجاهد يقظة، فهو يشبه شجرة التين التي تُرى عن بعد كثيرة الأوراق، أما إذا اقتربت منها ولم تجد بِها ثمرة فإنك تدعها عقيمة يابسة، ثم إذا كان ثمر الشجرة بعد صغيراً وليس عليها ورق كاف، فالهواء يجفف الثمر، لأن الورق هو الذي يحمي الثمر"

الذي يهتم {له هم بإلهه} بمعرفة هي تقطع عنه الآلام، لأنه مكتوب أن الاهتمام يأتي على رجل حكيم، والذي قد مرض هو الذي يعرف الصحة، والذي يأخذ الإكليل هو الذي يتوج، لأجل أنه غلب أعداء الملك. لا تربط نفسك بتدبير ما، وفكرك ساكت فيك.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٧٢



{٤}
الشيخ الروحاني

من احتقر التلهي رأي سيده داخل قلبه.



{٥}
القديس يوحنا الدرجي

📖 يوجد إناس {ولست اعرف السبب لأني لم اعتد أن أتطاول، وافحص مواهب الله} يجنحون بطبعهم إذا جاز القول، إلى الاعتدال، أو الطهارة، أو الهدوء، أو الاحتشام، أو الوداعة، أو التخشع، ويوجد أخرون تعاندهم طبيعتهم عينها، في اقتناء هذه المناقب، فيغصبون ذواتهم على ممارستها قدر طاقتهم، ورغم أنهم يشلون أحيانا، فاني اجلهم أكثر من الأولين، لأنهم يقتسرون طبيعتهم.

{٦}

كتاب فردوس الآباء

📖 **وقال أيضاً الأنبا أنطونيوس:**

📖 ليس الناسك هو من ينتصر في شيءٍ واحدٍ، وليس المختار هو من يضبط نفسه في شيءٍ واحدٍ فقط من الأمور المتعارضة مع الفضيلة، لأنه لو كان النسك هو قمة الفضيلة فتوجد كثير من الشرور تقاوم الفضيلة، ولكن يجب على من يريد أن يخلص أن يسهر على نفسه في كل شيء بسبب أعدائه، ويتضرّع إلى صلاح الله لكي يخلِّصه.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٨٤

📖 **قال أنبا إسحق:**

📖 رأيتُ إخوةً يحصدون في حقلٍ، وكنتُ أعرف أخًا منهم، وأراد هذا الأخ أن يأكل سنبلة قمح عندما كان يحصد، فقال لصاحب الحقل: أتسمح لي أن آكل سنبلة قمح؟ فتعجّب الرجل من ذلك وقال له: أيها الأب، إنّ الحقل كله بين يديك فلماذا تستأذنني في ذلك؟ إلى هذا الحدّ كان هذا الأخ مدقِّقًا.

القديس إسحق قس القلالي - كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٢٥٠

📖 جاء إلى أنبا أمونيوس مرةً بعض الناس ليتقاضوا عنده، وكان

القديس دائمًا يعتبر نفسه جاهلاً.
📖 فلاحظته امرأة وقالت عنه: هذا الشيخ موسوس.
📖 فلما سمعها قال: هل تعلمين كم عانيتُ أنا من التعب في البرية حتى اقتنيتُ هذا الوسواس؟ قالت: لا.
📖 فقال لها: خمسين سنة تعبتُ لأجله، فهل لأجلكِ أفقده هذه الساعة؟
📖 ثم تركها في القلاية وترك الأسقفية ومضى!
كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٢٥٤

📖 في أحد الأيام ذهب أبّا أموناس ليعبر النهر، فوجد مركب المعدِّيّة جاهزةً فدخل فيها وجلس. ثم جاءت مركب أخرى ونقلت الناس الذين في المركب الأولى إليها
📖 فقالوا له: تعالَ أيها الأب واعبر النهر معنا.
📖 ولكنه أجاب: لن أعبر إلاّ في المركب العمومية. وإذ كان معه ملء قبضة يده من الخوص جلس يضفره ثم يفكّه حتى جاءت المركب إلى جانب الأخرى وحينئذٍ عبر.
📖 فانحنى له الإخوة قائلين: لماذا فعلتَ ذلك؟
📖 فقال لهم الشيخ: حتى أسير بدون اضطرابٍ في روحي.
📖 هذه القصة مثالٌ وقدوةٌ لنا، فنحن ينبغي أن تكون مسيرتنا في طريق الله في سلامٍ وهدوء {أي بدون استعجال}.
📖 جاء أبّا أموناس مرةً إلى الإخوة، فاستسمحوه قائلين:" قُل لنا كلمة". فقال لهم الشيخ:" إنه يجب علينا أن نسير في طريق الله بهدوء".
كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٢٥٥ - ٢٥٦

📖 **سأل أخٌ أبّا أمونيوس:**
📖 كيف ينبغي أن يسلك الإنسان عندما يريد أن يبدأ عملاً أو عندما يريد أن يذهب أو يأتي، أو يذهب من مكانٍ إلى أخر، حتى يكون سلوكه حسب مشيئة الله ويكون بمنأى من خداع الشياطين؟
📖 فقال له الشيخ: ينبغي عليه أولاً أن ينظر بعقله، ويرى هدف ما

يريد أن يعمله، وما الدافع إليه، وهل هذا من الله أم من الشيطان أم من الإنسان نفسه، ثم يفعل ما يراه.

📖 ولكن فليهرب من الذهاب والمجيء، ومن الذهاب من موضعٍ لآخر، وإذا لم يفعل ذلك سيصير في النهاية أضحوكةً للشياطين. ولكنه بعد ذلك فليُصلِّ متوسلاً إلى الله أن يجعل عمله هو عمل الله، ثم فليبدأ العمل وبعد ذلك.

📖 **وقال أيضاً:**

📖 تعامل مع كل إنسان بنفس الطريقة التي يتعامل بها الله أيضاً معك.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٢٥٦

📖 **قيل عن أنبا بامو:**

📖 إنه كان أُمِّيًّا، فطلب من أحد المعلِّمين أن يعلِّمه المزامير، فبدأ يعلِّمه لكي يحفظ المزمور ٣٩. ولما حفظ الآية الأولى القائلة: «قلتُ أتحفّظ لسبيلي من الخطأ بلساني»، لم ينتظر حتى يسمع الآية التالية وقال:" تكفيني هذه الآية حتى أنفِّذها عمليًا.

📖 ولما رأى معلِّم أنبا بامو أنّ تلميذه لم يحضر إليه لمدة ستة أشهر، وبَّخه على ذلك، فقال إنه لم يتعلّم بعد أن يُمارس تلك الآية.

📖 وبعد وقتٍ طويلٍ سأله أحد أحبائه، إن كان قد أحكم تنفيذ هذه الآية فأجاب: إنني بالكاد نجحتُ في تنفيذها بعد تسع عشرة سنة!

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٢٤

📖 **ذهب أبّا أمون إلى أنبا بيمن وقال له:**

📖 إذا ذهبتُ إلى قلاية أحد الإخوة، أو دعته الضرورة أن يأتي عندي، نخاف أن نتحادث سويًا، لئلاّ ننحرف إلى أمورٍ غريبة.

📖 فقال الشيخ: إنكما على صواب لأنّ الشبان تلزمهم اليقظة.

📖 فسأله أبّا أمون:" كيف يتحادث الشيوخ؟

📖 فأجاب: إن الشيوخ الذين تقدّموا في الفضيلة، قد تخطّوا حدود

اليقظة والانتباه. فضلاً عن أنه لا يوجد عندهم شيء غريب ليقولوه.

🕮 ثم سأله أيضاً: إن دعت الضرورة إلى التحدُّث مع أحد الإخوة، فهل نتحدث من الأسفار الإلهية، أم من أقوال الشيوخ؟

🕮 فأجابه الشيخ: إن لم تستطع أن تصمت، فالأفضل أن تتكلم من أقوال الآباء، أكثر من الأسفار الإلهية التي لا يخلو التحدُّث منها من خطر.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٨٩

🕮 قال أبّا دانيال:

🕮 ذهبنا يومًا ما عند أنبا بيمن وأكلنا معه، وبعد أن أكلنا قال لنا: اذهبوا واستريحوا قليلاً يا إخوة. فذهب الإخوة ليستريحوا قليلاً، ولكنني أردتُ أن أتكلم معه كلامًا خصوصيًا فذهبتُ إلى قلايته.

🕮 فلما رآني آتيًا تظاهر بأنه كان نائمًا، لأن هذه كانت عادة الشيخ أن يفعل كل شيء في الخفاء، حتى لا يلاحظه أحد.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٨٩

🕮 كان أنبا أغاثون سائرًا مع تلاميذه، فوجد واحدٌ منهم بسلّة خضراء في الطريق، فقال للشيخ: هل آخذها يا أبي؟

🕮 فنظر إليه الشيخ باندهاشٍ وقال: هل أنت الذي وضعتها هنا؟

🕮 فأجاب الأخ: لا. فقال الشيخ: كيف إذن تأخذ شيئًا لم تضعه؟

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦٦٦

🕮 قيل عن أنبا أغاثون وأنبا آمون:

🕮 إنهما لما كانا يبيعان عملهما كانا يقولان الثمن مرةً واحدةً، وما كان يُعطى لهما كانا يأخذانه بسكوتٍ.

🕮 وأيضًا إذا احتاجا إلى شيءٍ ويشتريانه، كانا يعطيان الذي يُقال لهما بسكوتٍ، ولا يتكلمان البتّة.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦٦٧

📖 ذهب مرةً أنبا أغاثون بنفسه ليبيع أعمال أيدينا وسلّمها للمشتري بهدوءٍ. وكان ثمن الغربال مائة قطعة، وثمن القفة مائتان وخمسون قطعة. وكان يقول الثمن لمن يريد الشراء، ويأخذ منه ما يعطيه إياه بسكوت، وما كان يعدّ ما يأخذه. وكان يقول عن حكمةٍ وإفراز:

📖 ما نفع التشدُّد في المساومة مع المشتري، والتورُّط في خطية القسَم؟ ألكي أحصل على زيادة في الثمن أعطيها للفقراء؟ إنّ الله لا يريد مني هذه الصدقة بأن أجعل إنسانًا ما يخطئ بقسَمٍ.

📖 كذلك حينما كان يشتري قميصًا، أو رداءً، أو وعاءً للقلاية، كان يُلقي نظرةً خاطفةً خفيةً {في السوق}،

📖 فإذا رأى هنالك أرملةً معوزةً، وعندها الشيء الذي يريد شراءه، كان يسألها: بكم تبيعين هذا؟ وما تقوله له كان يعطيه لها، إذا كان معه. أما إذا لم يكن معه ما يكفي فيقول لها: ' اغفري لي، ثم يتركها.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٦٧

📖 وكان أنبا أغاثون إذا قال له أحد الإخوة:

📖 ومن أين يأتينا خبز القلاية؟ يُجيبه قائلاً: وما هو خبز إنسان يعيش منفردًا في القلاية مكتفيًا بنفسه؟

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٦٧

📖 سأل مرةً أحد الإخوة أنبا أغاثون:

📖 أيهما أعظم، الأتعاب الجسدية، أم اليقظة الداخلية؟

📖 فأجابه: إنّ الإنسان يشبه شجرة: الأتعاب الجسدية هي الأوراق.

📖 واليقظة هي الثمرة، وحسب المكتوب: «كل شجرةٍ لا تُعطي ثمرةً جيدةً تُقطَع وتُلقَى في النار» {مت٣: ١٠}.

📖 فإذا لم تكن للمجاهد يقظة داخلية، فهو يشبه شجرة التين، التي تُرى عن بُعد كثيرة الأوراق، أما إذا اقتربتَ منها، ولم تجد فيها ثمرة فإنك تسمِّيها عقيمة يابسة. ثم إذا كان ثمر الشجرة بعد صغيرًا، وليس عليها ورق كافٍ، فالهواء يُجفِّف الثمر، لأن الورق هو الذي يحمي

الثمر.

كان أبّا أغاثون: ذا يقظةٍ عظيمة في كل شيء.

وكان يقول: إنه بغير يقظة لا يقدر أحد أن ينمو في أية فضيلة.

وقال أيضاً: إذا كان الإنسان الباطن متيقِّظًا، يمكنه أن يحرس الإنسان الخارجي أيضاً، أمّا إذا لم يكن، فلنحرس اللسان بكل ما في وسعنا.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦٧٢

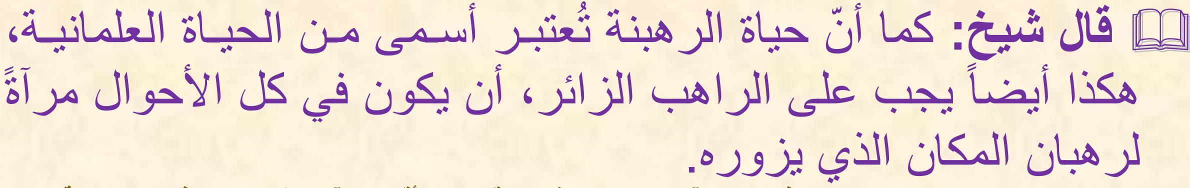
قال أبّا شيشوي الصعيدي لتلميذه:

أخبرني بما تراه فيّ، ثم أخبرك أنا بما أراه فيك.

فقال له تلميذه: إنك رجل صالح، ولكنك صارم قليلاً".

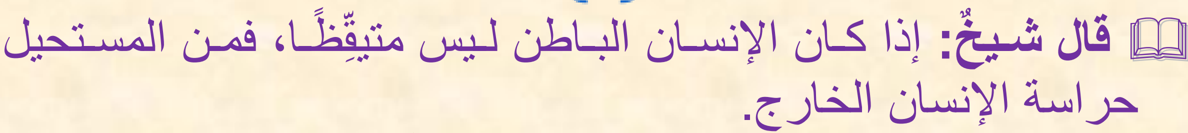
فقال له الشيخ: وأنت أيضاً صالح، ولكنك لستَ حازمًا بما فيه الكفاية!

كتاب فردوس الآباء ـ القديس أنبا شيشوي الصعيدي ـ الجزء الثالث ٢٣٧



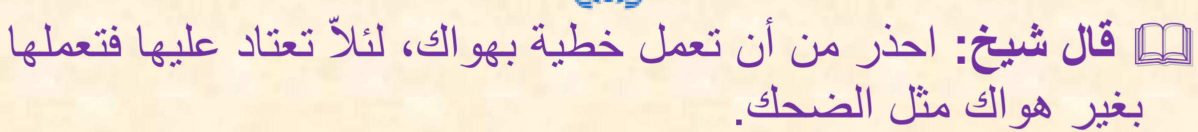
قال شيخ: كما أنّ حياة الرهبنة تُعتبر أسمى من الحياة العلمانية، هكذا أيضاً يجب على الراهب الزائر، أن يكون في كل الأحوال مرآةً لرهبان المكان الذي يزوره.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٣٠



قال شيخٌ: إذا كان الإنسان الباطن ليس متيقِّظًا، فمن المستحيل حراسة الإنسان الخارج.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٣٥



قال شيخ: احذر من أن تعمل خطية بهواك، لئلاّ تعتاد عليها فتعملها بغير هواك مثل الضحك.



📖 **قال شيخ:** احذر بكل قوتك من أن تفعل شيئًا يستحق الملامة، ولا تحب التصنُّع.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٥٠٠

📖 **سأل أخٌ شيخًا:** ما هي فلاحة النفس حتى تُثمر؟

📖 فأجابه قائلاً: فلاحة النفس هي: السكوت، وضبط الهوى، وتعب الجسد، والصلاة الدائمة، والامتناع عن معاينة زلات الناس، بل عيوبه وهفواته هو وحده. فمتى ثبت الإنسان في هذه الفضائل لا تتأخر نفسه عن النجاح والنمو حتى تُثمر.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٥٤١

{٧}

القديس غريغوريوس

رئيس متوحدي قبرص

هذه هي الرتب التي يقتنى بها طبعنا تربية مقدسة

📖 أولاً: الرتبة الجسدانية:

📖 هذا العالم المحسوس هو صورة العالم المعقول، فقد جعل الله مسكنين للإنسان أعنى: "الحيوان الناطق" لأنه خلقه من طبيعتين. وعمله على صورته ومثاله، حسب قوله "نخلق الإنسان كصورتنا وشبهنا". فيليق أن يصنع له مكانين حسب طبيعته.

📖 أما النفس فأعد لها مسكنا، في أورشليم السمائية، في وسط جند الملائكة. وأما المحسوس فقد شاء أن يكون في الأرض حيث يسكن.

📖 وحسب كل طبيعة منهما، جعل لها غذاء يستطيع أن يتحد معها.

📖 إذا حفظ رتبة طبعة بتمجيد خالقه.

📖 يلذ لكل طبيعة تغذية زميلتها.

📖 لأن كل واحدة تعرف، كيف أن تقويم الواحدة، هو حفظ للأخرى.
📖 وفى كل مرة يحصل بينهما تعارض خارج عن الطبيعة، أو من حسد، أو عناد قتال، أو من الميالة، وانحلال الحرية، فيتحرك بذلك قتال عظيم من الواحدة على الأخرى.

📖 ومن هذه الأسباب ينشأ بينهما إرادتين. يكون بينهما قتال ردئ صعب. لأن الشهوة مثيرة لجميع الحروب، كقول معلمنا بولس "أن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون". {غل ٥: ١٧}
📖 لأن هذا التعارض غير خاضعا لحرية الإرادة.
📖 لأن حركات الجسد المضادة للروح، هي حركات طبيعية.
📖 أما إذا خرجت عن ترتيب طبيعتها، فإنها تخضع للإرادة التي تستطيع أن توجهها كما تشاء، أما للصلاح وإما للشر.

📖 أما الحركات التي تحدث من أسباب خارجة "أي مثيرات" فهى ليست طبيعية كما قال الحكماء، بل حركات ألمية، أي من آلام الخطية، ومثيراتها، أما الحركة الطبيعية، فتتحرك من ذاتها بدون أسباب، أو مثيرات خارجية. فللإرادة سلطان على الحركات الألمية، وليس سلطان على الحركات الطبيعية.
📖 نظر الله إلى هذه الحالة، فوضع سننا ووصايا، وجعل لها جزاء حياة، أو موت جحيم، الذي هو عدم المعرفة.

📖 أما الحياة فهي المعرفة، وملكوت السماوات. أما هذا الفساد العظيم، والهلاك، فقد حدث من مبدأ العالم، إلى أن أشرق نور الصليب.
📖 لأن سيدنا بصلبه قتل العداوة، ليبطل جسد الخطية، ومن إشراق نور صليبه، استضاءت جميع الخليقة، التي كانت مظلمة بطغيان الشيطان. تلك التي ملكت علينا منذ جبلتنا. وسيدنا أعطانا قوة لنعمل

ونقتنى تربية حسنة لإنساننا الجواني الجديد، للحياة المفاضة علينا بحقيقة الإنجيل.

📖 تنقسم فضائل هذه المنزلة الأولى الجسدانية، إلى ثلاثة أنواع منها الطبيعية، ومنها الاعتيادية، ومنها الشرعية.

📖 فالنوع الأول الطبيعي: هو موجود فينا، وفى الحيوان، وبه نتحرك في حدود الطبيعة. كالأكل والشرب والنوم. فنحن والحيوان محتاجين لهذه كلها. ويشترك الحيوان معنا في الغضب والشهوة والإرادة الردية والفرح والحزن والميلاد والحركة من مكان إلى مكان.

📖 والنوع الاعتيادي: هو العوائد الحسنة التي نعملها لأولادنا وتلاميذنا، منذ الصغر بالتأديب. فإذا نشئوا وصاروا رجالا، حسنت هذه العوائد في أعينهم، لأنها تزين الطبع بجميع المحاسن. والتعليم الذي يعودهم بالأفعال الحسنة. فتصير العادة متأصلة كالطبع.

📖 فمثلا نعود أجسادنا بالصوم، والنسك، والسهر، والقيام، ونحفظ هذه العوائد، لأننا نعلم أننا إذا حفظناها من المبدأ، صار الجسد في خوف عظيم من الأعمال.

📖 فإذا ما تعود وخضع قليلا قليلا بالتدريج، وحفظ قمع الخوف، واقتنى قوة على الأعمال، وثبتت فيه العادات، وصارت كالطبع.

📖 هكذا أيضاً أنفسنا نعودها بهذيذ الصالحات، وبالمفاوضة، فتقتنى ذلك مع فرح كثير. ونعرف أنه في المبدأ تصعب من الخوف، وفى الآخر لا تتخلف عن طلب الصلاح. فهذه الإفرازات نظرها آباؤنا الروحانيون ووصفوا العادة بأنها طبع ثان.

📖 والنوع الثالث هو الشرعي: كما يسن الحكماء شرائع مستقيمة كل واحد لرعيته. وكذلك في الأديرة والمجامع، يشرعون قوانين تقربهم إلى الله. وبها نقتنى عادات صالحة، وأنواع فاضلة، ونتعلم أن نعمل

الصلاح لبعضنا البعض، فإذا فعلنا ذلك نصير متشبهين بالله ونسمى صالحين. وهذا العمل هو التخلف عن الشرور، والتقرب من الله.

📖 وهذا ينشأ من خوف تطبيق واضع القانون لأحكامه. مثلما وضع الله شرائع على يد موسى. فيحسن إلى الذين يحفظونها، ويعاقب مخالفيها. ومثل حكام ومدبري هذا العالم، الذين يعاقبون المجرمين.

📖 وكل هذا معروف أن الخوف من العقوبة يقدمنا إلى الصلاح. وهذه العادات الصالحة تقربنا إلى الأمور الطبيعية. ومن الطبيعية نتدرج إلى الأمور التي فوق الطبع.

📖 وواضع الشرائع المستقيمة يعلمنا العدالة والاستقامة، ويقدمنا لكي ننظر بهذه الوسائل الطبيعية، ونتعلم كل الحق، ومخافة الله.

📖 وفى هذه مخفى كل أمر طبيعي. وهذه معروفة لنا الآن بعد ما انقشع الحاجز عن عيني عقلنا، ذلك الذي فرشته عليه الشهوة، واللذة المطمورة في الآلام.

غريغوريوس رئيس متوحدي قبرص - الآباء الحاذقون في العبادة - جزء٢ - صفحة ٣٤ - ٣٦

{٨}

القديس أنبا مكاريوس

📖 **الحرص وانسحاق القلب وعناية النعمة:**

📖 ١١- وان كان لأم ابن وحيد، وسيم جداً، وعاقل وحكيم ومزين بكل الأشياء الصالحة، وقد وضعت كل آمالها فيه، فاذا مات هذا الابن ودفنته، فإنها تصاب بأحزان لانهاية لها، وبكاء ونحيب، حتى أنها لا تستطيع أن تتعزى، وهكذا أيضاً ينبغي على العقل أن يحزن ويبكي، حينما تموت النفس عن الله، ويكون له كآبة كثيرة، وقلب منسحق، ويكون في خوف وحرص.

📖 وفي نفس الوقت يكون له جوع، وعطش باستمرار إلى كل ما هو

صالح، فمثل هذا الإنسان تأخذه يدي نعمة الله، والرجاء الإلهي لتعتني به النعمة، فلا يعود يحزن أيضاً، بل يبتهج ويفرح كمن وجد كنزاً عظيماً، ولكنه يرتعد خوفاً أيضاً لئلا يفقد الكنز، لأن اللصوص يحضرون كثيراً للهجوم عليه.

ومثل إنسان تعرض لخسائر كثيرة من اللصوص، واستطاع أن ينجو منهم بصعوبة شديدة، وبعد هذا حصل على غنى وفير، وخيرات كثيرة، فانه لا يعود يخشى تأثير الخسارة عليه، بسبب ثرائه الوفير.

هكذا الرجال الروحانيون فانهم يتعرضون أولاً لتجارب وضيقات مخيفة، ولكنهم حين يمتلئون بالنعمة، ويفيضون بالصالحات، فانهم لا يعودون يخافون من أولئك الذين يريدون أن يسرقوهم، بسبب أن غناهم صار عظيماً.

ولكنهم يخافون - ليس خوف المبتدئ من أرواح الشر، بل لهم خوف وحرص، كيف يستثمرون المواهب الروحية التي ائتمنوا عليها.

كتاب عظات القديس مكاريوس ـ العظة السادسة عشر ـ صفحة ١٤٠



قال القديس مكاريوس:

"إن النفس لها استطاعة إن تنظر إلى الله في كل حين، فتوجد لها دالة عند سيدها، لأنها حينئذ يكون لها قدرة على ذلك، لذلك فلنحرص بكل قوتنا ألا نحيد عن خوف الله، ولا نتعبد للأوجاع".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٠٣



{٩}
القديس ثؤفان الناسك

الشركة مع الرب

📖 إن الشركة مع الرب عن طريق تناول جسده ودمه الأقدسين، ممكنه فقط في أوقات محددة، بحسب إمكانيات الشخص، وإشتياقاته ولكن ليس أكثر من مرة في اليوم.

📖 أما الشركة الداخلية مع الرب في الروح، فهي ممكنه كل ساعة، وكل دقيقة، أي بنعمته يمكنك أن تكون في شركة دائمة معه.

📖 وتكون متيقظاً إن أراد هو اتحاد في قلبك كوعد الرب.

📖 إننا بالتناول من جسده ودمه نأخذه هو ذاته، وهو يدخل ويسكن فينا بكل بركاته، والقلب المهيأ له ينتبه لهذا، إن المتناول الحقيقي دائما يكون في حالة مباركة بعد التناول. حينئذ يشترك القلب مع الرب في الروح. ولكننا إذ تنعكس فينا صورا كثيرة بواسطة الجسد، وما يحيطنا من نشاط خارجي، وارتباطات، يلزمنا أن نشاركك فيها.

📖 لذلك من أجل تشتت انتباهنا، ومشاعرنا يوما بعد يوم، تضعف شركتنا الروحية مع الرب ويخبو ويختفى إحساس المشاركة مع الرب ويزول، ولكن الاتحاد مع الله لا ينكسر ما لم تدخل بعض الخطايا إلى داخلنا، وتحطم حالة النعمة. لا شيء يقارن ببهجة المشاركة مع الرب. فالغيورون بالروح عندما يشعرون أنها ضعفت، يسرعون في استرجاع ملء قوتها، وعندما يسترجعونها، يشعرون بأن أنفسهم مشتركة مع الرب مرة أخرى. هذه هي الشركة الروحية مع الرب. بهذه الطريقة تحدث الشركة في الأوقات بين التناول من أسراره المقدسة.

📖 ولكن هذه الشركة ممكن أن تكون دائمة بلا توقف نحو الرب.

📖 هذه هي عطية النعمة أيضاً، وتوهب للشخص المجاهد في طريق الرب، إن كان حارا، وغير مشفق على نفسه. حتى إن كان الإنسان في شركة مع الرب في الروح من وقت لآخر، فهذه الشركة هي

أيضاً من عمل النعمة، كل ما نقدر عليه هو أن نعطش ونجوع لهذه العطية، ونشتاق بلهفة أن ننالها.

📖 هناك على أية حال طرقا تفتح الطريق لهذه الشركة مع الرب، وتساعد على اقتنائها، رغم أنه يبدو أن مجيئها يكون غير متوقع، هذه الأعمال هي الصلاة النقية، وبصرخات قلب مثل الطفل

📖 بالإضافة إلى أعمال خاصة عن إنكار النفس في ممارسة الفضائل، عندما لا تكون هناك أي خطية منجسة للنفس، ولا يكون أي فكر، أو شعور خاطئ يراودها {النفس}.

📖 أي عندما تكون النفس نقية صارخة لله، فماذا يمنع الرب الموجود والحاضر معنا من أن يجعل النفس تتذوقه، وأن تحتفظ بهذا المذاق طويلا؟ وهذا ما يحدث غالبا. ما لم يفضل الله من أجل خير النفس أن يطيل جوعها، وعطشها له قبل أن يشبعها.

📖 من بين أعمال إنكار النفس التي يجب ممارستها لهذا الغرض الاتضاع والطاعة، وجعل الإنسان نفسه تحت أقدام كل الناس.

📖 وإعداد الإنسان ذاته لاكتساب فضيلة احتمال الظلم بقلب سليم.

📖 كل هذا هو روح التسليم، بالإضافة إلى الخضوع الكلى لإرادة الله.

📖 هذه الأعمال تجعل الله يحب الإنسان، أكثر من أي شيء أخر، والرب الحال فيه يسمح للنفس أن تتذوقه أيضاً.

📖 ثم أن تتميم كل وصايا الله، تكون ثمرته مسكن الرب في القلب "الذي عنده وصاياى ويحفظها، فهو الذي يحبنى، والذي يحبنى يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتى" يو ١٤:٢٣.

كتاب المحاربات الروحية ـ الجزء الرابع ـ صفحة ٢٣ ـ ٢٤

الحرارة الروحية

📖 **الوجود في حضرة الله:**

🕮 حرارة القلب ثمرة الشعور بالله، وبكل شيء إلهي.
🕮 إنها تولد من وقت رجوع الإنسان إلى الله في التوبة.
🕮 وفى أثناء القيام بأعمال التوبة، لنقاوة القلب.
🕮 وتتقوى أكثر فأكثر، مشاعر حرارة القلب التي تأتى من وقت لآخر بصورة متقطعة، تصبح دائمة بالتدريج، حتى تصبح حالة دائمة في القلب. عندما قال القديس يوحنا الدرجي "ليكن اشتياقك دائما أن يكون لديك شعورا بالله، وبالأمور الإلهية" كان يعنى هذه الحرارة.

🕮 كل شيء يبعث في القلب سروراً يدفئه أيضاً.
🕮 لذلك فحرارة القلب يمكن أن تكون على أنواع كثيرة:
🕮 حرارة روحية تتولد من تأثير الأمور الروحية على القلب، هذا ما يحدث في نظام حياتنا الروحية، وسمتها المميزة هو ترك الأشياء المخلوقة، عندما يسبى العقل كلية في الله، والأمور الإلهية.
🕮 هذه السمة تبعد القلب عن الحرارة المتولدة عن مشاعر النفس، والجسد، كي تبعد السماء عن الأرض.

🕮 **من أين تأتى حرارة القلب:**
🕮 إن شعور الحرارة الروحية في القلب، شعور مركز وبسيط، ولكنه في جوهره محصلة حركات روحانية كثيرة منصهرة معا، كما أن شعاع النور يتركب من سبعة ألوان الطيف المندمجة معا.
🕮 إنه يحوى خشوع ووقار. انسحاق قلب.
🕮 سجود دائم أمام الله في العبادة.
🕮 واشتياق غير متناهى. وحب غير محدود لله.
🕮 وحيث أنه لا يمكن أن تأتى هذه المشاعر كلها في القلب مرة واحدة، فالحرارة الروحية تتولد في القلب شيئا فشيئا.
🕮 وحتى تصير حرارة القلب حالة دائمة، تروح وتجئ.
🕮 أما أن تأتى من نفسها لافتقاد سماوى. أو تكون ثمرة لتداريب

روحية ـ قراءة، تأمل، صلاة، أعمال انكار نفس، وأعمال صالحة.

📖 وهي تفقد عندما يشرد العقل عن الأمور الروحية، تابعا هوى قلبه في أمور غير روحية، متلذذا بها.

📖 فإن هذا يطفئ الحرارة الروحية، كما تطفئ المياه النار.

📖 هل تريد أن تحافظ على هذه الحرارة الروحية في قلبك؟

📖 ركز انتباهك في الداخل، وقف مصليا في قلبك أمام الله.

📖 لا تسمح لأفكارك أن تشرد مشتتة عقلك.

📖 لا تجعل أي جاذبية بينك وبين أمور النفس والجسد، تدخل إلى قلبك. اقطع عنك كل الاهتمامات، وكل القلاقل في بدئها.

📖 اجعل غيرتك لإرضاء الله دائمة الحيوية.

📖 كذلك خلاص نفسك. في الأمور الخارجية راع التدبير المعقول، ووجهها جميعا نحو هدفك الرئيسى، وحينما تفكر في أمر من الأمور، لا تحمل في ذهنك الاهتمام بالبواقى.

📖 ولكنى أضيف أنك إذ قد اختبرت هذه الحرارة مرة، لا يمكنك إلا أن تتشوق للاحتفاظ بها، وعند ذلك تتوق، وتستخدم كل وسائل مناسبة لهذه الغاية، وباستخدامها ستعرف أفضلها.

📖 إن قمت بهذا العمل بإفراز جيد، ستكون الحرارة الروحية هي مرشدك الموثوق به. تعلمك كيف تتحكم في حياتك الداخلية.

📖 وكيف تتصرف في الشئون الخارجية.

📖 وتتحكم في تدبيرك كله، كي تحتفظ بهذا الشئ نفسه.

كتاب المحاربات الروحية ـ الجزء الرابع ـ صفحة ٣٥ ـ ٣٧

{١٠}

كتاب طريق النساك

الفصل الرابع عشر: الاتضاع واليقظة

📖 كل من يقاتل في الحروب الداخلية يحتاج في كل لحظة إلى أربعة أمور: ١ ـ الاتضاع. ٢ ـ منتهى التيقظ. ٣ ـ الإرادة للمقاومة.

📖 ٤ـ الصلاة. ويلزم بمعونة الله، أن نسود على "الوجوه السوداء للفكر"، وندفعهم إلى خارج باب القلب، ونسحق في الحال أولئك الذين "يحطمون أطفالك عند الصحرة" {مز١٣٧: ٩}.

📖 التواضع مطلب أساسي، لأن الإنسان المتكبر يغلق الباب أمام نفسه مرة واحدة وإلى النهاية. والتيقظ، أو السهر، ضروري لملاحظة ومعرفة الأعداء في الحال.

📖 ولحفظ القلب حرًا من الرذيلة. وإرادة المقاومة ينبغي أن تبرز في نفس اللحظة التي نلاحظ فيها العدو ونكتشفه.

📖 ولكن بما أنه "بدوني لا تقدرون أنم تفعلوا شيئًا" {يو١٥: ٥}، لذلك فالصلاة هي الأساس الذي تتوقف عليه المعركة كلها.

📖 إن مثلاً صغيرًا قد يرشدك إلى هذا الأمر، فبواسطة التيقظ والسهر تكتشف عدوًا يقترب من باب قلبك، كأن تُجرب مثلاً، بأن تفكر فكرًا شريرًا نحو صديق. فللحال تستيقظ فيك إرادة المقاومة، وتدفع عنك التجربة.

📖 ولكن في اللحظة التي تليها مباشرة تُصاب بتقهقر في صورة فكر بالغرور في نفسك، فتردد في داخلك قائلاً: نعم، لقد كنت يقظًا!

📖 وهكذا يتحول انتصارك الظاهري إلى هزيمة مروعة، ذلك لأن التواضع كان غائبًا. وعلى العكس، فإنك إن سلمت الحرب للرب، فإن الميل إلى الغرور والاكتفاء بالذات، يتلاشى وتصير حرًا.

📖 وستلاحظ حالاً، أنه ليس هناك سلاح يساوى في قوته اسم الرب يسوع. إن هذا المثل ليبين كيف أن الحرب ينبغي أن تستمر بلا هوادة، وبلا توقف.

📖 إن الدوافع الشريرة تتدفق في تيار سريع، وينبغي أن تُضبط، وتُوقف بأقصى سرعة ممكنة، هذه هي "جميع سهام الشريرة الملتهبة" التي يتكلم عنها الرسول بولس {أف٦:١٦}، والتي تأتى مسرعة دون توقف.

📖 ولذلك فيجب أن يكون صراخنا إلى الرب بلا توقف، فإن مصارعتنا ليست مصارعة مع لحم ودم، ولكن مع الرؤساء مع السلاطين ضد ظلمة هذا الدهر، ضد أجناد الشر الروحية {أف٦:١٢}.

📖 ويشرح القديسون قائلين لنا: إن الدافع هو البداية، ثم يتبعه الاتصال والحوار حينما ندخل أكثر إلى ما يأتينا به هذا الدافع. والخطوة الثالثة هي القبول، والرابعة هي تتميم الخطيئة.

📖 هذه المراحل الأربعة يمكن أن تتوالى في نفس اللحظة، ويمكن أن تتباعد بدرجات مختلفة، حتى يستطيع الإنسان أن يفصلها عن بعضها البعض.

📖 إن الدافع أي النزوة تطرق الباب مثل البائع، فإن سمح له الإنسان بالدخول، فإنه يبدأ بحديث الدعاية لبضائعه، ويكون من الصعب عندئذٍ التخلص منه، حتى إذا أبدينا ملاحظاتنا بأن بضاعته رديئة.

📖 بعد ذلك تأتى الموافقة، أو القبول، وأخيرًا يتم الشراء، وغالبًا ما يكون ضد إرادتنا ذاتها، وهكذا يدع الإنسان نفسه أن يُضلل، بواسطة ما أرسله الشرير من أفكار.

📖 يقول داود عن النزوات {أو الدوافع}: "باكرًا أبيد جميع أشرار الأرض، لكي أقطع من مدينة الرب كل فاعلى الإثم"، "فلا يسكن وسط بيتي عامل غش". {مز١٠١:٨، ٧}. ويقول موسى النبي عن القبول، أو الموافقة: "لا تقطع معهم عهدًا" {خر٢٣:٣٢}.

📖 والعدد الأول من المزمور الأول يعالج أيضاً نفس الموضوع كما يقول الآباء: "طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار...".

📖 لذلك فإنه في غاية الأهمية أن يتكلم مع أعداءه "في الباب" {مز١٢٧:٥}.

📖 ولكن حينما يكثر المزاحمون على الباب، وعندما نعرف أن "الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور" {٢كو١١:١٤}، فإن الآباء القديسين ينصحوننا أن نحفظ القلب نقيًا من النزوات، والمشاعر والخيالات مهما كان نوعها.

📖 إذ أنه ليس في استطاعة القدرة البشرية أن تفصل بين النزوات الشريرة، والصالحة: فالرب وحده يستطيع ذلك، ولذا فإننا نسلم له هذا الأمر ونحن نثق فيه، عالمين جيدًا أنه: "إن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحراس" {مز١٢٧:١}. ومع ذلك فالأمر يتوقف عليك، لكي تحترس لئلا يكون في قلبك كلام رديء {انظر تثنية١٥:٩}.

📖 وأن تنتبه ألا يصير قلبك سوقًا يزدحم فيه ما تحب، وما لا تحب من الأصوات، محدثة صخبًا شديدًا مستمرًا، مما يؤدى بك لأن تفقد رؤيتك تمامًا لحقيقة ما يحدث.

📖 هنا يلتقي السراق واللصوص، أما ملاك السلام الذي تحتاج إليه فلا يكون هناك، فالسلام ومعه رب السلام كلاهما يهربان من مثل هذا المكان. لذلك فالرب يخبرنا بواسطة رسوله قائلاً: "نقوا قلوبكم" {يع٤:٨}. وهو نفسه يوصينا: "انظروا. اسهروا وصلوا" {مر١٣:٣٣}.

📖 لأنه إذا جاء ووجد قلوبنا غير نقية، ووجدنا غافلين، فإنه سيقول: "إني لا أعرفكم" {مت٢٥:١٢}.

📖 ولكن الساعة حاضرة دائمًا، إن لم تكن في هذه اللحظة، ففي اللحظة التي تليها، وإن لم تكن في التي تليها، ففي هذه اللحظة، لأن ساعة الدينونة، مثلها مثل ملكوت السماوات، هي حاضرة دائمًا في

قلوبنا. ولذلك فإن لم يسهر الحارس، فإن الرب أيضاً لا يحرس، ولكن إن لم يحرس الرب، فباطلاً يسهر الحارس. لذلك فلنسهر على أبواب قلوبنا ونحرسها، وفى نفس الوقت لا نكف عن الصلاة إلى الرب لطلب المعونة.

📖 لا توجه نظرك نحو العدو، ولا تدخل في نقاش مع ذلك الذي لا تستطيع ـ غالبًا ـ أن تقاومه، فهو يعرف ـ بما له من خبرة لآلاف السنين، نوع الحيلة التي يمكن أن تجعلك عاجزًا في الحال. لذلك، قف في وسط حقل قلبك، ووجه نظرك إلى فوق، وحينئذٍ فإن قلبك يتحصن في الحال من كل ناحية، إذ أن الرب نفسه يرسل ملائكته لحراسة قلبك من اليمين، ومن اليسار، ومن الخلف، في وقت واحد.

📖 وهذا معناه، إنه إذا هاجمتك تجربة، فلا ينبغي أن تعتبرها مادة للفحص، أو التأمل، أو لموازنة شيء ما أو ضده: إذ أنك بذلك تدنس قلبك، وتضيع وقتك، وهذا يكون انتصارًا للعدو. وبدلاً من ذلك، وبدون أقل تأخير، اتجه بكل قلبك إلى الرب "يارب، ارحمنى، أنا الخاطئ" وبقدر ما تسرع بسحب أفكارك بعيدًا عن التجربة، بقدر ذلك تأتيك المعونة بسرعة.

📖 لا تثق بنفسك أبدًا، ولا ترتكن عليها، ولا تصنع قرارًا وعزمًا صالحًا وتفكر هكذا: آه نعم إنني سأتمم كل شيء حسنًا، لا تثق أبدًا في قوتك الذاتية، ومقدرتك على مقاومة التجربة من أي نوع كانت، كبيرة أم صغيرة. بل فكر على العكس هكذا: أنا متأكد إني سأسقط بمجرد أن تهاجمني التجربة، إن الاعتماد على الذات والثقة بها هو شرك خطير.

📖 وكلما أدركت قلة قوتك الذاتية، كلما صمدت ووقفت بأكثر تأكيد.

📖 اعترف بأنك ضعيف، وغير قادر بالمرة على مقاومة أقل إغراءات الشيطان، ولدهشتك فإنك ستجد أن الشيطان ليس له سلطان عليك،

لأنك إن جعلت الرب ملجأك، فإنك ستتيقن سريعًا أنه لن يصيبك شر {انظر مز٩١: ٩، ١٠}، فإن الخطيئة هي الشر الوحيد الذي يمكن أن يصيب المسيحي.

📖 إن كنت تشعر بتبكيت شديد بسبب سقوطك بطريقة ما. وإن كنت تلوم نفسك بعنف وتتخذ قرارات كثيرة بأن: " لن أعود أبدًا إلى فعل ذلك مرة أخرى". فإن هذه علامة أكيدة على أنك تسير في طريق خاطئ: إذ أن ما تسبب في سقوطك هو اعتمادك على ذاتك.

📖 فالذي لا يعتمد على نفسه يشكر الله متعجبًا أنه لم يسقط إلى انحدار أكثر، وهو يبارك الله ويسبحه لأنه يرسل له عونًا في حينه، وإلاّ لكان قد بقي مطروحًا، بل إنه يقوم بسرعة ويبدأ صلاته بالشكر قائلاً ثلاث مرات: "ليكن الله مباركًا".

📖 إن الطفل المُدلل حينما يسقط، يبقى متألمًا لفترة طويلة، إنه يطلب العطف والتدليل، لذلك فلا تدلل نفسك، ولا تقلق عليها مهما تألمت، بل قم مرة أخرى واستأنف الجهاد، لأن من يحارب يتعرض للجروح.

📖 فالملائكة فقط هم الذين لا يسقطون، ولكن صل إلى الله أن يغفر لك، وأن يحفظك من عدم الانتباه فيما بعد.

📖 لا تتبع مثال آدم بوضع اللوم على المرأة، أو على الشيطان، أو على أي ظروف خارجية أخرى، فالسبب في سقوطك يكمن في داخلك: ففي اللحظة التي غاب فيها رب البيت عن قلبك، فإنك سمحت للسرّاق واللصوص أن يدخلوا ويخربوا كما يريدون. صل إلى الله ألا يتكرر هذا.

📖 **سُئل مرة راهب:** "ماذا تفعل هناك في الدير"؟

📖 **فأجاب:** "نحن نسقط ونقوم، ونسقط ونقوم، ثم نسقط ونقوم أيضاً".

📖 فإنه لا تمر دقائق كثيرة في حياتك بدون أن تسقط فيها مرة على الأقل. لذلك صلِ إلى الله أن يرحمنا جميعًا.

📖 صل لنوال الغفران والنعمة. واطلب الرحمة كما يطلبها مجرم محكوم عليه بالموت، وتذكر أننا مخلّصون بالنعمة فقط {أف٢:٥}.

📖 إنك لا تستطيع أن تدعى لنفسك الحرية والنعمة، اعتبر نفسك في وضع عبد هارب. وهو ينحني أمام سيده طالبًا أن يصفح عنه.

📖 هكذا ستكون صلاتك إذا اتبعت ما يقوله مار إسحق السرياني: "اطرح عنك ثقل خطيئتك، في داخلك"، وذلك حتى يمكنك أن تجد هناك في داخلك "الطريق الصاعد الذي يجعل صعودك ممكنًا".

كتاب طريق النساك ـ صفحة ٤٦ ـ ٥١

{١١}

القديس أوغسطينوس

الفصل الثامن: طوبي للجياع

طوبي للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون"{متى٥/٦}.

📖 أتريد أن تشبع؟ وكيف؟ إن كان الجسم يشتهي الشبع، فبعد أن تهضم غذائك سوف تشكو من الجوع من جديد، من يشرب من هذا الماء قال يسوع المسيح للمرأة السامرية يعطش {يوحنا٤/١٣}.

📖 إن كان الدواء الذي يوضع على الجرح يشفيه فلا يعود يؤلم، فالقوت الذي يقضي على الجوع لا ينعش إلاّ لزمن يسير.

📖 إنكَ تشبع لزمن يسير ثم يعود إليك الجوع.

📖 كل يوم يحضر العلاج، إنما جرح المرض لا يشفي.

📖 أنت بحاجة إلى الشبع لأنك جائع وعطشان، فليكن فيك جوع وعطش إلى البر، لكي تشبع من هذا البر عينه الذي تعطش الآن،

وتجوع إليه.

📖 الإنسان الباطني جائع وعطشان، له في الواقع غذاؤه وشرابه.

📖 الاعتراف بخطاياك بداية برك.

📖 منذ أن امتنعت عن الدفاع عن خطيئتك بدأت تحزن، ويكتمل برك فيك، ساعة لا يعود يفرحك سواه. ويكتمل برك حين لا تعود الشهوة تستهويك، ويبطل كل صراع بين اللحم والدم.

📖 وحين تنال إكليل البر، وتتغلب على العدو، ويبتلع الموت بالغلبة إذ ذاك يصبح برك كاملاً. أحبَّ البر، وليكن فيك عطش إلى البر.

📖 للإثم لذاته، أو ليس للبرّ لذاته أيضاً؟

📖 الإثم يمنح غبطة أثيمة، أولا يمنح البرّ غبطةً؟

📖 إن الخير يمنح فرحاً كاملاً، بيد أن الله يمنحه العذوبة، وقلبك يعطي ثمرته. أما إذا لم يمنح الله أولاً عذوبته، فقلبك لن يحوي سوي العقم.

📖 أطلب البرّ يبدو لك كل شيء تافهاً، إنَّ ما كنت تعده عظيماً يصبح أمام ناظريك مليئاً بالأقذار، جديراً بكل احتقار.

📖 أحبَّ البر لكي تجد درجات من يحرزون تقدماً. عليك في بدء الأمر إلا تؤثر شيئاً مما تحب على محبة البر، تلك هي الدرجة الأولي. ليزد فرحك بالبر، لا لأن الباقي لا يهمك أمره، بل لأنك تؤثر البر عليه. في الواقع نري بعض الأشياء تلبي طبيعيات رغبات ضعفك، كالتوت والشراب اللذين يلتذ بهما الجائع والعطشان، وكنور السماء يبهجك لدي طلوع الشمس.

📖 وتفرح بالصوت الشجي، والأغاني العذبة، والروائح العطرية، ويرتاح فيك حس اللمس إلى كل ما له علاقة بلذة اللحم.

📖 بين هذه الأشياء كلها التي تلذ لحواسك الجسدية منها ما هو مقبول، الأعين تشعر بارتياح شرعي أمام مشاهد الطبيعة الكبرى، ولكنها

تسرّ أيضاً بالمشاهد المسرحية.

📖 هذه محظورة عليك، وتلك مقبولة تسر الآن بسماع مزمور ديني عذب الإنشاد، ولكنها تسرّ أيضاً بأغاني المهرجين.

📖 سرورها بالأول مقبول، وبالثاني محظور.

📖 الشم يلتذ بشذا الزهور والطيوب، ولكن رائحة البخور فوق هيكل الأبالسة لذيذة أيضاً. اللذة الأولي مقبولة، والثانية ممنوعة.

📖 أن الأطعمة التي يسمح بها يستسيغها الذوق، ولكنه يستسيغ أيضاً موائد الذبائح المحرمة: يسمح بذاك دون الثاني.

📖 أعترف بوجود ملذات مقبولة وأخري ممنوعة على حواس الجسد. أجعل البر يلذ لك حتى تتغلب على الملذات المسموح بها، عليك أن تؤثر البر على اللذة الشرعية.

📖 **فضل اللذة العقلية على اللذة الجسدية:**

📖 الملذات المحرمة يفرح بها جسدك، أما البر فيغتبط به عقلك، بما فيه من خيرات لا منظورة، جميلة، نقية، مقدسة، ومتناسقة، لكيلا تضطر إلى الذهاب إليها بدافع من الخوف.

📖 إن اندفعت إليها عن خوف، فلست تجد فيها غبطتك، عليك أن تمتنع عن الإثم، لا خوفاً من العقاب بل حباً بالبر.

📖 أجبني: حين كنت تخطأ، وتستلذ أخطاءك، بدافع من الخوف، أم من اللذة كنت تخطأ؟ ستجيب؟ بدافع من اللذة.

📖 وهل تدفع اللذة إلى الخطيئة، والخوف يقود حتماً إلى البر؟؟

📖 قارن بين البر والإثم، وهل من شبه بينهما؟ أيحب هذا كما يحب ذاك؟ حاشا أن يكون المال هكذا، ومع ذلك فليكن القياس ذاته.

📖 أتبعت في الإثم اللذة، فأحتمل الألم في سبيل البر، وهذا أهم قليل عليك أن تنبذ ما كنت تجد فيه غبطتك.

🕮 أحتقر ما كان يخيفك كالسجون، والوثاقات، والعذبات، والموت.
🕮 متى تغلبت على هذه كلها وجدت البر.
🕮 أظهر ذاتك في الحالتين صديقاً للبر.

🕮 إن شئت الحصول على شيء ما عشت في حرارة هذا الشوق، وهذا الشوق هو عطش النفس بالذات.
🕮 يتحرق الناس شوقاً، ونكاد لا نجد بينهم من يقول: نفسي عطشى إلى البر. الناس هم عطاش إلى العلم، ولا يدرون بأنهم في صحراء تعطش نفسهم فيها إلى الله.
🕮 أما أنت فليكن فيك عطش إلى الحكمة والبر.
🕮 لن تشبع من الحكمة، وتمتلئ من البر، قبل أن تنتهي حياتك هذه، وتبلغ حيث وعدك الله. لقد وعدك بالمساواة مع الملائكة: الملائكة في الوقت الحاضر لا يعطشون، ولا يجوعون نظيرك، بل يملكون وفرة الحق، والنور، والحكمة الخالدة.
🕮 هم سعداء لأنهم في تلك المدينة أورشليم السماوية، وسعادتهم هي عظيمة جداً في المدينة التي تسير إليها الآن، وإذ يعتبرونك في منفي.
🕮 يشفقون عليك، ويمدون لك يد المساعدة بأمر من الله، لكي تعود يوماً إلى ذلك الوطن المشترك، حيث ترتوي وإياهم من ينبوع الحق، وأزلية الله.

عواطف وصلوات

🕮 رب أني أركض إلى الينبوع، وأطلب ينبوع المياه، فيك ماء الحياة، والينبوع الذي لا ينضب، وفي نورك النور الذي لا يخبو.
🕮 أني أتوق إلى ذاك النور، إلى الينبوع الذي عرفته عيناي، تستعد عيني الباطنية لأن تري ذاك النور، وعطشي الباطني يتحرق للاستقاء من ذاك الينبوع.
🕮 إلى الماء أركض، وإليه أتوق، بيد أني لا أركض ركضاً عادياً

كحيوان عادي، إنما اركض كالأيل، ولا أتباطأ في ركضي.

🕮 أني أركض بسرعة، وأتوق إلى الماء بحرارة، نفسي عطشي إليك أيها الإله الحيّ، وكما يشتاق الإبل إلى ينابيع المياه، كذلك تشتاق نفسي إليك يا الله {مزمور ٩١-٢}.

🕮 متى آتي وأظهر أمام وجهك؟ لأني إلى هذا عطشان.

🕮 في منفاي أنا عطشان، وفي سفري عطشان، لدي وصولي سوف أشبع، ومتى آتي؟ ما هو سريع بالنسبة إليك، بطيء بالنسبة إلى شوقي. واحدة سألتك أن أسكن في بيتك لأتأمل في خيراتك.

🕮 ولكن طوال ذلك الوقت، وبينما أتأمل وأركض، وأسير في الطريق، وقبل أن آتي وأظهر فدموعي لي خبز، نهاراً وليلاً.

🕮 دموعي هذه عذبة عليّ، أنا المحترق شوقاً إلى ينبوعك، وبما إني لا أستطيع أن أشرب منه ألتهم بشراهة دموعي.

🕮 وبدون ريب حين التهم دموعي، فهل أرتوي منها أكثر من مائك؟

🕮 أفيض دموعي شوقاً في عسري، وحماسي لا يزال مضطرباً، ومع أني ناجح في هذا العالم فسوف أجد نفسي فيه دوماً، شقياً، طال ما أني لم أظهر أمام وجهك.

كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية - الكتاب الخامس - صفحة ٢٨٢ - ٢٨٥

الفصل الثامن عشر: في الثبات

🕮 الثبات هو: بقاء الإنسان، واستمراره في خطة معينه متقنة الدرس.

🕮 أما ثباتك في المسيح فنعمة من الله عظيماً. وبالنهاية أعني نهاية الحياة التي تتعرض فيها لخطر السقوط. ولذلك لا يصح دوماً القول إنكَ تحافظ على هذه النعمة، ما دمت في قيد الحياة.

🕮 وأجرمُ بحق قائلاً: إن سقطت في حياتك فلست بثابت إلى النهاية.

🕮 أحفظ جيداً كلام الإنجيل الموجز، وأذكره دوماً: "من يثبت إلى المنتهي يخلص" ما أكثر ما يجب عليك أن تخشي الانحراف،

والتطلع إلى الوراء، حين تمتنع عن ترجيّ المكافآت السماوية، تميل إلى الخيور المنظورة الفانية بدافع من الشهوة.

🕮 تذكر امرأة لوط: ها هي على الطريق وقد نجت من سدوم، ولما تطلعت إلى الوراء بقيت في مكانها تمثالاً من الملح يملحك. كانت لك مثالاً لكي تسيطر على قلبك، ولا تتوقف كالأحمق في الطريق.

🕮 أنظر إلى من يقف وتجاوزه.

🕮 وأنظر إلى من يتطلع إلى الوراء، وتابع سيرك إلى الإمام.

🕮 تطلّع إلى قائدك، لا إلى الوراء. إلى الطريق الذي أخرجك منة.

🕮 قائدك أمامك، والطريق الذي خرجت منه وراءك.

🕮 أحبّه لك قائداً، لئلا يرذلك متى نظرتَ إلى الوراء.

🕮 إنسَ ما وراءك، إنسَ حياتك السالفة الشريرة وأنبسط على ما قدامك. لا تتطلع إلى الوراء، ولا تتوقف ملتذاً بما مضي، ولا تملُ عما أمامك إلى ما وراءك: أسرع لكي تصل، وبشوق أسرع، لا تقل إنكَ تصل في هذه الحياة. إن ظننت نفسك كاملاً انخدعت، وضللت، وفصلتْ: لا يسعك أن تكون كاملاً على هذه الأرض.

🕮 إن ظننت نفسك قادراً على بلوغ الكمال هنا، أقمت في مكان عال وسقطت. كن متواضعاً، فإنك إن سرت في مكان وضيع وصلت إلى الأعالي. لقد جعل المسيح الوديع نفسه طريقاً لك: تواضع ولا تيأس من الوصول. لا تبتعد عن حرارة الروح، ونور الحقيقة.

🕮 الآن تسمع صوت المسيح، أما حينذاك فستراه وجهاً لوجه.

🕮 لا ترضَ نفسك، ولا تجدف على الآخرين.

🕮 **سرْ على هذا النحو في طريق الله:**

🕮 إياك أن تحسد السائرين، وتشتم المتخاذلين، حتى يتحقق آنذاك ما وعدك به المسيح في الإنجيل: "وأنا أقيمه في اليوم الأخير".

📖 ولم كثرة الكلام؟
📖 أظن بأن ما قلته كاف: ثبات الإنسان في الرب حتى النهاية عطية من الله. لست أتردد في أن أقول: إن من لم ينل هذه العطية باطلاً يملك، ولو ملك الكثير سواها من الخيرات.
📖 فلنصل أيها الحبيب، فلنصل حتى يعطي إله النعمة، أعداءنا، ولا سيما أخوتنا، وأصدقاءنا، أن يدركوا ويعترفوا بأن الخلاص لا يتم لأحد بمعزل عن نعمة الله، بعد الخسارة الهائلة التي منينا بها.
📖 وإنها لخسارة لا تعوض باستحقاق ممّن يأخذون، بل وهي هبة حقيقية تعطي بالمجان دون اعتبار أي استحقاق سابق لها.

عواطف وصلوات

📖 ربّ، سوف أخلص بكل تأكيد، إن ثبتت حتى النهاية، بيد أن الثبات خاص بالفضيلة دون سواها استحقاقاً للخلاص.
📖 أنت قوّة خلاصي، وأنتَ تجعلني أثبت حتى أنال الخلاص.
📖 ربّ، يا قوة خلاصي، وكيف أرجو بأنك قوة خلاصي؟
📖 أرجو لأنك حميتني في يوم المعركة.

📖 حتى الآن، لا أزال أحارب في الخارج ضد خيور كاذبة، وفي الداخل ضد شهواتي، لأني أري في أعضائي سنة أخري تخالف سنة ضميري، وتأسرني تحت سنة الخطية التي في أعضائي.
📖 أنا إنسان شقي، فمن يخلصني من جسد الموت هذا؟، أنت تخلصني ربّ، بواسطة نعمتك، بابنك ربنا يسوع المسيح.
📖 وبالتالي، فبينما أجاهد في هذه الحرب أتوكل على نعمتك: ولما أني بدأت أصير حاراً وجافاً، فقد وجدت ظلاً أعيش فيه.

📖 هاأنذا أيها الرب يسوع، يا من تقول لي: لا تتراجع في الطريق الضّيق لقد مررت فيه قبلك، أنا هو الطريق، أنا أقود، وبي أقود،

وإليّ أقود. مهما صنع بي العدو فلن أخاف لأنّ لي عوناً قديراً.
📖 أنت رجائي، فلن أخزي إلى الأبد.
📖 أنت صبري، صبري أنت لأنك رجائي منذ صباي.
📖 طال ما أنا بالجسد، فأني مسافر بعيداً عنك، وبالإيمان أسير لا بالمشاهدة. سوف يأتي زمن أري فيه ما كنت أؤمن به.
📖 آنذاك أري ما أؤمن به، وأفرح بالحقيقة التي أرجوها الآن.
📖 الآن أبكي وأسرع نحو الحمى طلباً للخلاص.
📖 الآن أطلب طبيباً لمرضي.
📖 الآن أفرح بالرجاء، لأنك صادق في وعدك.
📖 ولكن بما أني لم أحصل حتى الآن على شيء، فأني أتوق إليه متنهداً. ساعدني على أن أثبت في شوقي حتى يتم وعدك، فينقضي كل حزن، ويعقبه كل تسبيح.

كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ـ الكتاب السابع ـ صفحة ٤٤٢ ـ ٤٤٤

{١٢}

قديسون أخرون

📖 ٢٠ـ كل من يغفر، ويحب، ويصلى من أجل الذين يسبونه ويسيئون إليه، ينال أجرا عظيما في وقت قصير، لأنه إذا كان إحساس قلبه ميالا إلى عمل الخير، فهذا الميل الطيب يقوده إلى هوة الاتضاع، ويكشف عن ينابيع الدموع التي تفيض من كل أجزاء نفسه الثلاثة "القوات العقلية، والشهوية، والغضبية".
📖 كما يرشد العقل إلى سمات الثبات والرزانة، ويهديه إلى التأمل، متذوقا نعم السماء، ومعتبرا كل مباهج العالم الحاضر روثا، ولا يأكل، ولا يشرب، إلا النذر اليسير حتى لا يمتلئ، وليس مرارا {في أوقات متباعدة}.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ الباب الرابع ـ سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية ـ صفحة ١٣٥

تدقيقه في حياته {نقاوته}:

قيل عنه: إنه إذا تصرف في امر واخذ فكره يلومه، كان يخاطب نفسه قائلاً: "يا أغاثون، لا تغفل أنت هكذا مرة أخري". وبذلك كان يسكن قلبه.

كتاب بستان الرهبان ـ طبعة بني سويف ـ صفحة ٦٧



قال القديس يوحنا القصير:

أنا أشبه إنساناً جالساً تحت شجرة عظيمة، ينظر إلى الوحوش والذئاب وهي مقبلة نحوه، فإذا لم يستطع ملاقاتها يهرب صاعداً فوق الشجرة لينجو منها.

هكذا أنا جالس في قلايتي، أبصر الأفكار الخبيثة تأتى إليَّ، فإذا لم أستطع صدها هربت إلى الله بالصلاة، ونجوت.

كتاب بستان الرهبان ـ الأنبا زكريا ـ صفحة ٨٤



قال أنبا أنطونيوس:

الذي يطرق سبيكة من الحديد. يسبق أولاً فيمثل في فكره ما هو عتيد أن يفعله، أما منجلاً، أو سكيناً، أو فأساً، وهكذا بسبيلنا نحن أيضاً أن نفكر في كل شيء نبدأ العمل فيه، لئلا يكون عملنا باطلا.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٥٦



قال القديس باسيليوس:

"إن النصارى قد منعوا من محبة المجد الباطل، ومن إرضاء الناس، ومن المباهاة. أما العلمانيون فأنهم يخزون من المسكنة، ويهيئون أنواع المأكولات للضيف. وأما نحن فلا نرذل المسكنة التي طوبها الرب، وكما لا يليق بنا أعداد الآلات الكريمة الثمينة في الضيفات والبسط فيها، كذلك لا يحسن بنا الاحتفال.

📖 فإن قصدك أيها الأخ غريب، فإن كان حالة كحالك، قدم له العيش، فإنه يعرف فائدته، ويجد عندك ما تركه في قلايته، فإن كان قد أتعبه السفر، فقدم له ما يزيل تعبه.

📖 وأن قصدك علماني، فأنه يأخذ من عندك رسما للقناعة في المأكولات، وتذكاراً لموائد النصارى، ونموذجاً للمسكنة المسيحية.

📖 إذا كنا نغير ملابسنا لمن يتلقانا، فلا نغير أيضاً موائدنا للذي يطرقنا، والرسول يقول: "إن أكلتم، وشربتم، أومهما عملتم، فاعملوا لتمجيد الله" وما يُعمل للمباهاة، ليس هو لتمجيد الله.

📖 ويعقوب أكتفى في مطلوبه من الله، بخبز يأكله، وثوب يلبسه، والرسول قال: "يكفينا القوت والكسوة"، وسليمان سأل الله قائلاً: "رتب لي الكفاف، الذي يقوم بالأود".

📖 والكفاف هو عدم الفضلة، وعدم الحاجة الضرورية معاً، والغذاء الضروري هو اليسير الثمن، والسهل الوجود، فبهذا يجب الاهتمام، وتقديمه لكل محتاج إليه.

📖 ولما كان قوتنا إنما نحصل عليه من شغل أيدينا، يوماً بيوم، فلا نصرفه في تنعيم غير المحتاجين، لئلا نضيق على نفوسنا، ونسبب لهم المضرة الحادثة من التبذير، حيث يجب التقشف".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ١٦٣



📖 **قال القديس باسيليوس:**

📖 "درب جسدك على طاعة نفسك، ودرب نفسك على طاعة الله".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ١٧٩



📖 **وقال أنبا أنطونيوس:**

📖 "إن حدثك أخ بأفكار فأحذر أن تظهرها لأحد، بل صلي عنه وعنك، كي تخلصا معاً. إن أمُرت بشيء يوافق مشيئة الله فاحفظه، وإن أمرت بما يخالف الوصايا، فقل أن الطاعة لله أولى من الطاعة

للناس. واذكر قول الرب: "إن خرافي تعرف صوتي وتتبعني، وما تتبع الغريب".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ١٧٩



📖 **وقال أخ لشيخ:** "لست قادراً على إتمام الطاعة الكاملة".

📖 فقال له: "أعمل بقدر قوتك، وأنا أؤمن أن الله يحسبك مع من يكمل الطاعة، وقد قال: "لا تختنق إذا سقطت، بل أنهض وتب". فقد قال سليمات الحكيم: "إن الصديق إذا سقط سبع مرات في اليوم فهو يقوم".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ١٧٩



📖 **مرة سمع أنبا إسحق صياح ديك فقال لأنبا بيمن:**

📖 "هل يوجد دواجن هنا يا أبي؟".

📖 أجابه قائلاً: "لماذا تُجبرني أن أتحدث إليك يا إسحق؟ الذين يشبهونك فقط هم الذين يسمعون مثل هذه الأصوات، أما المجاهد فلا يشغل نفسه بمثل هذه الأمور".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٣٣



📖 **وقيل أيضاً:**

📖 "جيد للراهب أن يعيش مثلما عاش أنبا أرسانيوس.

📖 فاحترسوا أيها الأخوة لكي تقفوا أمام الله بلا لوم، وأن تقتربوا إليه بالدموع مثل المرأة الخاطئة، وتضرعوا للرب الإله باعتباره واقف أمامكم، لأنه قريب ويراعانا باهتمام".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٣٤



📖 **وقال القديس باخوميوس:**

📖 "لا تميز موضعاً من موضع قائلاً: "سوف أرى الله هنا أو سوف أراه هناك، لآن الله في كل موضع. لأنه يقول: "أنا ملء السماء والأرض". إن أحببت إن تعبر مياهاً كثيرة فأحذر لئلا تغمرك.

📖 لا تفتش على الأمور المستعلية، لئلا تتلف حياتك. أحفظ القدس فقط فهوذا الله داخلك. أنظر أين كان اللص فورث الجنة، أو أين كان يهوذا فاستحق المشنقة، أو كيف حسبت الزانية مع الأطهار، أو كيف أغوى الشيطان حواء في الفردوس، أو كيف أصعد أيليا إلى السماء، أو كيف سقطت الملائكة من هناك. فاطلب ولا تكسل. أطلب الله فتجده".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٥٢

📖 **سأل الأخوة أنبا سلوانس عند موته:**

📖 "أيه سيرة صنعتها أيها الأب، حتى اقتنيت هذا الحَكَم؟"

📖 أجاب: "لم أترك قط في قلبي ذكراً يسخط الله".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٥٧



📖 **٨٥-** حافظ باستمرار على نفس القدر من ضبط النفس. وإلا من خلال عدم الانتظام، سوف تترنح من تطرف إلى تطرف.

📖 **٨٦-** إذا وضعت قواعد لنفسك، فلا تُخالف نفسك؛ لأن من يغش نفسه هو مُضَلَلْ ذاتياً.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس طلاسيوس الليبي ـ المئوية الثانية ـ صفحة ٣٠٨

{١٣}

قداسة البابا شنودة الثالث

{١} السهر الروحي	{٢} الجدية في الحياة الروحية	{٣} اليقظة الروحية
{٤} الوقت بالنسبة للراهب	{٥} كتاب السهر الروحي	{٦} الهدف الروحي وثباته
{٧} تبدأ وتستمر	{٨} الأمانة في القليل	{٩} الجدية ـ التدقيق
{١٠} حياة التدقيق		

باسم الآب والابن والروح القدس

الاله الواحد آمين

السهر الروحي

🕮 أريد أن أكلمكم اليوم عن السهر الروحي.

السهر غير اليقظة، ما الفرق بينهما؟

🕮 **اليقظة الروحية وتعني:** إنسان كان نائما ثم استيقظ لنفسه.

🕮 **السهر الروح يعني:** أنه بعدما استيقظ استمر ساهرا على نفسه.

🕮 أي: اليقظة هي حالة الانتقال من النوم إلى الانتباه إلى نفسه.

🕮 بينما السهر فهو دائم، مسألة يستمر فيها الإنسان مدى الحياة، وأمر السهر الروحي هو أمر من الله يأمرنا أن نسهر، يقول "فاسهروا إذا لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان" {مت ٢٠: ١٣}، ويقول "طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين" {لو ١٢: ٣٧}، ويقول أيضاً "اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة" {مر ١٩: ٣٨}.

🕮 وهنا يظهر لنا أن ليس كل سهر هو سهر روحي، السهر الروحي هو "اسهروا وصلوا"، لأن هناك إنسان يكون ساهرا لكنه ليس في سهر مع الله، وهناك أخر ساهر مع الله هذا هو السهر الروحي.

🕮 وبالطبع السهر على نوعين: سهر الجسد، وسهر الروح. سهر الجسد يساعد على سهر الروح، إن كان الإنسان ساهرا مع الله.

🕮 **سهر الجسد:**

🕮 سهر الجسد في الصلاة، كما يقول معلمنا بولس الرسول "واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر" {كو٤:٢}.

🕮 إنسان يسهر بالجسد: ولديكم قصص كثيرة جدا للقديسين الساهرين، الذين كانوا مشهورين بالسهر، مثل قديس هذا الدير، القديس العظيم الأنبا بيشوي، الذي كان يسهر طول الليل ويربط شعره، حتى إذا أخذته غفوة يشده هذا الرباط فيستيقظ، في مغارة الأنبا بيشوي آثار السلسلة التي كان يربط بها نفسه.

🕮 **٢. أيضاً القديس الأنبا أرسانيوس:** الذي كان يقف مواجهة الشرق وقت الغروب والشمس خلفه، ويظل واقفا يصلي حتى تظهر الشمس أمامه في الشرق مرة أخرى، مقضيا الليل كله في الصلاة، ولم يكن يعطي نفسه راحة.

🕮 **٣.** بل لعل من أكبر الأمثلة في السهر قصة القديس مكاريوس الإسكندراني: الذي أخذ تدريبا عجيبا في السهر لمدة أيام طويلة، وقال "قضيت عشرين يوما لم أطبق فيهم جفنة على جفن، حتى شعرت أن أعصاب مخي قد جفت"، عشرين يوم لم يطبق جفن على جفن. بل لعل من أمثلة السهر التي هي أعظم من هذا، السيد المسيح نفسه، حيث قيل عنه إنه كان يقضي الليل كله في الصلاة، في بستان جثسيماني في جبل الزيتون، يقضي الليل في الصلاة

🕮 ومن جهة سهر الجسد: من جهة السهر عموما يقال عن الله "إنه لا ينقس ولا ينام" {مز١٢١:٤}، السهر هو صفة من صفات الله أنه ساهر دائما، لا ينعس، ولا ينام.

🕮 **٤.** سهر الجسد يعطي الجسد نشاطا، والنوم يسبب خمو"أو كسلا". أيضاً النوم يعطي حرارة للجسد، قد تتلف الشباب الذين ينامون أكثر مما يجب، ويأخذ جسدهم حرارة أزيد مما يجب.

🕮 أيضاً النوم وخاصة حينما لا يكون الإنسان مثقلة بالنعاس.

🕮 ولكن هناك مجرد استرخاء للجسد، هذا يعطي مجالاً للأفكار وللسرحان، وللشرود الذهني ـ والنوم أيضاً يبعد الإنسان عن الصلاة، وعن العمل الروحي، ولذلك كان الآباء يحبون سهر الليل.

🕮 **٥.** وكان مار إسحق يقول "الليل مفروز لعمل الصلاة" أي: مخصص للصلاة، وكان يقول "إن صلاة واحدة يصليها الإنسان

بالليل، أفضل من عشرات يصليها بالنهار. لماذا؟

📖 لأن الليل له هدوءه وسكونه، وبعده عن الضوضاء والشغب.

📖 وأيضاً الليل بعيد عن الخلطة، ومعاشرة الناس، وإضاعة الوقت مع الناس في الأحاديث، هذا الليل الذي ينفرد فيه الإنسان للصلاة مع الله، أو للتأمل، أو التسبيح والترتيل، أو للعمل الروحي عموما.

📖 ٦. ولذلك من أهمية الليل والسهر فيه، يقول المرتل في المزمور "في الليالي ارفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب {مز ١٣٤: ٢}، أي "أيها القديسون ارفعوا أيديكم وباركوا الرب". وهذا المزمور بالأخص يتكرر كثيراً في عدة صلوات من صلوات الليل، لأن الليل تحسن فيه الصلاة لهدوءه، فنجد الكنيسة خصصت صلوات كثيرة لليل. الثلاثة هجعات الخاصة بنصف الليل، هي صلوات تقال بنصف الليل - وصلاة النوم - وصلاة الستار - يقالا في الليل.

📖 والمفروض صلاة الغروب في الهزيع الأول من الليل، أول الليل.

📖 بل أن صلاة باكر أيضاً بحسب طقس الكنيسة تقال في الفجر، نقول فيها "سبقت عيناي وقت السحر" في بداية اليوم، أو في أخر الليل.

📖 ٧. إذا صلوات كثيرة جدا تقال في الليل، أي: الصلوات كلها في الليل ما عدا صلوات الساعة الثالثة، والساعة السادسة، والساعة التاسعة. سبع صلوات من العشر صلوات تقال بالليل. وهكذا يكون السهر بالليل مجالا للصلاة، والوجود مع الله، والانفراد معه، "في الليالي ارفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب".

📖 الذي يكسب صداقة الليل يستطيع أن يسلك حسنا في النهار، لأنه في الليل الذي يقضيه في الصلاة يأخذ رصيدا من الروحيات، يساعده على السلوك الروحي بالنهار، يأخذ رصيدا من المشاعر الروحية يساعده في محاربات العدو بالنهار، وفي الاصطدامات بالناس في النهار، غالبا الشخص الذي يخطئ بالنهار لا يكون صلى حسنا

بالليل، وخاصة في الهزيع الأخير من الليل، أي "لم يبدأ اليوم بداية طيبة".

٨. لعلكم قرأتم في البستان قصة ذلك الأخ الذي كان مكلفا ببستان يرويه، وكان متعبا فيه، فذهب لأخ أخر مهتم بروحياته فقال له: يا أخي لقد تعبت في البستان، وليس لدي وقت لأرويه، فتعال وساعدني فيه، فقال له ذلك الأخ: اذهب أنت اروي بالنهار، وأنا أروي بالليل، وكان يقصد أنه يروي بالليل، أي: دموعه التي تسيل في الصلاة، وتروي بستانه الروحي لكي يزهر.

الليل فيه السهر للعمل الروحي، ولا نقصد كل سهر، بل نقصد السهر الروحي، لأن أشخاصا قد يفسدون الليل بتحويله إلى اللهو والعبث، أو أحاديث غير نافعة. الذي يسهر بالليل في العمل الروحي إذا نام يكون نومه مقدسا، وتكون أحلامه مقدسة.

إنسان يفرش مضجعه بالمزامير، ويغطي فراشه بالصلوات والتسابيح، لابد أن مضجعه يكون مقدسة، ولابد أن تكون أحلامه أحلامة روحية، لأن عقله الباطن يكون قد امتلأ بالروحيات قبل أن ينام، فلا توجد فيه أفكار داخلية إلا أفكار روحية.

يكون الله هو أخر ما يلصق بذهنه قبل أن ينام، كما يكون الله هو أول من يعود إلى ذهنه أول ما يستيقظ، بل يكون الله مصاحبا له في النوم، يصحبه الله في رحلة النوم، وفي مسالك الأحلام.

الشخص الروحي الذي يسهر في الصلاة: تكون أحلامه كأحلام دانيال، أو كأحلام يوسف الصديق، أو أحلامه كأحلام يعقوب أب الآباء، الذي رأى سلما تصل بين السماء والأرض، والملائكة يصعدون وينزلون عليها. هذا هو السهر الذي للجسد، إذا سهر الجسد في العمل الروحي.



سهر الروح:

📖 ١ـ لكننا نقصد أيضاً سهر الروح، وليس سهر الجسد فقط.
📖 سهر الجسد معناه: "عدم نوم الجسد بالليل".
📖 أما سهر الروح فيكون دائما: "بالليل وبالنهار".
📖 ولذلك في صلاة الأجبية تنبهنا إلى نوع أخر من النوم، أخطر من نوم الجسد، نوم الجسد ليس خطية، ولكن إذا زاد عن حده يتعب الإنسان. أما نوم الروح فهو الخطية حقاً، أصعب من نوم الجسد. ما تقوله الأجبية عن نوم الغفلة، نصلي ونقول "عندما نقف أمامك جسدياً، انزع من عقولنا نوم الغفلة".
📖 الإنسان الغفلان إنسان غير سهران على خلاص نفسه، والبستان يقول: الخطية يسبقها ثلاثة، أما الشهوة ـ أما الغفلة ـ أما النسيان ـ والغفلة معناها: "لا يوجد سهر روحي" ـ والنسيان معناه: "لا يوجد سهر روحي" ـ أما الشهوة فهي أصعب من الكل.

📖 ٢ـ لذلك إن كان سهر الجسد فضيلة، يكون سهر الروح أفضل.
📖 إن كان سهر الجسد مع الله فضيلة، يكون سهر الروح أفضل.
📖 الروح الساهرة حتى إن نامت، حتى إن نام الجسد تكون هي متصلة بالله، كما تقول قالت عروس النشيد "أنا نائمة وقلبي مستيقظ" {نش٥:٢} أي سهر روحي.
📖 لابد للإنسان أن يسهر بالروح دائما، لأن عدونا ساهر دائما، الشيطان قال للقديس أبو مقار "أنت تسهر، ونحن لا ننام"، الشيطان لا ينام أبداً، يقول عنه الكتاب في سهره "إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه هو" {ابط ٥:٨}، أسد زائر أي: سهران، وبقوة، وعافية. فإن كان عدونا ساهرا لا ننام نحن.

📖 **٣ـ أي ما معنى لا تنام روحيا؟**
📖 أي ابعد عن الغفلة ـ ابعد عن النسيان ـ انتبه لنفسك واحترس لروحك دائما، وراقب روحياتك بالليل وبالنهار ـ لا تسمح النفسك أن

تخطئ دون أن تشعر ـ لا تسمح للشيطان أن يسحبك دون أن تدري بل كن مستيقظا لنفسك ـ كن ساهر على خلاص نفسك، "طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين" {لو ١٢: ٣٧}.

📖 والكتاب يحرنا ويقول "لئلا يأتي بغتة فيجدكم نياما" {مر ١٣: ٣٤}.

📖 لذلك في هذا السهر يقول لنا السيد الرب "لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجم موقدة" {لو ١٢: ٣٠}، الأحقاء المنطقة رمز للاستعداد الدائم، والعمل المتواصل في الروحيات "ومصابيحكم موقدة" أناس ساهرون على خلاص نفوسهم.

📖 ٤. يعجبنا كثيراً ما قيل في قصة الميلاد عن الرعاة الذين ظهر لهم مجموعة من الملائكة يسبحون ويبشرون بالخلاص، قيل عنهم: إنهم كانوا رعاة "يسهرون في حراسات الليل" {لو٢:٨}. الليل فترة الظلام ـ فترة هجوم العدو ـ فترة النوم ـ فترة الغفلة ـ تحتاج لقلب سهران يحرس حراسات الليل، لئلا يأتيك العدو وأنت غافل، أو وأنت غير منتبه لنفسك، وأنت في حالة فتور، أو ضعف، ويجذبك إلى حيث لا يصلح لك، إلى حيث يريد هو، لا إلى حيث يريد الله، فتكون أنت ساهرا تحرس حراسات الليل كي تنجو منه.

📖 ٥. ويشبه هذا تقريبا ما قيل في سفر النشيد عن تخت سليمان {عرش سليمان} قيل "تخت سليمان حوله ستون جبارا من جبابرة إسرائيل {نش ٣:٧}، ستون جبار ماذا يفعلون؟

📖 "كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل" {نش٣:٨}، من هول الليل، هول الظلام، وهجمات العدو، ومحاربات الشياطين، والغفلة، وتسويف العمر باطلا. كل واحد سيفه على فخذه، ساهرا في حراسات الليل، العدو لا يأخذه في غفلة، ولا يضيعه دون أن يدري.

📖 مثل إنسان يخطئ ويقول لم أنتبه لنفسي، ما معنى هذا؟

📖 معناه أنه لم يكن ساهرا على خلاص نفسه، لذلك قال أنا غير منتبه.

📖 لكن الإنسان المنتبه لنفسه، الذي روحه ساهرة، لا يقل أنا غير منتبه، بل يقول "مبارك الرب صخرتي الذي يعلم يدي القتال، وأصابعي الحرب" {مز١٤٤:١}، سيفه على فخذه من هول الليل، ساهر يحرس حراسات الليل.

📖 ٧. لو كان هؤلاء الرعاة نائمين ما ظهر لهم الملائكة، وما سمعوا البشري بالخلاص. ولو كان المجوس نائمين، ما رأوا النجم في المشرق يدلهم على مكان المسيح.

📖 سيفه على فخذه من هول الليل، ساهر يحرس حراسات الليل، إذا سواء الرعاة، أو المجوس، كان هناك سهر، والرؤى المقدسة بالنسبة لكليهما كانت في حالة سهر.

📖 إشارة جيدة في الميلاد أن الله يعلمنا السهر، بولس الرسول حينما تكلم عن جهاده هو وزملائه قال "في أستهار في أصوام" {٢كو٦:٢}.

📖 وجيد أن نبدأ الصوم بالسهر الروحي، لكي يمر الاثنان معا، في أسهار، في أصوام، وسنبدأ صوم يونان إن شاء الله، وسنتذكر أن يونان وبخه رئيس التونية قائلا "ما لك نائما، قم اصرخ إلى إلهك" {يون١:٦}، أي السهر يناسب أيضاً دعوة يونان.

📖 ٨. والكنيسة كلما وجدتنا نائمين تقول لنا "قوموا يا بني الثور لنسبح رب القوات"، قوموا لأن النوم لا يناسبكم، بل يناسبكم السهر المستمر على خلاص أنفسكم، سواء سهر الجسد، أو سهر الروح، الاثنان معا لابد أن يمرا معا.

📖 الإنسان الذي ينام سواء بالجسد، أو بالروح، يسمع توبيخ السيد المسيح حينما قال: "ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة" {مت ٣٦: ٤٠}، انتبهوا الكلمة "معي" لأنه ليس مهم أنك تسهر فقط، بل المهم أن تسهر معه، أن تسهروا معي.

📖 فليسهر الإنسان في الليل، وخاصة الإنسان الذي يشكو من النهار

ويقول "ثقل النهار وحره، لم أحتمل لضعف بشريتي".

🕮 إن كان ثقل النهار وحره لم تحتمل، فالليل ليس به حر ولا ثقل، بل به الطبيعة الجميلة التي خلقها الله من حيث السماء الصافية، التي نقول فيها: القمر يسبح الله، والنجوم تسبح الله، والفلك يسبح الله.

🕮 هذه هي قصة السهر. لكن نريد أن نتأمل في سهر الروح:

🕮 ما معنى سهر الروح؟ ولما يسهر إنسان سهر روح ماذا يفعل؟

🕮 وما هي صفات الإنسان الساهر؟ صفات الإنسان الساهر.

🕮 ١. الإنسان الساهر هو إنسان يراقب نفسه دائماً ـ يراقب ماذا يفعل؟

🕮 لا يحاسب نفسه فقط بعد العمل، بل يراقب نفسه قبل أن تفعل شيئا يستحق المحاسبة، ينتبه لنفسه ماذا تفعل ـ وأين تسير ـ وإلى أين تذهب؟ كما كان القديس أرسانيوس في سهره الروحي يقول لنفسه، دائما "تأمل يا أرساني فيما خرجت من أجله" انتبه لنفسك ـ وكن يقظة ـ أين أنت ـ وأين تسير ـ وإلى أين تذهب ـ تأمل يا أرساني فيما خرجت لأجله.

🕮 ٢. إنسان يراقب نفسه من الداخل، ويراقب تصرفاته من الخارج، ويراقب حروب العدو من الخارج أيضاً.

🕮 **من الداخل:** يراقب نفسه ـ يراقب مشاعره ـ وأفكاره ـ واتجاهاته ـ وميوله ـ ويراقب رغباته ـ وشهواته ـ دوافعه الداخلية.

🕮 **ومن الخارج:** يراقب تصرفاته ـ وحركات العدو ـ ويراقب الجو الخارجي، ومدى تأثيره عليه، لئلا يجرفه التيار وهو لا يدري.

🕮 لابد أن يكون ساهرا على نفسه، لئلا يتشكل بتأثيرات خارجية وهو لا يشعر، هذا إن كان غير ساهر على نفسه، لئلا الدوامة تأخذه وهو غير منتبه لنفسه، لابد أن يكون ساهرا ليرى ماذا يحدث منه، وماذا يحدث له.



🕮 ٣. الإنسان الساهر لا يوقع نفسه في تجربة، لا يترك الخطية تجذبه إليها وتورطه، إنما ينتبه من البداية لأنه ساهر على خلاص نفسه.

🕮 ينتبه من البداية قبل أن يتورط، ويقول للخطية "طوبى لمن يمسك أطفالك، ويدفنهم عند الصخرة" {مز ١٣٧: ٩}، "أطفالك" وهم ما زالوا صغارا ويدفنهم عند الصخرة، والصخرة هي المسيح.

🕮 كما يقول القديس دوروثيئوس "فرق كبير بين أن تشد عشبة من الأرض فيخرج في يدك بسهولة، وبين أنك تنتظر أن تصبح شجرة كبيرة، ويكون خروجها من الأرض ليس بسهل".

🕮 فالإنسان الساهر يرقب الأخطاء من بدايتها، ولا يترك التدرج يسحبه لأسفل، أي لا يجعل الخطية تتدرج وتزداد وتنمو عنده، حتى تتعبه. بل الإنسان الساهر على نفسه وخلاصها، ينتبه للخطايا الخفية، والخطايا الغير ظاهرة، ويحاول أن يتكشفها، ويتكشف أصولها داخل نفسه، أو حروبها خارج نفسه.

🕮 ٤. الإنسان الساهر على خلاص نفسه، ليس فقط يرقب نفسه دائماً، إنما بالأكثر يزداد سهره، ويزداد حرصه، وتزداد رقابته لنفسه في فترات الضعف، وفترات الفتور، وفترات المحاربات.

🕮 ينتبه لنفسه لأنها فترات غير عادية: مثل إنسان يكون معرضاً للمرض أكثر، فيكون منتبها لنفسه أكثر في فترات الضعف، ينتبه من الانحدار البطئ غير الملحوظ، وما أكثره.

🕮 الإنسان الساهر على خلاص نفسه: يرقب التغييرات التي تحدث في حياته، يجد نفسه بدأ يتغير فينتبه لنفسه، ولو تغير بسيط ينتبه لنفسه،

🕮 هل له نفس الحرص القديم، أم تغير؟

🕮 هل له نفس الحب القديم أم تغير؟

🕮 هل له نفس الحرارة القديمة أم تغير؟

🕮 يحترس أيضاً من كل جديد يطرأ عليه، يختبره هل هو صالح أم غير صالح، يحترس من الأفكار الجديدة التي تدخل لنفسه، وما أسهل

أن بعض الناس يقرأون فيعتنقون ما يقرأونه، حتى لو كان خطأ ـ غير منتبه لنفسه ـ غير ساهر على نفسه.

📖 ٥. ينتبه من الحروب التي تطرأ عليه، وخاصة في ظروف معينة.
📖 الإنسان الساهر على خلاص نفسه، من أجمل التشبيهات له، مثل: الزارع الذي ينتبه لزراعته، يرقب الزرع ويرى ما هي الآفات التي تصيبه، هذه آفة تحتاج ترش، وأخرى تحتاج أن تنقى وتنزع. يرقب الأوقات التي تحتاج غذاء خاصة، وسمادا خاصا، يرقب الأوقات التي تحتاج للري، يرقب زرعه من الحرارة وتأثيرها عليه، يرقب البرد وتأثيره عليه، ينظر إلى الزرع ويراه هل هو في نضرة وخضرة، أم في ذبول أم في اصفرار؟ يرقب النمو، ساهرا على زرعه.
📖 أما الزارع الذي لا يسهر على زرعه: ما أسهل أن تتلفه الآفات، أو عوامل الطبيعة، أو قلة الغذاء، أو أي سبب أخر. ساهر على زرعه، ينظر إلى مزروعاته ويصلي من أجلها ويقول "أصعدها كمقدارها ... فرح وجه الأرض، ليرو حرثها، ولتكثر أثمارها".

📖 ٦. الإنسان الساهر على خلاص نفسه: يهتم أيضاً ليس فقط بالسلبيات، بل أيضاً في الإيجابية من جهة نمو ذاته.
📖 هل ذاته في نمو أم في توقف؟ لأنه إن لم يكن هناك نمو، وكان هناك توقف، يمكن عرضا يضيع، ويرجع للوراء.
📖 هو يراقب كل تطور يحدث في نفسه، يراقب الأخطاء الثابتة التي فيه ـ الخطايا التي تتكرر في كل اعتراف ـ الأخطاء التي قربت أن تتحول إلى عادة، وإن تركها قد تتحول إلى طبع أو طبيعة ـ هو يراقب نفسه أكثر مما يراقبه الناس، وينقد نفسه أكثر مما ينقده الناس، وينصح نفسه ويصلح نفسه. إنسان ساهر على خلاص نفسه.

📖 ٧. هذا الإنسان الساهر: يكون دائما له خبرات روحية من جهة عدو الخير، كما قال بولس الرسول "لأننا لا نجهل أفكاره" {٢كو ٢: ١١}، ولذلك لا يستطيع العدو أن يجده فريسة سهلة، لا يضربه شمال، أو يضربه يمين، ومع ذلك نحن لا ننكر أن هناك فترات ضعف، قد تغفو فيها الروح، وحينما تغفو الروح تقف الملائكة حولها لتوقظها، تربت على كتف هذه الروح الغفلانة التي تركت تسابيحها وقيثارها ومزمارها، وتقول "استيقظ أيها المزمار والقيثار".

📖 الإنسان الغافل يحتاج لأخر يوقظه من الخارج، على الأقل مرشد روحي، أو نعمة الله وزيارتها، أو حادث من الأحداث، أو أي شيء.

📖 لكن طوبى للإنسان الذي لا يحتاج إلى دوافع خارجية لكي يحفظ سهره، بل هو ساهر دائما. يأتي العدو فلا يجد له مكانا فيه، لأن كل أماكنه محصنة.

📖 الإنسان الساهر هو إنسان محصن، الإنسان الساهر هو الذي يستطيع في صلاة النوم أن يقول لنفسه "سبحي الرب يا أورشليم ... سبحي إلهك يا صهيون" لماذا؟ "لأنه قد قوى مغاليق أبوابك وبارك نيك فيك" {مز١٤٧: ١٢- ١٣}.

📖 ٨. جيد أن تعطينا الكنيسة هذا المزمور في أخر صلاة النوم، لكي تعرفنا ما فائدة السهر، فائدة السهر أن تصبح حصونك في سلام، تخومك في سلام، يقوي مغاليق أبوابك.

📖 السهر يبذل فيه الإنسان جهدا في أوله، ويتحول إلى طبيعة فيما بعد. أي إنسان ينتبه دائما دون أن يحتاج إلى مجهود، يتحول السهر فيه إلى طبيعة، إنسان ليس فريسة سهلة، تكون حواسه حواساً روحية متيقظة، ليست فقط متيقظة من جهة الخطية والحروب، وإنما متيقظا لصوت الله وهو يناديه.

📖 ويكون متيقظا للدعوة الإلهية، لأن الله كثيراً ما ينادي الإنسان، والإنسان لا ينتبه، وكثيرا ما ينصح الله إنساناً، ويرشده في طريق،

وهو غير منتبه، لأنه ليس ساهرة.

📖 ٩. من ضمن فائدة السهر: عبارة جميلة تقولوها في نصف الليل ولها أهميتها، نقول "والمستعدات دخلن معه إلى الغرس وأغلق الباب" {مت ٢٠: ١٠}، المستعدات اللاتي دخلن معه هن الساهرات.

📖 فهل أنت مستعد إذا جاء الرب أن تدخل معه لعرسه؟ أم تقول له يارب أعطني فرصة لأني غير مستعد، لأني لم أنتبه لنفسي.

📖 الرهبان بوجه عام: من ضمن فضائلهم السهر الروحي ـ السهر الدائم الذي لا يعرف نوماً ولا غفوة ـ ويكون مستعد للقاء الرب في كل وقت. فليعطنا الرب هذا السهر، حتى نكون مستعدين للقائه، وحتى لا نفقد هدفنا الروحي في أي لحظة.

📖 الإنسان الغير ساهر: ليس فقط قد يفقد بعض روحياته، بل قد يفقد أهدافه، فينجرف، ويضيع، ويجرفه التيار.

له المجد دائما

عظات رهبانية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٨١ ـ ٢٩١

{٢}

الجدية في الحياة الروحية

باسم الأب والابن والروح القدس
الاله الواحد آمين

📖 كيف يأخذ الإنسان الحياة الروحية بطرق جدية؟

📖 الجدية بها نوع من الرجولة، وبها نوع من الاتزان، وقوة الشخصية، وإنسان يحترم نفسه، ويحترم المبادئ والقيم. وأيضا في الجدية في التعامل مع الناس، يحترم الناس.

📖 ١. الفرق بين القديسين والناس العاديين، أن القديسين أخذوا الحياة الروحية بجدية، دخلوا في الحياة معه بأسلوب جاد منذ بدأوا الحياة مع الله بطريقة جدية، لا تراخي، ولا تهاون، ولا تسيب، ولا إهمال، ولا تعريج بين الفرقتين، ولا رجوع للوراء.

📖 خذوا مثالا لهذا قديسي التوبة: لما تابوا كانت التوبة بالنسبة لهم نقطة تحول للحياة لا رجوع فيها. لما موسى الأسود تاب لم يعد للخطية مرة أخرى ـ لما أوغسطينوس تاب لم يعد للخطية مرة أخرى ـ لا مريم القبطية ـ بيلاجية ـ سارة ـ القديسات التائبات المشهورات لما تبن لم يعدن للخطية مرة أخرى، أخذوا التوبة بطريقة جادة، ساروا في طريق التوبة بطريقة جدية، لذلك أمكن أن يجتازوا التوبة إلى النقاوة، إلى القداسة، إلى الكمال.

📖 كذلك الراهب الذي يأخذ الروحيات، والحياة الرهبانية بطريقة جدية، وكل يوم يتقدم خطوة وراء خطوة، ولا يعود إلى أسلوبه العلماني مرة أخرى.

📖 ٢. هناك رهبان يبكون على خطاياهم، قاصدين الخطايا القديمة لما يقول "أدخل إلى قلايتك وابك على خطاياك" لكن يكون مؤلم جدا لما يكون إنسان يبكي على خطاياه، ويقصد خطايا جديدة يفعلها الآن، أي: لم يكفه خطايا العالم، إنما أيضاً الآن هناك خطايا ترتكب. إذا الإنسان لم يتب بعد، ولم يأخذ الرهبنة بطريقة جدية.

📖 القديس أرسانيوس كان داخلا للرهبنة بطريقة جدية، وكان كل يوم يحاسب نفسه: ماذا فعلنا مما يرضي الله؟ وماذا فعلنا مما لا يرضي الله. الآباء الذين ارتفعوا في طريق الرهبنة بقوة، أخذوها بطريقة جدية، مثل: مكسيموس ودوماديوس، وصلوا بسرعة، أحدهما كانت لحيته لم تنبت بعد ـ يوأنس القصير ـ تادرس تلميذ الأنبا باخوميوس ـ الأنبا شنودة من صغره كان يصلي وأصابعه تضئ كأنها شموع ـ مرقس المتوحد وهو طفل كان يصوم للساعة التاسعة. أخذوا الأمور

بطريقة جادة.

📖 ٣. كلمة عجيبة تخيف من لا يأخذ الأمور بطريقة جادة، يقول الكتاب "ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة" {إر٤٨: ١٠}، أي يكون متراخيا في عمل الرب، ولا يسلك بطريقة جادة.

📖 الذين تبعوا الله في حياة القداسة كان كل عمل من أعمالهم جاداً، أي خذوا إبراهيم أب الآباء مثالا، دخل في حياة الطاعة، التزم بالطاعة، وكان جاداً فيها، حتى لما قيل له قدم ابنك أطاع، وقال لنقدم ابننا، نحن سرنا بجدية في الطاعة، إذا لنسر جادين للنهاية.

📖 ٤. الإنسان الذي يسلك بجدية دائما يكون ناجحا، يكون ناجحا ويتقن كل عمل يعمله، سواء كان عملا رهبانياً، أو أي مسئولية تعطى له، لأنه يأخذها بطريقة جدية، وعنده عنصر المثابرة والاجتهاد، والجهاد في الحياة الروحية.

📖 يجاهد إلى أبعد الحدود، يعطي الله كل قوته، وكل إمكانياته، وكل إرادته، وكل قلبه. يعمل بكل النعمة المعطاة له، ولا يقصر في شيء، كل يوم يزداد التصاقا بالله، وقربة منه، ويزداد عمقاً في المحبة الإلهية، يزداد فهماً للفضيلة، والممارسة لها.

📖 لذلك يدخل في النمو الروحي باستمرار، وكل سنة تكون علاقته بالله أفضل من السنة التي سبقتها، وكل يوم يكون أفضل مما قبله، لأنه أخذ الروحيات بطريقة جادة.

📖 إذا كان هناك تدريب روحي يأخذه بطريقة جدية، ولا يوجد لنفسه عذرا في كسر قانونه، أو في كسر تداريبه الروحية، صدق الذي قال "إن طريق جهنم مفروش بالأعذار وبالتبريرات". كل خطية الإنسان يعذر نفسه فيها، ويحاول أن يجد لها سببا، لكن الإنسان الجاد في حياته إذا وجد صعابا يحاول أن ينتصر عليها وليس أن يعتذر بها.

📖 الإنسان الجاد لا يسلك بتكاسل في روحياته، دائما نشيط "حار

بالروح" {أع ١٨: ٢٠}، كما قيل عن القديس الأنبا إشعياء المتوحد.

📖 معلمنا بولس الرسول يقول "اركضوا لكي تنالوا" {اكو ٩:٢٦}، لم يقل "سيروا في طريق الله" بل قال "اركضوا"، من الذي يركض؟ الذي أخذ الحياة الروحية بطريقة جادة.

📖 الذي يسير في الروحيات بجدية يبذل كل جهده، ولا يحاول أن يتكل على المعونة الإلهية، أو مجرد عمل النعمة، إنما يشترك مع الله في العمل بكل جهده، لأن النعمة ليست مجالا للكسل.

📖 الذي يأخذ الحياة الروحية بجدية يتعب من أجل الله، مثلما قيل لملاك كنيسة أفسس "أنا عارف أعمالك، ومحبتك، وخدمتك، وإيمانك، وصبرك" {رؤ ٢: ١٩}.

📖 أو كما قال الرب للقديس بولا الطموهي "كفاك تعبأ يا حبيبي بولا"، تخيلوا إنسانة يتعب حتى يقول له الله "كفاك تعباً"؟، "كفاك تعباً يا حبيبي بولا".

📖 ٦. الإنسان الجاد آمين في علاقته بالله، وأمين في علاقته بنفسه، لا يقبل الحلول الوسط، ولا يتساوم في الروحيات، إنما هدفه باستمرار الكمال "كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل" {مت ٥: ٤٨}.

📖 يوسف الصديق كان يمكنه أن يبرر نفسه، لأن ظروفه صعبة، والضغوط التي كانت عليه من الخارج، ولكنه كان جادا في روحياته، ولذلك قيل عن الرجل البار "كل ما يصنع ينجح فيه" {مز ١:٣}، لماذا ينجح فيه؟ لأن كل عمل يعمله بطريقة جادة، في حياة الرهبنة بطريقة جادة، في حياة الخدمة بطريقة جادة، في وسائط النعمة بطريقة جادة، في كل مسئولية بطريقة جادة.

📖 ٧. الإنسان الجاد لا يدلل نفسه، ولا يحابي ذاته، لا يحاول أن يريح نفسه على حساب روحياته، وإنما يعمل بنشاط بحزم، يتقدم بسرعة

بلا تردد، يسعى أن يسلك في المثاليات بقدر ما يستطيع.
📖 الذين لم يسلكوا بجدية في روحياتهم ضيعوا أنفسهم، سواء جدية الهدف، أو جدية تنفيذ الهدف، ويفقدون الالتزام عندما يفقدون الجدية.
📖 لنقارن بين اثنين: يفتاح الجلعادي نذر نذر أن أول شخص يقابله في الطريق يقدمه محرقة لله، فكان أول شخص يقابله ابنته الوحيدة، وكان جادا لذلك قال لتقدم، لا تريد أن نحكم على عمله بالخطأ أو بالصواب، لكن نريد أن نقول - لأن الكتاب ذكره في رجال الإيمان في {عب ١١} - نريد أن نقول ما هذه الجدية؟ لأنه قال كلمة جادة.

📖 ٨. وإنسان لم يسلك بجدية فضيع نفسه، وفقد التزامه، شمشون الجبار، لديه نذر، لكنه تراخي فيه قليلا قليلا، حتى فقد نذره، وفقد قوته، وأضاع نفسه لفترة طويلة.
📖 بنو إسرائيل لما خرجوا من أرض مصر، لم يسلكوا بجدية في علاقاتهم بالله، إطلاقاً، لذلك كل حين يدخلهم التذمر والتعب، حتى أتى وقت قالوا "ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم" {خر ١٦:٣}، أي ندموا أنهم ساروا وراء الله.
📖 الذي لا يسلك في الروحيات بجدية، قد يصل إلى هذا الندم في وقت من الأوقات، يندم أنه سار مع الله، أما الذي يجاهد باستمرار، فمن حرارة الجهاد لا يفكر في الخلف، ولا في الوراء، دائما يتقدم إلى قدام، يمتد إلى قدام من حرارة الجهاد في الجدية، هدفه ثابت أمامه، وواضع كل اهتمامه في هذا الهدف، ويتقدم نحو هذا الهدف يوما بعد يوم، الغير جاد في رهبنته لا يوجد هدف أمامه واضح، فتسير الأمور كما تشاء، عدم وضوح الهدف، أو عدم ثبات الهدف، يجعل حياة الإنسان غير مستقرة.

📖 ٩. الجاد في روحياته ينفذ باستمرار، وغير الجاد يناقش، حتى في كل فضيلة، وفي كل مبدأ يناقش، لا يريد أن يلتزم بشيء، المناقشة

عنده بدل التنفيذ، لكن الذي يسير بجدية ينفذ ولا يناقش، ولا يضيع الوقت في المناقشة.

الإنسان الجاد في روحياته يتقدم دون رجوع، ولا توجد نكسات في حياته الروحية، أما غير الجاد فإنه يعلو حيناً ويهبط حينا أخر، يسير قليلا ويتراجع قليلا ويقف قليلا، لا يثبت على حال، كما الذي يبني ويهدم، والذي ينمو فيه في أسبوع يفقده في أسبوع أخر، لا يأخذ الأمر بطريقة جادة، قلبه غير خالص لله، غير راسخ، يبدأ يعيد النظر في المبادئ التي سار فيها.

١٠. الجاد لا يهتم بهواه الخاص، ويغصب نفسه كل حين من أجل تنفيذ وصايا الله، ومن أجل الوصول إلى متعته الروحية في الله.



الإنسان الجاد في روحياته لا يهتم بالشكليات، بل يهتم بجوهر الروحيات. الشكليات لا ترضيه، ولا تقنعه، قيل عن إنسان جاد في روحياته قال "لا أتذكر أن الشياطين أطغوني مرتين في خطية واحدة". يكفي أنه لو سقط مرة يأخذ منها درسا فلا يسقط مرة أخرى، لعله في سقوطه المرة الأولى لم يكن منتبها، أو عن جهل، لكن لا يسمح أنه يسقط مرة أخرى.

من ضمن الذين سلكوا مع الله بطريقة غير جادة وقصتها مأساة، امرأة لوط: خرجت بالفعل من أرض سدوم، لكنها لم تكن جادة في الخروج، الملاك كان ممسكا بيدها، وهو يخرجها، وفيما يدها في يد الملاك لم تكن أيضاً جادة، وتحولت إلى عمود ملح، ويدها في يد الملاك، لأن خروجها من أرض سدوم لم يكن بقلب خالص، ولا بطريقة جدية.

حنانيا وسفيرة: أرادا أن يعطيا أموالهما الله، ولكن ليس بطريقة جدية، فدفعا ما دفعاه، ودفعا حياتهما أيضاً ثمنا لعدم جديتهما.

١١. الإنسان الجاد لا يعرج بين الفرقتين، إنما يثبت وجهه نحو أورشليم، ولا يتغير سواء في العبادة، أو التداريب الروحية، أو المعاملات مع الناس، أو في وعوده لله، أو في تعهداته، أو في النظام الذي يثبت عليه، أو يوضع له، يكون جاداً في كل نظام ويثبت فيه.

أنظروا الجدية التي يقول عنها الكتاب في أولاد الله، يقول: "كل من ولد من الله لا يخطئ" {إيو٠:١٨}، ومرة يقول "لا يستطيع أن يخطئ" {إيو ٣: ٩}، أي لا يعرف كيف يخطئ، " والشرير لا يمسه" لماذا؟ لأنه جاد كالصخر، لا تهزه الأنواء، ولا الأمطار.

الشخص الجاد لا يبحث عن الطريق السهل، ولا يخاف من الباب الضيق، إنما يقابل الصعوبات في الروحيات بقلب ثابت وبإيمان ثابت، الإنسان غير الجاد ربما ينام ويحلم بالملكوت، يحلم أن النعمة حملته ودخلت به للملكوت، أما الجاد فيجاهد لكي يغتصب هذا الملكوت اغتصاباً، لو نام يحلم به، لكن لو استيقظ يناله ولا يحلم به.

١٢. الإنسان الجاد يكون لديه فضيلة الالتزام في حياته، يلتزم بكل كلمة، وبكل نذر، وبكل تعهد، وبكل تدريب، يلتزم بقيم ومبادئ، بل يلتزم أيضاً بما يقوله في الصلاة، فنحن نقول: "اغفر لنا كما نغفر نحن أيضاً"، "كما نغفر"، ولا نلتزم بها، ولا نأخذها بجدية.

نقول في صلواتنا "بدموعي أبل فراشي" {مز ٢: ٩}، ولا نلتزم بها، ولا نأخذها بجدية. نقول "يا الله إلهي إليك أبكر" {مز١٣:١}، ولا تلتزم بها، ولا نأخذها بجدية.

الشخص الذي لا يلتزم، تقف أمامه أمور يبرر بها عدم التزامه، مثل: مسألة الحرية. مسألة النعمة. مسألة المرونة. هذه أمور نتكلم فيها فيما بعد.

له المجد دائما آمين

عظات رهبانية - قداسة البابا شنودة الثالث - صفحة ٣١٥ - ٣٢٠



{١٣}
قداسة البابا شنودة الثالث

{١} كتاب اليقظة الروحية	{٢} الوقت بالنسبة للراهب	{٣} كتاب: السهر الروحي
{٤} الهدف الروحي وثباته	{٥} تبدأ وتستمر	{٦} الأمانة ـ الأمانة في القليل
{٧} الجدية والتدقيق		

كتاب اليقظة الروحية
قداسة البابا شنودة الثالث

{١} معني اليقظة	{٢} دوافع اليقظة	{٣} مشاعر تصاحب اليقظة

{١} معني اليقظة

📖 الإنسان الذي يعيش في الخطية، بعيدا عن الله، يشبهُ الكتاب المقدس بإنسان نائم، لا يدري بنفسه، ولا بحالته، كيف هو! فهو محتاج أن يستيقظ. لذلك يقول الرسول: "إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم" {رو١٣:١١}، أي أنه كفانا نوما.

📖 كفى الوقت الذي قضيناه متغافلين عن روحياتنا، وخلاص أنفسنا، ويجب الآن أن نستيقظ، الآن بلا تأجيل، ولا تأخير، وهكذا يتابع الرسول كلامه فيقول: "أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم، فإِن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا. • قد تناهى الليل وتقارب النهار. فلنخلع أعمال الظلمة، ونلبس أسلحة النور".

📖 والكنيسة أيضاً تستخدم معنا نفس التعبير:

📖 ففى نصف الليل تضع لنا تسبحه، تقول في أولها: "قوموا يا بنى النور لنسبح رب القوات، لأنه أنعم علينا بخلاص نفوسنا" قوموا، استيقظوا جسديا وروحيا، لكي نسبح. ولذلك نقول بعد ذلك للرب في

نفس التسبحه: "عندما نقف أمامك جسديا، انزع من عقولنا نوم الغفلة، أعطنا يارب يقظة لكي نفهم كيف نقف أمامك وقت الصلاة ... ونفوز بغفران خطايانا"

📖 نعم انه نوم الغفلة، الذي نريد ان نستيقظ منه:

📖 بل أن القديس بولس لا يعتبره نوما فقط، بل ما هو أكثر من هذا: "إنه موت"، لأن الخطية هي موت والخطاة "أموات بالخطايا" {اف٢:٥}. لذلك يقول الرسول: "استيقظ أيها النائم، وقم من الأموات، فيضئ لك المسيح" {اف٥:١٤} قم، أنتبه لنفسك. ارجع إِلى الصحو، لتدرى ما أنت فيه. أستيقظ، وأترك أعمال الظلمة، فيضئ لك المسيح، وتنتقل من الموت إِلى الحياة {لو ١٥:١٧}

📖 الشخص الخاطئ كإِنسان مخدر، لا يدري ما هو فيه:

📖 إحساسه الروحي معطل، فهو لا يحس ما هو فيه، ولا ماذا يفعل، ولا خطورة وجسامة ما يفعله. على رأى المثل: "سارقاه السكين". هو في غفلة، خارج نفسه. ولذلك حسنا قيل عن الإِبن الضال لما استيقظ روحيا، إِنه: "رجع إِلى نفسه" {لو ١٥: ١٧}.

📖 الإنسان في الخطية، في دوامة، ينسى فيها روحه، وينسى الله، وينسى القيم والمثل، إِنه في غفوة، لا يشعر بكل هذا. وربما يظن نفسه في ملء اليقظة، ويملأ الدنيا نشاطا وحركة! بينما الملائكة تصرخ ما بال هذا الإنسان نائما؟ وإِلى متى يستمر في نومه؟ إِنه يحتاج إِلى من يوقظه، يوقظ ضميره وروحه، يقيمه من بين الأموات، ليضيء له المسيح.

📖 حقا إن الشيطان، حينما يريد أن يوقع شخصا، يخدر ضميره أولا، أو يقوده بطريقه ما إِلى حالة الغفوة، والغفلة هذه التي تعطل الحس

الروحي، فلا يدرك ما هو فيه.

🕮 هنا وأريد أن أقدم لك صورة، لحالة الخاطئ في غفلته: تصوروا كرة تتدحرج من فوق جبل عال، كرة القيت من فوق جبل عال فأخذت تتدحرج تباعا، في إندفاع مستمر من فوق إلى أسفل، وهى لا تملك ذاتها لتقف وتقول أين أنا؟

🕮 إنما هي تتدحرج وتتدحرج، بلا فكر، بلا وعى، بلا حس، بلا إرادة، قوة الدفع تجذبها باستمرار إلى أسفل، خطوة تسلمها إلى خطوة، ودحرجة تسلمها الى دحرجة، بلا هوادة، وهي لا تعرف إلى أين يقودها كل هذا، ولا تشاء أن تقف، أو لا تستطيع أن تقف.

🕮 ولكن إلى متى؟ إلى أن يصدمها حجر كبير في إنحدارها يعترض طريقها ويوقفها، ويقول لها الى أين أنت ذاهبة؟ إلى أين تتدحرجين؟ أفيقي إلى نفسك. إستيقظي. هذا الإنحدار المتتابع يقودك إلى الضياع! فتقف. وقد تنظر، فتجد أنها هبطت كثيراً عن مستواها السابق.

🕮 هكذا الخاطئ، يحتاج إلى أن يستيقظ، وإن لم يستطيع، لابد من أن يوقظه غيره، اسمعوا ماذا يقول المزمور: "أنا أضجعت ونمت ثم استيقظت لأن الرب معي، لابد من اليقظة، ومن معونة الله فيها.

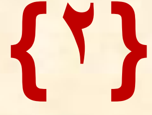
🕮 وسعيد هو الإنسان، الذي لا يطول به النوم.

🕮 وكما يقول المرتل في المزمور: {أنا أستيقظ مبكرا} {مز ٥٧}.

🕮 كل إنسان معرض للغفو ة في حياته الروحية، فترات قد تمر على الكل، مع اختلاف في النوعية والمستوى، أما الروحيون فإنهم يتنبهون بسرعة، ويفيقون لأنفسهم.

كتاب اليقظة الروحية - صفحة ٧ - ١٠





دوافع اليقظة

{٢} دوافع اليقظة		١- محبة الله لنا
٢- رفض الله للخاطئ	٣- رفض الكنيسة	٤- الضيقات والضربات
٥- الفشل وشماتة الأعداء	٦- تدخل القديسين	٧- الذكريات القديمة
٨- تأثير وسائط النعمة	٩- التأثر بموت الآخرين	١٠- السقطة غير المحتملة

{٢} دوافع اليقظة

📖 لا بُد لكل غافل أن يستيقظ: والكنيسة تعلمنا أن نقول في صلاة نصف الليل: "انظري يا نفسي، لئلا تثقلي بالنوم، فتلقى خارج الملكوت". "تفهمي يا نفسي ذلك اليوم الرهيب واستيقظي، وأضيئى مصباحك بزيت البهجة". بما أن الديان حاضر، اهتمي يا نفسي وتيقظي، وتفهمي تلك الساعة المخوفة". إنها دعوة من الكنيسة لليقظة، ولكن:



📖 كيف يمكن للنائم روحيا أن يستيقظ؟

📖 وكيف استيقظ الخطاة من قبل؟

📖 وكيف تحول بعضهم، ليس فقط من خطاة إلى تائبين، وإنما من خطاة إلى قديسين؟ ما هي الوسائل والدوافع إلى يقظة الإنسان، سواء كانت ذاتية، أو خارجية؟ هذا ما نود أن نتحدث عنه الآن:

📖 إن الله لا يترك الإنسان في غفلته. لأنه يريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون {١ تي ٢: ٤}. فالإنسان الغافل عن خلاص نفسه، لا تظنوا أن الله يغفل أيضاً عنه، بل على العكس يسعى إلى إيقاظه، بأنواع وطرق شتى، لعل في مقدمتها أعمال محبته.

كتاب اليقظة الروحية - صفحة ٣٨

📖 {١} محبة الله لنا:

📖 أناس كثيرون استيقظوا بسبب محبة الله لهم. فعلى الرغم من تركهم

له، ونسيانهم له، وجدوا أن محبته تحصرهم بشدة، وعطفه يتزايد عليهم، ويده تقرع على أبوابهم. وأحس هؤلاء بالخجل من محبة الله الذي نسوه، فرجعوا.

🕮 أحيانا يخجل الإنسان من محبة له، وعنايته به، على الرغم من كثرة خطاياه. فتهز هذه المحبة أعماق نفسه، فيستيقظ ضميره. ويخجل من الله الذي ما زال يعطف عليه، وهو في عمق سقوطه!

🕮 فيقول له: "أنا يا رب مكسوف منك. أنت عاملتني بطريقة أخجلتني أمام نفسي. إنني أخجل من أن أخطئ إليك مرة أخرى. نبلك يخجلني".

🕮 من ضمن الذين أيقظتهم محبة الله: زكا العشار.

🕮 كان غارِقًا في الظلم، والقسوة. وذهب ليرى المسيح، لا حبًا، ولا إيمانًا، إنما بقصد الفرجة على شخص مشهور تزحمه الجماهير.

🕮 كل ما كان يريده أن يرى المسيح ولو من بعيد، وكفى. من أجل هذا تسلق شجرة ليرى. وإذا به يفاجأ بأن هذا الرجل العظيم، صاحب المعجزات المبهرة، يقف عنده، يلتفت إليه التفاتة خاصة، من دون هذه الآلاف المحيطة به، وأكثر من هذا يناديه باسمه.

🕮 ويستضيف نفسه عنده، قائلًا له أمام هذه الجموع التي تحتقر العشارين: "يا زكا، أسرع، وانزل، لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك" {لو ١٩: ٥}. وإذا بزكا تأسره هذه المحبة، وهذا النبل، من جانب السيد المسيح، الذي من أجله احتمل تذمر الناس عليه بقولهم: "إنه دخل ليبيت عند رجل خاطئ".

🕮 وهذه اللفتة الكريمة، والمحبة الخاصة، أسرت قلبه، فاعترف بخطاياه التي لم يعيره بها المسيح. وتاب عنها وقال: "ها أنا يا رب أعطى نصف أموالى للمساكين. وإن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف". ونجحت محبة الرب في إيقاظ زكا، و: "حصل خلاص لهذا البيت".

🕮 ومثال ذلك أيضاً تلميذ أهمل دروسه جدًا، لدرجة اليأس الكامل من النجاح. ثم ألقى نفسه أمام الله وبكى، وهو في حياة خاطئة بعيدة عن الله. ولكن الرب عامله برحمة عجيبة، ولم يتخل عنه بسبب خطاياه، وبسبب إهماله، ونجح بشبه معجزة. فلم يستطيع أن ينسى جميل الرب وتاب.

🕮 أو شخص أنقذه الله من فضيحة تحطم حياته، وستر عليه، وهو في عمق السقوط، فإذا بمحبة الله تعصر قلبه ويقول: "محال أن ابعد عن الله الذي عاملني بهذا الحب العجيب، وسترني. وكما أن البعض أيقظتهم محبة الله، وهناك من أيقظهم رفضه لهم، فشعروا بالضياع الذي يعيشون فيه، واستيقظوا.

كتاب اليقظة الروحية ـ صفحة ٣٩ ـ ٤٠



🕮 {٢} رَفْض الله:

🕮 ولعل أبرز مثل لذلك: مريم القبطية:

🕮 كانت تعيش في فساد كامل، وفي كل يوم تكون سببا في إسقاط كثيرين. واستمرت على هذا الوضع سنوات طويلة، لا تفيق لنفسها، بل تتمادى. ثم ذهبت إلى القدس للزيارة، لا لتنال بركة، إنما لتمارس فسادها في الزحام.

🕮 ولما سارت نحو الأيقونة المقدسة، شعرت إنها قد تسمرت في مكانها، ولم تستطيع أن تتقدم كالباقين. وبذلت قصارى جهدها فلم تفلح، كانت كأنها مربوطة إلى الأرض. ولم يسمح لها الرب أن تنال البركة كغيرها. وإذ شعرت برفض الله لها، تذكرت خطاياها، وخجلت من نجاساتها، وأفاقت من تخدير الخطية لها، وتشفعت بالسيدة العذراء، ونذرت أن تتوب، وتحيا في طهارة، وهنا فقط شعرت بأنها تتقدم بلا مانع.

🕮 وكانت النتيجة أن حياتها تغيرت كلية، وترهبت، وعاشت في نسك

عجيب، منفردة في البراري في حياة السواح، وصارت قديسة عظيمة، صنع الله بها عجائب، وتبارك منها القديس الأنبا زوسيما القس، وكتب لنا سيرتها.

📖 إن لطف الله إنما يقتاد إلى التوبة. ولكن إن كان البعض يستغل محبة الله استغلالًا رديئًا، ويحيا في استهتار، ولا مبالاة، فهذا قد يوقظه الرفض، أو التجربة، أو الضربة الشديدة، وقد يأتي الرفض من الله مباشرة كما في مثال مريم القبطية، وقد يأتي من الكنيسة.
كتاب اليقظة الروحية - صفحة ٤١

📖 {٣} رفض الكنيسة:

📖 ومن أمثلة الذين أيقظهم رفض الكنيسة: القديسة مرثا.

📖 كانت امرأة خاطئة أيضاً، تعمل في الملاهي، وتصادق الأمراء والأثرياء. ولما ذهبت إلى الكنيسة، منعها الإيبدياكون من الدخول لأنها امرأة خاطئة لا تستحق دخول الكنيسة.

📖 فلما تجادلت معه، وسمع الأب الأسقف صوت الخصومة، خرج فاشتكت إليه، فأفهمها إن بيت الله مقدس، لا يدخله من يعيش في الخطية. فتأثرت جدًا، وقالت له: "يا سيدي، ما عدت أخطئ".

📖 فقال لها: إن كنت صادقة في هذا، أحضري كل غِناك إلى هنا. فذهبت وأحضرت كل ملابسها، وتحفها، ومظاهر ثرائها. فأمر الأسقف بحرق هذا كله، لأنه "لا يجوز أن تدخل أجرة زانية إلى الكنيسة"، حسب تعليم الكتاب. {تث ٢٣: ١٨}

📖 فتخشعت مرثا جدًا، وضربها قلبها بشدة. وقالت لنفسها: إن كانوا قد فعلوا بك هكذا على الأرض، فكم يكون جزاؤك في السماء؟! وكان هذا الرفض من الكنيسة سببا ليقظتها فتابت، وصارت من القديسات.

📖 ومن الأمثلة المشابهة أيضاً: خاطئ كورنثوس:

📖 طبق عليه القديس بولس مبدأ: "اعزلوا الخبيث من بينكم" {١كو ٥: ١٣}. وقال لأهل كورنثوس: "لا تخالطوا، ولا تؤاكلوا مثل هذا" {١ كو ٥: ١١}. بل أنه أمر أن: "يسلم مثل هذا للشيطان لإهلاك الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الرب" {١كو ٥: ٥}.

📖 ولما عزل هذا الخاطئ، وأحس أنه منبوذ من الجميع، وأنه غير مستحق أن يوجد في جماعة المؤمنين، أحس بالخزي، واستيقظ إلى نفسه، وحزن جدًا على ما وصل إليه من خطية، وتاب توبة حقيقية، حتى أن القديس بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس، أمرهم أن يمكنوا المحبة لذلك التائب المعزول منهم، وان يسامحوه ويعزوه: "لئلا يُبتلع مثل هذا من الحزن المفرط" {٢ كو ٢: ٨:٧}.

📖 لأجل ذلك وضعت الكنيسة في عصورها الأولى قوانين لمعاقبة الخطاة، لمنفعتهم الروحية. ونظمت ترتيب خوارس الكنيسة تبعا لذلك. وما كانت تسمح لكل أحد بالتقدم إلى الأسرار الإلهية.

📖 وكان هذا المنع يوقظ الضمائر، إذ يشعر فيه الخاطئ بثقل خطاياه، ونتائجها المؤلمة. وينبغي في هذه الأمثلة، أو غيرها، أن تعرف حقيقة هامة من جهة رفض الله للخطاة، أو رفض الكنيسة لهم، أو عزلهم عن جماعة المؤمنين، وهي: "إنه رفض مؤقت، وللمنفعة الروحية، وتعمل فيه النعمة لإرجاعهم".

📖 إنه مجرد إشعار للخاطئ بأنه في حالة دنسة، لا تسمح له بالاندماج في قدسية الكنيسة. وذلك لكي يصحو إلى نفسه، ويغير مسلكه، أو كما قال الرسول: "لكي تخلص الروح".

📖 أيضاً من دوافع اليقظة الروحية، الضيقات والضربات.

كتاب اليقظة الروحية ـ صفحة ٤٢ ـ ٤٣

📖 {٤} الضيقات والضربات:

📖 هناك أناس لا توقظهم المحبة، ولا التوبيخ الهادئ، وإنما يحتاجون

إلى لطمة قوية توقظهم، فيرجعون إلى الله. كإنسان في حالة سُكْر، لا يمكن أن يفيق بأن تربت على كتفه في وداعة، وتدعوه أن يصحو. أو مثل فرعون الذي احتاج إلى ضربات شديدة، فكان يفيق ويقول: "أخطأت إلى الرب. صليا إلى الرب إلهكما، ليرفع عنى هذا الموت" {خر ١٠: ١٦} "أخطأت. الرب هو البار، وأنا وشعبي الأشرار" {خر ٩:٢٧٠} ومشكلة فرعون إنه كان يعود فيغلبه طبعه، ولم تكن يقظته نابعة من توبة حقيقية.

📖 ولعل أخوة يوسف، مثال للذين ساعدتهم الضيقة على اليقظة.

📖 لقد تآمروا على أخيهم يوسف، وباعوه كعبد، وخدعوا أباهم يعقوب وادعوا أن وحشا قد افترس يوسف. وفي كل ذلك لم يتوبوا، ولم يفيقوا لأنفسهم. ولكنهم لما وقعوا في ضيقة شديدة عند شراء القمح، وأتهمهم الحاكم بأنهم جواسيس، وحبسهم ثلاثة أيام، وأمرهم بإحضار أخيهم الصغير {بنيامين} ليثبتوا صدق كلامهم.

📖 حينئذ أفاقوا بسبب هذه الضيقة، وتذكروا خطيتهم إلى يوسف: "وقالوا بعضهم لبعض: حقا أننا مذنبون إلى أخينا، الذي رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع. لذلك جاءت علينا هذه الضيقة. وأجابهم رأوبين قائلًا: ألم أكلمكم قائلًا لا تأثموا بالولد، وأنتم لم تسمعوا؟ فهوذا دمه يطلب" {تك ٤٢: ٢١، ٢٢}.

📖 كذلك لما دبر يوسف أن يوجد طاسه الفضي في متاع بنيامين الصغير الذي ضمنوه لأبيهم الشيخ، وقرر يوسف أن يأخذ منهم بنيامين، قال يهوذا ليوسف: "ماذا نتكلم؟ وبماذا نتبرر؟ الله قد وجد إثم عبيدك" { تك ٤٤: ١٦}. بالضيقة تذكروا ذنبا مرت عليه سنوات طويلة. كم من شخص كأخوة يوسف، إذا أصابته ضيقة يستيقظ ضميره، ويقول: "هذا ذنب فلان الذي ظلمته، أو ذنب فلان الذي صرفته، والدمع في عينيه، ولم أشفق؟!".

🕮 ومن أمثلة الذين أيقظتهم الضيقات، الابن الضال:
🕮 لم يستيقظ ضميره وهو في حياة المتعة، ينفق ماله بعيش مسرف، ويلهو مع أصحابه. ولكنه لما افتقر واعتاز، وأشتهى الخرنوب الذي تأكله الخنازير، ولم يجد.
🕮 حينئذ أمكن لهذه الضيقة أن توقظه. فيقول الكتاب إنه: "رجع إلى نفسه" وقال: "كم من أجير عند أبي يفضل عنه الخبز وأنا هنا أهلك جوعا؟! أقوم وأذهب إلى أبي" {لو ١٥: ١٧}. وهكذا قادته الضيقة إلى اليقظة، وإلى التوبة، وعاد إلى أبيه.

🕮 مثال أخر أيقظته الضيقة، هو يونان النبي:
🕮 لقد هرب من وجه الرب، ولم يطعه في الذهاب إلى نينوى. كل هذا وضميره لم يحركه. وحتى عندما ركب سفينة إلى ترشيش، وهاجت الأمواج على السفينة حتى كادت تنكسر، وصرخ ركاب السفينة كل واحد إلى إلهه.
🕮 على الرغم من كل هذا لم يتحرك ضمير يونان، بل: "نزل إلى جوف السفينة، واضطجع ونام نوما ثقيلا" {يون ١: ٥}. مما اضطر رئيس النوتية إلى أن يوبخه قائلًا: "مالك نائما. قم أصرخ إلى إلهك، عسى أن يفتكر الإله فينا فلا نهلك". ولكن يونان لم يصرخ إلى إلهه.
🕮 متى استيقظ إذن وصرخ إلى إلهه؟
🕮 حدث هذا حينما وقع في الضيقة الكبرى، وابتلعه الحوت، فاكتنفته المياه، وأحاط به الغمر، وأعيت فيه نفسه حينئذ: "صلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت". وصرخ إلى الرب، ونذر، وقال للرب الخلاص {يون ٢}.

🕮 هناك مَنْ لا توقظه الضيقات الصغيرة، بل ضيقة مرة توقظه:
🕮 كما حدث ليونان النبي، الذي لم تكن الأمواج الشديدة كافية لإيقاظه،

فاحتاج إلى حوت يبلعه لكي يفيق إلى نفسه.

📖 ولو أننا نلاحظ في قصة يونان أن اليقظة التي سببها ابتلاع الحوت له، لم تكن يقظة كاملة، أو دائمة. فعلى الرغم من أنه أطاع الرب بعدها وذهب إلى نينوى، إلا أن طبعه عاد فغلبه، واحتاج إلى عمل إلهي آخر!

📖 ومن أمثلة الضيقات التي توقظ الضمير أحيانا: الأمراض والأحداث: إن ساعة واحدة مؤلمة من مرض قاس مستعصي، قد توقظ الخاطئ وترده إلى الله، أكثر من ألف عظة، وبخاصة المرض الذي يهدد بالموت، أو المرض الذي يطول، ويبدو أن الأطباء قد عجزوا عن علاجه.

📖 في المرض يشعر الإنسان بضعفه، فيلجا إلى الله. وهنا يبدأ التفكير في أن يصطلح مع الله. فيستيقظ من غفوته، ويعود إلى الله مصليًا، طالبا منه العون، والشفاء، وسواء في ذلك: المرض الذي يصيب الشخص نفسه، أو المرض الذي يصيب واحدًا من أحبائه.

📖 ولعل هذه اليقظة من الأسباب التي لأجلها سمح الله بالأمراض:

📖 إن الخاطئة التي ادَّعت على القديس مكاريوس أنه أخطأ معها، وأنها حملت منه: هذه لما تعسرت جدًا في الولادة، واشتدت الأوجاع عليها حتى قاربت الوفاة، عرفت أن هذه الضيقة إنما هي ضربة لها من الله، فاستيقظت لنفسها، واعترفت إنها ظلمت ذلك البار، وأخبرت باسم الشاب الذي أخطأ إليها بالحقيقة.

📖 وتوجد حوادث أخرى مماثلة قد سجلها التاريخ:

📖 ولعل الله قد سمح لهذه الخاطئة وأمثالها بآلام الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الرب، كما القديس بولس الرسول عن خاطئ كورنثوس {١كو ٥: ٥}.

🕮 ولعل من القصص المعروفة في التاريخ: المرض المستعصي الذي أصاب الشماس أوغريس، وفشل كل أنواع العلاج فيه.

🕮 وأخيرًا قالت له القديسة ميلانيا: "إني أرى يا ابني، أن هذا المرض ليس مثل باقي الأمراض. فأخبرني ما هو سببه في حياتك".

🕮 وهنا صحا أوغريس إلى نفسه، وصارَح القديسة بمشكلته الروحية. وقاده هذا المرض ليس فقط إلى اليقظة الروحية، وإنما وصل به أيضاً إلى الرهبنة، فصار من آبائها، ومرشديها المعروفين. وتحوَّل من أوغريس الذي تتعبه الخطيئة، إلى القديس مار أوغريس البنطى ST EVAGRIS المرشد الروحي العظيم.

🕮 وتدخل في نطاق الأمراض أيضاً الأوبئة الفتّاكة، التي تهلك بالمئات والآلاف، فيخشى كل فرد منها على حياته، ويشعر أن دوره في الموت ربما يأتي اليوم أوغدًا. وهكذا يصحو إلى نفسه ويتوب مستعدا لأبديته. ولعل البعض يذكر وباء الكوليرا Cholera الذي أصاب مصر سنة ١٩٤٨حقًّا كان في أيامه سبب يقظة لكثيرين.

🕮 وما نقوله عن الأمراض، يمكن أن نقوله أيضاً عن بعض الأحداث الأخرى التي يتعرض لها الإنسان، ويحتاج فيها إلى معونة من فوق، كما قال الرب: "ادعني في وقت الضيق، أنقذك فتمجدني" {مز ٥٠: ١٥}. ومن الضيقات التي توقظ الإنسان الخاطئ.

🕮 نوع أخر هو: الفشل والمذلة والشماتة.

كتاب اليقظة الروحية ـ صفحة ٤٤ ـ ٤٨

🕮 {٥} الفشل ـ المذلة ـ الشماتة:

🕮 فقد يكون الفشل في بعض الأحيان ضربة يسمح بها الله للخاطئ، لكي يصحو إلى نفسه. وفي ذلك يقول الرب في سفر التثنية، ضمن حديثه عن لعنات الخطية: "لا تنجح في طرقك، بل لا تكون إلا مظلومًا مغصوبًا كل الأيام، وليس مخلص. بِذارًا كثيرة تخرج إلى

الحقل، وقليلا تجمع، لأن الجراد يأكله. يكون لك زيتون في جميع تخومك، وبزيت لا تدهن، لأن زيتونك ينتثر. ولا تأمن على حياتك. في الصباح تقول يا ليته المساء، وفي المساء تقول يا ليته الصباح" {تث ٢٨: ٢٩-٦٧}. فإن أحس الإنسان أن فشله يرجع إلى عدم رضى الرب عليه، وإلى تخلى النعمة عنه، يرجع إلى نفسه.

📖 يحدث ذلك عندما يجد الفشل يلاحقه.

📖 كل باب يطرقه، يجده مغلقا في وجهه! وكل مشروع يبدأ فيه، ينتهي إلى الضياع. فيدرك أن بركة الرب قد خرجت من حياته، ويفيق لكي يصطلح مع الله، إذ قيل عن الرجل البار إن: "كل ما يعمله ينجح فيه" {مز ١}.

📖 حقًا إن الله بأنواع وطرق شتى، يوقظ الخاطئ من غفلته.

📖 ولعل من أمثلة الفشل، والمذلة، ما حدث لشمشون الجبار:

📖 هذا القديس العظيم، الذي حل عليه روح الرب، وصنع به انتصارات عجيبة، لما وجد أن نعمة الله قد فارقته، فضاعت قوته، وضاعت هيبته، وأذله أعداؤه.

📖 حينئذ ندم على ما فعله، واستيقظ، واصطلح مع الله، فأعاد إليه قوته. وقد ضرب الرب لنا مثلا أخر عن الفشل الذي هو نتيجة لتخلى الرب، والذي يقود إلى اليقظة الروحية، بمثال: فشل جيش يشوع أمام قرية عاي الصغيرة.

📖 وكان ذلك الفشل المخجل، بعد الانتصار العظيم على أسوار أريحا. حينئذ أحس يشوع أن هناك خطية وخيانة سببت الفشل. وبدا يوقظ الشعب كله، لكي يعزل الخبيث من وسطه، لترجع بركة الرب إليه.

📖 وهكذا انكشف موضوع عخان بن كرمي. وبالتخلص من تلك الخطيئة، رجعت بركة الرب {يش ٧}، ما أسهل أن ترن في الآذان، خلال مرارة الفشل، عبارة: "في وسطك حرام يا إسرائيل" {يش ٧:

١٣}. "فاعزلوا الخبيث من وسطكم" {١كو ٥: ١٣}.
📖 أصحوا لأنفسكم. استيقظوا لا تمسوا نجسًا. ارجعوا إلى، فأرجع إليكم. وهكذا تكون اليقظة الروحية علاجا للفشل، بالصلح مع الله.

📖 على أن هناك للأسف الشديد من يقودهم الفشل إلى مزيد من الخطأ.
📖 هؤلاء بدلا من أن يقودهم الفشل إلى اليقظة فالتوبة، نراهم في الفشل يتضجرون، ويتذمرون ويفقدون أعصابهم، وربما يجدفون على الله أيضاً، ويصفونه بالقسوة والظلم!!
📖 والبعض منهم قد يغرقون أنفسهم في ملاذ الجسد، وفي الخمر، والمخدرات، لكي ينسوا ما هم فيه من ضيق. والبعض قد يلجأ إلى السحر، والشعوذة، والأرواح، متوهمين أن سبب فشلهم هو {عمل} من الشيطان!
📖 والله قد يصبر على هؤلاء جميعا، حتى تفشل كل طرقهم البشرية في إنقاذهم من الفشل. وبدلا من التجديف على الله، يدخلون معه في عتاب. وحينئذ تستيقظ قلوبهم، ويرجعون إلى الله.

📖 فإن كنت أيها الأخ تشكو من فشل يتبعك في حياتك، ارجع سريعًا إلى نفسك، وفتش داخلك جيدا، وانزع الخبيث من وسط محلتك، واصطلح مع الله. وهكذا تعود إليك البركة، فتحيا وتنجح.
📖 إن وجدت كل الأبواب مسدودة أمامك، فارجع إلى الله " الذي يفتح ولا أحد يغلق" {رؤ ٣:٧}. إن الله يستخدم كل الطرق لإيقاظنا سواء كانت ضيقة، أو ضربة، أو مرضًا، أو مذلة، أو فشلا، لكي نصحو إلى أنفسنا. ولكن لماذا ننتظر ضربات الرب لكي نصحو؟! لماذا لا نصحو من الآن؟ ولا نلجئ الله إلى استخدام الشدة معنا!

📖 إن الضيقات التي يسمح بها الله لإيقاظنا، على نوعين:
📖 أما ضيقة طبيعية: أي هي نتيجة طبيعية لأخطائنا، وخطايانا.

📖 أو هي ضيقة أرسلها الله من نعمته، بنوع من التخلي المؤقت. وكلاهما للخير إن أحسنا استخدامهما، لنستيقظ ونتوب.

📖 ومن الضيقات التي يسمح بها الرب أحيانا، شماتة الأعداء.
📖 ونلاحظ أن الإنسان ربما يحتمل الضيقة، أو الفشل، ولكنه قد لا يحتمل فرح أعدائه في ضيقته، وشماتهم بما أصابه من فشل، أو سقوط. وفي ذلك قال أحد الشعراء: كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون ــ غير شماتة الأعداء.
📖 وإذ يتألم الإنسان من شماتة الأعداء، يجد أنه تلقائيا يرجع إلى الله، ليصطلح معه ويقول له: "لا تُشَمِّت بي أعدائي" {مز ٢٤}، "الذين يحزنونني يتهللون إن أنا سقطت" {مز ١٢}.

📖 إن شماتة الأعداء قاسية، ومن قسوتها أيقظت كثيرين:
📖 ولعل من الذين أيقظتهم شماتة العدو، القديس يعقوب المجاهد.
📖 هزأ هذا القديس بالشيطان، وأراد الشيطان أن ينتقم لنفسه بإسقاط القديس. وهكذا دبر له حيلة ماكرة، استطاع بها أن يسقط القديس أخيرًا في خطية الزنا.
📖 ثم أسقطه في الكذب، لكي يغطى على هذا الزنا، ثم جعله يحلف كذبا لعله يثبت ما ذكره من كذب. وبعد هذا السقوط الثلاثي ظهر الشيطان للقديس، وهزأ به في سقوطه، ومضى ضاحكًا فرحًا.
📖 وهذه الشماتة من الشيطان جعلت القديس يعقوب يستيقظ من سقطته، ويصحو لنفسه، ويقدم توبة عجيبة، حبس نفسه في مقبرة لمدة ١٧ سنة في بكاء ودموع، وهو يقول لنفسه: "إنه لا يستحق أن يرى الناس ولا يرى النور".
📖 إلى أن تحنن الله عليه أخيرا، واظهر له بمعجزة أنه قد قبل توبته. إن الله يعين الخاطئ على اليقظة الروحية، أما بعوامل داخلية، داخل قلبه، أو بعوامل خارجية، لعل من تدخل القديسين.



📖 **{٦} تَدَخُّل القديسين:**

📖 قد يتدخل القديسون الأحياء بصلواتهم لإنقاذ نفس خاطئة، مثلما اجتمع قديسو برية شهيت، ورفعوا صلوات من أجل القديسة بائيسة في سقطتها.

📖 وقد يتدخل قديسو الكنيسة المنتصرة في السماء، فيشفعون إحدى النفوس لتستيقظ، كما فعلت القديسة العذراء لما تشفعت في مريم القبطية فأيقظتها.

وقد يتدخل القديسون الأحياء تدخلا عمليا لإيقاظ نفس وهدايتها

📖 **{أ}** مثلما فعل القديس بيصاريون لإنقاذ القديسة تاييس: ذهب إليها في مكان عارها، وحدثها عن الله والدينونة، فتخشعت من كلامه وارتعدت، وهو يقول لها: "إن كانت هناك دينونة، فكيف تتسببين في هلاك هذا العدد الكبير من النفوس، لأنه من أجل هذه النفوس الكثيرة سيكون عقابك أكثر من مجرد عقابك على سقوطك".

📖 ولفزع تاييس من جدية كلام القديس، وتأثرها به، سقطت على الأرض، وانفجرت باكية. وأمكن أن يقودها القديس إلى التوبة، والخروج من أماكن الآثم، حيث قضت حياتها كقديسة.

📖 **{ب}** وقصتها تشبه قصة خاطئة أخرى، أنقذها القديس سرابيون الكبير: ذهب إليها القديس لكي يختطف نفسها من النار. ودخل مكان عارها. وظل يتلو مزاميره، وفي نهاية كل مزمور كان يصلي قائلًا: "ارحم يا رب هذه المسكينة، وردها إلى التوبة فتخلص".

📖 وكانت هذه الخاطئة تسمع صلواته، وهي واقفة إلى جواره ترتعد خوفا وخجلا. وأخيرا خرت على قدميه طالبة إليه أن يخلصها. فأرشدها إلى طريق الله، وأخرجها من بيت الخطية إلى بيت

للعذارى، حيث عاشت حياة توبة.

📖 **{ج}** ومن هذا النوع أيضاً قصة القديس يوحنا القصير، وسعيه لخلاص نفس القديسة بائيسة: وهذه كانت قد بدأت حياتها بداية طيبة. كانت غنية جدًا، وكريمة جدًا، وطاهرة جدًا. وكانت تنفق أموالها على الغرباء والمساكين، وعلى الأديرة والكنائس.

📖 ومع ذلك استطاع الشيطان أن يضلها، فانحرفت إلى الفساد، وعاشت في أعماقه. وسمع بأمرها الشيوخ القديسون في شهيت، وأقاموا الصلوات لأجلها.

📖 ولم يكتفوا بالصلاة وحدها، بل أرسلوا إليها القديس يوحنا القصير لكي يختطف نفسها من الجحيم. فذهب إليها هذا القديس العظيم في مكان عارها، وهو يرتل قول المزمور: "إن سرت في وادي ظل الموت فلا أخاف شرًا لأنك أنت معي".

📖 نظر إليها القديس وقال لها: "لماذا استهنت بالسيد المسيح بهذا المقدار؟ كيف أضلك الشيطان حتى بعت المسيح بهذا الثمن الرخيص؟ وأحنى القديس رأسه وبكى بُكاءً مرًا، وتأثرت بائيسة من توبيخه لها، وتأثرت من بكائه، واستيقظ ضميرها.

📖 وقالت للقديس: "هل لي توبة؟"

📖 فأجابها: "نعم، ولكن ليس في هذا المكان"

📖 اقتنعت، وسلمت نفسها لهذا الذي أتى من أجل خلاص نفسها، وخرجت التائبة بائيسة مع القديس إلى البرية. ولما أدركهما الليل، تركها تنام في ناحية، وانفرد في مكان أخر يصلى.

📖 ورأى في رؤيا نورًا عظيمًا يمتد بين السماء والأرض، والملائكة صاعدين بروح بائيسة، فذهب إلى حيث كانت فوجدها قد ماتت. وسمع صوتا يقول: "إن توبتها قد قبلت في ساعتها التي تابت فيها، أكثر من الذين قضوا سنين كثيرة في التوبة، ولكن ليست بنفس الحرارة".

📖 ورجع القديس يوحنا القصير إلى شهيت، وأخبرا الآباء القديسين بتوبة بائيسة ونياحتها، وقبول الله لها. وكتبت قصتها في سنكسار {يوم ٢ مسرى} وهكذا كان تدخل القديسين له عمقه في إيقاظ الخطاة.

📖 وأنت يا أخي، لعل القديسين لهم دور في يقظة نفسك.
📖 ربما في الأوقات التي تصحو فيها نفسك بعد غفوة معينة، يكون سبب ذلك صلوات قديسين قد رفعت من أجلك، فأرسل لك الله نعمة خاصة توقظك. وهكذا لا يجوز لنا أن نيأس من خلاص الخطاة، لأن قديسين كثيرين يعملون لأجلهم ويذكرونهم أمام الله في السماء.

📖 أما على الأرض، فتعلمنا هذه القصص أهمية الافتقاد.
📖 كم من نفس غافلة، تحتاج إلى افتقاد منك، من نوع زيارة القديس يوحنا القصير لبائيسة بنفس الجدية والعمق، وبنفس الروح والتأثير.
📖 وكما تفعل زيارة القديسين في إيقاظ الخطاة، هكذا أيضاً تفعل الذكريات المقدسة في زيارتها للعقل، والقلب ،وتأثيرها عليهما.
كتاب اليقظة الروحية ـ صفحة ٥٣ ـ ٥٦

📖 {٧} الذكريات المقدسة القديمة:

📖 هناك خاطئة أخرى، لها قصة شبيهة، وقد أيقظتها الذكريات المقدسة القديمة، التي أثارها فيها افتقاد قديس لها، وهي: مريم الخاطئة التي تابت بافتقاد عمها القديس إبراهيم المتوحد لها.
📖 كانت قد بدأت بحياة نسكية طيبة في مغارة مدى عشرين عامًا تحت رعاية عمها. ثم أغواها الشيطان، وسقطت، وهربت، واستمرت في السقوط، كأنها نسيت حياتها القديمة البارة.
📖 ربما ليأسها من الرجوع إلى الله، وبحث القديس الأنبا إبراهيم عنها. وأخيرا عرف مكانها، وذهب إليها متنكرًا. وجلس إليها. ولما لمحت

المسوح التي كان يلبسها تحت ثياب تنكره، واشتمت منه رائحة عرق النسك، ثارت فيها الذكريات القديمة، وبدأت تستيقظ. بينما كان القديس يصلى من أجلها.

📖 وتذكرت مريم أيام عفافها ونسكها، وانفجرت باكية، وهي تقول: "ويل لي، إنني أتعس كل بنى البشر" واستغل القديس تأثرها، فقال لها: "أيتها القديسة ابنة المسيح، هل أنت مقتنعة ومسرورة بما أنت فيه". وحدثها القديس عن ذكريات نسكها القديم.

📖 ومرت لحظات وهي جامدة أمامه من الخوف والخزي، فأخذ القديس يعزيها ويقيمها من هوة اليأس. ثم أخذها وأخرجها من ذلك الفندق، وقادها إلى حياة التوبة مرة أخرى، ورجعت إلى مغارتها، تبكى خطاياها، ولكن في رجاء التوبة. وفي ساعة انطلاقها من العالم، بعد سنوات في التوبة، كان وجهها يضئ كالمصباح.

📖 إن الذكريات القديمة المقدسة قد هزت نفس القديسة مريم وأيقظتها، ولم يكن عمها الأنبا إبراهيم محتاجا إلى مجهود كبير معها لإيقاظها

.

📖 وكم من أناس توقظهم ذكرياتهم القديمة المقدسة.

📖 عندما يتذكر الإنسان محبته الأولى، وعمق حياته الروحية في ماضيه. عندما يتذكر أيامه الحلوة مع الله، والحرارة التي كانت له في صلواته، وفي خدمته، وعمل الله معه، ما أسهل حينئذ أن يتحرك قلبه فيستيقظ، ويبكى على ما هو فيه.

📖 ربما تقع في يده مذكرة تأملات قديمة له. وإذ يعاود قراءتها تهتز نفسه من الداخل، فيصحو. قد تصادقه صورة له مع أشخاص روحيين كانوا زملاءه في طريق الرب، فتذكره هذه الصورة بأيام سعيدة مع الله، يشتاق قلبه إليها فيصحو.

📖 وربما يزوره صديق قديم، يحكى له ذكريات الخدمة، أو ذكريات رحلاته معه إلى الأديرة، ومواضع القديسين، فتتأثر نفسه ويستيقظ. يا ليتنا كلما نفتر، نعود فنتذكر ماضينا الحلو فنصحو. وليتنا أيضاً

نضع أمامنا قنوات ثابتة بيننا وبين الذكريات القديمة، نعيدها إلى أذهاننا بين الحين والآخر، لنمتص عصارتها وتسرى في عروقنا فتنعشها. من الأسباب التي تساعد أيضاً على اليقظة الروحية: تأثير وسائط النعمة.

كتاب اليقظة الروحية - صفحة ٥٧ - ٥٩



{٨} تأثير وسائط النعمة:

إن نعمة الله تعمل في قلب الإنسان لتوقظه: أما بِنَخْس مباشر للضمير، وإما عن طريق وسائط روحية تؤثر فيه، مثل قراءة روحية تهتز نفسه هزاً، أو عظة عميقة تستطيع أن تدخل إلى أعماقه فيستيقظ، أو قداس روحي يسمعه فيحمل نفسه إلى أجواء أخرى غير أجواء الخطية، أو اجتماع روحي ينقله من جو الخطيئة الذي يعيش فيه، إلى جو مُغاير فيصحو.



وما أكثر القصص التي فيها استيقظ خطاة بوسائط النعمة.

فهكذا استيقظ أوغسطينوس، عندما قرأ حياة القديس العظيم الأنبا أنطونيوس، وشعر بلذة وعمق الحياة النسكية، التي عاشها ذلك القديس العجيب. وتاب أوغسطينوس، وتحول إلى نبع من الروحيات ارتوى منه كثيرون.

وبيلاجية الممثلة والراقصة المشهورة في أنطاكية، كيف استيقظت؟

لقد ذهبت إلى الكاتدرائية الكبرى في أنطاكية، ربما للفرجة إذ كان عدد كبير من الأساقفة في زيارة لها. وتصادف أن القديس نونيوس كان يعظ من كل قلبه عن الحياة الأخرى، وما فيها من بركات للأبرار ودينونة للخطاة.

وكان يتكلم بالروح، بتأثير عميق في النفوس، بكلام بسيط، ولكنه قوى نفاذ. وإذ بخوف الله يدخل في قوة إلى قلب بيلاجية، فتصحو

لنفسها، وإذا بدموعها تنهمر على الرغم منها. وتصر في داخلها على مقابلة القديس نونيوس بعد انصرافه من الكاتدرائية، وتبدأ قصة توبة، تتحول بها إلى قديسة تصنع عجائب.

📖 إن نفس التأثير الروحي أيقظ أيضاً أفدوكيا الخاطئة.

📖 إلى أنها عاشت في الخطية زمانا، قادها فيه شيطان اليأس إلى الاستسلام، وخدر ضميرها. ولكن كيف استيقظت؟ لذلك قصة:

📖 كانت في بعلبك. وحدث أن راهبا قديسا يدعى جرمانوس زار صديقا له كان يقيم ببيت مجاور لهذه الخاطئة. وفي منتصف الليل كان الراهب يصلى صلوات عميقة، وكان يقرأ فصولا مؤثرة من الكتاب المقدس، ومن الكتب الروحية، وكان صوته مرتفع ربما ليطرد النوم عنه.

📖 وكانت هذه الخاطئة تتجسس بأذنيها أصوات جيرانها. فسمعت هذه الصلوات، وهذه القراءات الروحية، وتأثرت بها جدًا، وهزت مشاعرها، فأدركها الحزن على نفسها، واستيقظت روحها داخلها.

📖 وفي الصباح ذهبت وقابلت القديس جرمانوس، الذي وعظها كثيراً، وتأثرت جدًا بوعظة، وبدأت معها قصة توبة. فتعمدت، والتحقت ببيت للعذارى، وارتفعت في حياة الروح، والنسك، حتى صارت أما لهذا البيت، وانتهى بها الأمر إكليل الشهادة، وتعيد لها الكنيسة في اليوم الخامس من برمهات {باسم أودكسيا}.

📖 حقا انه خطر على الإنسان، أن يبقى في جو واحد فقط هو جو الخطية. بحيث يؤثر عليه هذا الجو تأثيرًا كاملًا، ويسيطر عليه، ولا يعطيه فرصة أن يتنفس هواءًا جديدًا.

📖 أما وسائط النعمة، فإنها تقدم تأثيرًا جديدًا يقيم توزانًا داخل قلب الإنسان، ويشعره بخطورة موقفه، فيستيقظ لنفسه. كما أنها تغرس فيه مشاعر من نوع أخر، تقربه إلى الله وحياة البر، وبخاصة إن كان الخاطئ قد أتعبته الخطية، ولكنه بقي فيها إذ لم يجد غيرها، أولم يجد

من يقوده خارجها. وهكذا تؤدى الوسائط الروحية عملها في إيقاظ النفس الخاطئة. هناك سبب أخر نقدمه في موضوع اليقظة الروحية وهو: التأثر بموت الآخرين.

كتاب اليقظة الروحية ـ صفحة ٥٩ ـ ٦١



{٩} التأثر بموت الآخرين:

الموت يَهِز النفس هزًا، ويقلب جميع التأثيرات المادية في قلب الإنسان، إن أمكن أن يستخدمه حسنًا لخلاص نفسه.

ربما إنسان خاطئ يذهب إلى الكنيسة لمجرد تقديم العزاء لأحد أصدقائه في موت قريب له. وإذا بالموت يحدث تأثيره. فقد يتأثر من منظر الميت في صندوقه بلا حراك، أو قد يتأثر بلحن حزايني مثل آجيوس، أو لحن آري باميفئي، أو يتأثر ببكاء الناس، أو بالعظة. ويخرج من الكنيسة وإذا هو شخص أخر، قد عزم على التوبة بكل قلبه.

ولعل في قصة القديس الأنبا بولا مثالًا لتأثير الموت.

لم يكن يشغله سوى موضوع الميراث والمال. وكان ذاهبًا لكي يقاضى قريبه، الذي اغتصب جزءًا من ميراثه. وفى الطريق رأى جنازًا ونعش ميت، وسمع ما يقوله المشيعون.

وترك الموت تأثيره في نفس بولا، فزهد العالم، وزهد الميراث والمال، ومضى إلى البرية، وتحول إلى القديس العظيم الأنبا بولا أول السواح.

ليتنا إذن نستفيد من مناظر الموت، ومن الحديث والقراءة عنه. إنه يعطى يقظة للأصحاء الذين يرونه في آخرين، ويعطى يقظة لمن ينتظرونه لأنفسهم. وهناك سبب أخر لليقظة الروحية، وهو السقطة الكبيرة غير المُحتملة.



{١٠} السقطة الكبيرة غير المُحتملة:

مع أن الخطية هي الخطية، أيًا كانت درجتها ونوعيتها، إلا أن هناك خطايا يستطيع الضمير العادي، أو الضمير الواسع أن يحتملها، وأن يمررها بهدوء، ويجوز مقابلها دون أن يهتز.

وهناك خطايا تتحول إلى عادة، يمارسها الإنسان كأنها جزء من طبعه، أو طبيعته، ولا يشعر أنها تمثل شيئًا شاذًا في حياته، يحتاج إلى أن يقف عنده ليغيره.

بل هناك خطايا يفتخر بها الخطاة، ويتحدثون عنها في زهو!

في كل ذلك وأمثاله، لا يستيقظ الضمير. إلى أن يقع الإنسان في الخطيئة بشعة، أو خطيئة أكبر من احتمال ضميره، أو خطيئة تسبب له فضيحة وعارا، أو لها نتائج سيئة مخيفة. وهنا فقط يستيقظ!

تماما كالذي لا توقظه الضيقات البسيطة التي يفتقده بها الرب وينتظر إلى أن تقع به الضيقة الكبيرة فيستيقظ.

ولكن طوبى للإنسان الذي لا ينتظر حتى يصل إلى هذا الحد الخطير، بل له الضمير الحساس الذي يؤلمه من أولى خطوات الخطية. الضمير الحريص المدقق الذي يقول للخطية من بدء طريقها: "يا بنت بابل الشقية طوبى لمن يمسك أطفالك، ويدفنهم عند الصخرة" {مز ١٣٦}. "والصخرة كانت المسيح" {١كو ١٠: ٤}،

وأطفال الخطية هم براعمها الصغيرة.

كتاب اليقظة الروحية ـ صفحة ٦٢ ـ ٦٤



{٣}
مشاعر تصاحب اليقظة

{١} بالخجل والخِزي	{٢} دموع الندم والحزن	{٣} اليأس وحسد الشياطين

🕮 {١} الشعور بالخجل والخِزي:

🕮 عندما يصحو الخاطئ إلى نفسه، يدرك بشاعة الخطية التي كان يعيش فيها، فيشعر بخزي من خطاياه، ويخجل من ماضيه. وكلما تمر أمامه صور خطاياه تزعجه وتخزيه، كيف أنه فقد صورته الإلهية، وفقد نقاوته! كيف أنه دنس نفسه، أو فكره، أو حواسه، أو جسده. كيف أنه استهان بوصايا الله إلى هذا الحد! كيف. كيف؟!

🕮 إنه يخجل أولا من الله ذاته:

🕮 يخجل من قدسية الله وصلاحه، إن كانت الخطية بشعة أمام الإنسان، فكم تكون بشاعتها أمام الله القدوس، غير المحدود في قداسته. ويخجل من طول أناة الله عليه، وكيف أن الله الحنون لم يأخذه في سقوطه، إنما صبر عليه وهو يتعدى وصاياه، وأعطاه فرصة لكي يستيقظ ويتوب.

🕮 يخجل من محبة الله التي قابلها بالجحود والاستهانة، وفي صلاته يقول لهذا الإله المحب: "أنا يا رب مكسوف منك. خجلان، لا أعرف كيف أرفع وجهي إليك. وكيف أتجرأ وأعود فأخاطبك، كأن شيئا لم يحدث، صدقني يا رب إنني خجلان من محبتك التي تسمح الآن بأن تسمع لي، وتقبلني مصليًا، محبتك التي ترضى بأن تصطلح معي، بهذه السهولة!

🕮 هذا الخجل المقدس هو صفة لازمة لكل تائب، يعرف تماما أنه وضع نجاساته على كتف المسيح ليحملها عنه، ويخزى من محبة الفادي وهو يقبل هذا.

🕮 ولعل من أمثلة الشعور بالخجل، قصة العشار في الهيكل:

🕮 يقول عنه السيد المسيح إنه من خجله، لما دخل الهيكل: "وقف من بعيد" وهو: "لا يشاء أن يرفع عينيه إلى السماء" {لو ١٨: ١٣} وإنما

في مذلة، وفي شعور بالخزي، قرع صدره قائلًا: "ارحمني يا رب أنا الخاطئ".

📖 نفس الوضع يشبه مشاعر الابن الضال في يقظته:
📖 لما استيقظ هذا الابن من غفلته، أو لما "رجع إلى نفسه"، شعر في خزيه أنه لم يصل إلى مستوى أجراء أبيه، وانه لا يستحق أن يكون له ابنًا. وكل ما يريده من أبيه هو هذه الطلبة: "اجعلني كأحد أجرائك" {لو ١٥: ١٩}.

📖 لما استيقظت مريم الخاطئة، قالت لعمها الأنبا إبراهيم: "لا أستطيع يا أبي أن أنظر إلى وجهك من فرط خزيي وعاري. بل كيف أرفع عيني إلى السماء نحو الله، وأنا ملوثة بكل الأوحال الدنسة؟!
📖 حقًا إن الإنسان الذي استيقظت روحه يقول مع المزمور: "اليوم كله خجلي أمامي، وخزي وجهي قد غطاني" {مز ٤٤: ١٥}.
📖 وإذا وقف أمام الله، لا يجد أمامه سوى عبارة: "أنت عرفت عاري وخزيي وخجلي" {مز ٦٩: ١٩}. إنه إنسان خجلان من الله. لا يجرؤ أن يرفع وجهه إليه، ولا يرى نفسه مستحقًا الدخول إلى البيت الله. بل يقول له: "أما أنا فبكثرة رحمتك ادخل إلى بيتك" {مز ٥: ٧}.
📖 إنها رحمة منك، تسمح لي بها أن ادخل إلى بيتك، وليس استحقاقا لي أنا يا رب اشعر بخجل أمامك. كيف حدث أنني ضعفت إلى ذلك الحد؟! كيف أنني لم أقاوم، بل استسلمت وسقطت؟! كيف لم أضعك أمامي وقتذاك. كيف استهنت بوصاياك.

📖 قد لا يخجل الخاطئ من خاطئ مثله، يراه في خطيئته، أو يشترك معه فيها. ولكنه يخجل جدًا إن عرف بهذه الخطية أحد الأبرار الأنقياء، أو أن رآه أو سمعه. فكم بالأكثر يكون خجله من الملائكة الذين حوله، وأرواح القديسين وهي تراه!

📖 وكذلك كم يكون خجله من أرواح أصدقائه، وأقربائه الذين انتقلوا. أين يخفى وجهه من كل هؤلاء، وبخاصة الذين كانوا يحسنون الظن به، والذين كانوا يثقون به وببره وتقواه، ويمتدحونه، ويطلبون صلواته لأجله. ثم يرون نفسه على حقيقتها في أخطائها! بل هو يخجل أيضاً من أرواح أعدائه ومعارضيه، ممن كان هو ينتقد أعمالهم، ويبدو أفضل منهم. ماذا تراهم يقولون عنه الآن؟!

📖 والخاطئ حين يستيقظ ويتوب، يقول في شعوره بالخزي:

📖 أين أخفى وجهي، يوم تفتح الأسفار، وتكشف الأعمال والأفكار؟! إن كان خجلي هنا على الأرض يؤلمني، أمام عدد محدود، فكم وكم يكون في اليوم الأخير، أمام الخليقة كلها. ماذا أفعل بهذا الماضي وسقطاته؟ إن كنت لا أحتمل التعبير على الأرض، فكم يكون العار في اليوم الأخير.

📖 ويظل هذا الخزي يتابعه ويؤلمه، إلى أن يفيض الله عليه بعزائه، ويمحو ماضيه. وفي اعترافه بخطئه يستريح. والخزي من خطاياه، ليس بسبب عقوبتها، بل بسبب بشاعتها.

📖 إن العقوبة تسبب خوفًا، لا خجلًا:

📖 ويزول هذا الخوف حينما يدرك الإنسان أن التوبة الصادقة تنجيه من العقوبة. ولكنه يخزي بسبب احتقاره لنفسه في سقوطها. وقد يحتمل الإنسان احتقار الناس له.

📖 ولكن أقسى ما يؤلم، هو أن يحتقر الإنسان ذاته: وهكذا يشعر بالخزي، ليس فقط أمام الله والناس، وليس فقط أمام الملائكة، وأرواح القديسين، وإنما أيضاً يشعر بالخزي أمام نفسه: وهو وحده لا أحد معه. إن ذلك يعصره عصرًا، ويسحقه سحقًا. وكل ذلك نافع له روحيًا. نافع له في اكتساب فضيلة الاتضاع، والانسحاق.

🕮 وفى عدم الاعتماد على نفسه في المستقبل، بل يعتمد على الله وحده. ونافع له في الاحتراس من الخطية ومن أسبابها.

🕮 لذلك إن لم يخجل الإنسان من خطاياه، تخجله الكنيسة. وقد حدث هذا بالنسبة إلى خاطئ كورنثوس الذي حكم عليه بولس الرسول {١كو ٥}. وعزلته الكنيسة من شركتها، لكي يخجل، ويحس ببشاعة خطيته. وقد كان. حتى كاد يبتلع من الحزن المفرط، وحينئذ عفت عنه الكنيسة {٢كو ٢: ٧، ٨}.

🕮 ولعل في قول الرسول: "لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا" {١كو ٥: ١١}، وقوله: "اعزلوا الخبيث من بينك" { ١كو ٥: ١٣}، ما يحمل معنى روحيا، هو أن يحس هؤلاء ببشاعة سلوكهم، ويستيقظوا، ويشعروا بالخجل والخزي. وكل هذا يقودهم إلى التوبة، وبالتالي إلى المغفرة، والى المصلحة مع الله.

🕮 ولعل الاعتراف على الكاهن، وسيلة تساعد على الخجل المقدس:

🕮 الاعتراف له أسباب عقيدية، وفوائد كثيرة. ولعل من ضمن فوائده أن يشعر المعترف بالخجل، وهو يعترف. وذلك لان البعض ـ لقلة حساسيتهم الروحية - لا يخجلون أمام الله! ولكنهم إذ يخجلون أمام الكاهن، يدركون كم الخطية بشعة، فيتوبون عنها ويتركوها.

🕮 قلنا إن من يستيقظ يقظة روحية حقيقية، لابد أن يشعر بالخزي والخجل، بسبب خطاياه السابقة. وهذا الخزي نافع له.

🕮 غير أن البعض للأسف يهربون من الخجل والخزي. وبالتالي نقول أنهم لم يستيقظوا بعد يقظة حقيقية. هذا الذي يخطئ، فيهرب من الاعتراف، ومن الكهنة، والمرشدين الروحيين.

🕮 أو يهرب من المجال الروحي كله، حتى لا يتبكت قدامه. أو هناك من يهرب من خجل خطيئته، بدفاع مختلق يحاول به أن يبرر نفسه،

فيضيف إلى خطيته خطايا جديدة بهذا الدفاع، أو إنسان يهرب من خزيه أمام نفسه بسبب خطيئته، بأن يغرق نفسه في المشغوليات، أو في المتع، حتى لا يخجلوا إلى نفسه فتحاسبه فيخجل!

يا إخوتي، استفيدوا من الخجل، فهو صديق مخلص، صادق وصريح، ويهدف إلى خلاص أنفسكم. إن كان الشعور بالخزي هو من علامات اليقظة الروحية، فمن علاماتها أيضاً الدموع، دموع الندم والحزن.

كتاب اليقظة الروحية ـ صفحة ٦٦ ـ ٧٤



{٢} دموع الندم والحزن:

بطرس الرسول ما كان يشعر بفداحة إنكاره للمسيح، بدليل أنه كرر هذا الإنكار ثلاث مرات، وهو في دوامة الخوف. فلما أيقظه صياح الديك، وتنبه إلى نفسه، وشعر بعمق خطيته، يقول الإنجيل إنه: "خرج إلى خارج، وبكى بُكاءً مرًا" {متى ٢٦: ٧٥}. هذا البكاء هو تعبير القلب عما يشعر به من مرارة وندم، بسبب خطيته.

وكما بكى بطرس، بكى داود:

كان داود في دوامة الخطية، يتنقل فيها من مجال إلى مجال أخر، حتى نبهه ناثان وأيقظه. وفى يقظته تحول حزن قلبه إلى دموع متصلة، فقال: "في كل ليلة أعوِّم سريري، وبدموعي أبل فراشي" {مز ٦}. لم يبك داود خوفا من فقد أبديته، فقد قال ناثان النبي: "الرب نقل عنك خطيئتك. لا تموت" {٢ صم ١٢: ١٣}، ولكنه بكى ندمًا وحزنًا، لأنه دنس نفسه وأغضب الرب.

إن الدموع عنصر ثابت في كل قصص التوبة:

إنها تصاحب كل يقظة روحية. يبكى بها الإنسان على أيامه

الضائعة، وعلى نقاوته المفقودة، ندما وحزنا، إذ يشعر إلى أية هوة قد انحدر، يبكى بينه وبين نفسه أمام الله، ويبكى أمام المرشد الذي أيقظ نفسه، ويبكى أمام المذبح وصور القديسين، ويبكى كلما تذكر إن القلب الذي لم يختبر البكاء، هو قلب قاس.

📖 كلما تزداد حساسية ورقة القلب، تزداد دموع التوبة والندم. ولكن قد تجف الدموع، إن نسى الإنسان خطاياه، أو انشغل عنها، أو لم تعد خطيرة في تقديره. ولهذا نسمع في بستان الرهبان نصيحة يكررها الآباء كثيرًا، وهي: "اذهب إلى قلايتك، وابك على خطاياك".

📖 القديس يعقوب المجاهد، بكى بكاءً عجيبًا، لما صحا لنفسه.

📖 قيل إنه صار يبكى، والدموع تنزل من عينيه في لون الدم، غزيرة كالمطر، حتى أن العشب نبت عند قدميه من الدموع. وبقى هكذا سبعة عشر عامًا. في مقبرة أغلق على نفسه فيها بدون عزاء، حتى افتقده الرب أخيرًا، وأشعره بقبول توبته، بمعجزة أجراها على يديه.

📖 ودموع الحزن والندم تصحبها أمور أخرى تناسبها.

📖 من أمثلة ذلك لوم النفس وتبكيتها في شدة، كما حدث للقديس موسى السائح، الذي ظل يقول: "الويل لك يا نفسي حينما فعلت كذا وكذا. الويل لك يا نفسي". وقد يصحب ذلك سجود الخشوع والتوبة، أو قرع الصدر، أو صرير الأسنان. وما أكثر ما ورد من قصص في كتاب الدرجي عن ممارسات منسحقة في دير التوّابين.

كتاب اليقظة الروحية ـ صفحة ٧٥ ـ ٧٦

📖 {٣} حرب اليأس، وحسد الشياطين:

📖 قد ينتهز الشيطان حالة الندم المرير الذي يملأ قلب التائب، مع لومه الشديد لنفسه، لكي يوقعه في اليأس، كأن خطاياه بلا غفران! وكما قال المرتل: "كثيرون يقولون لنفسي: ليس له خلاص بإلهه"

{مز ٣}. وقديما أوقع الشيطان يهوذا في اليأس فشنق نفسه.

📖 والمرشد الروحي الحكيم، إذ وجد أن الكآبة قد عصفت بالخاطئ حتى تكاد تدفعه إلى اليأس، يبدأ بإدخال الرجاء إلى قلبه، بالحديث عن رحمة الله غير المحدودة، وغفرانه الذي يشمل كل خطية.

📖 ومن أمثلة ذلك قول بولس الرسول عن خاطئ كورنثوس: "تسامحونه بالحري وتعزونه، لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط لذلك اطلب أن تمكنوا له المحبة" {٢كو ٢: ٧، ٨}.

📖 والحكمة هنا تقتضى حفظ التوازن بين أمرين:

📖 إنسان غافل عن نفسه، يحتاج إلى من يشعره ببشاعة الخطية حتى يستيقظ. وإنسان أخر شعر ببشاعة الخطية، وكاد ييأس من خلاصه، وهذا لا نحدثه عن الخطية، وإنما عن مراحم الله، حتى لا يقع في قطع الرجاء، ويهلك.

📖 على أن الشيطان كما يحاول أن يوقع التائب في اليأس من المغفرة، يحاول أن يوقعه أيضاً في اليأس من التوبة!

📖 إنه لا يريد أن يفلت الخاطئ من يده. فإن وجده قد استيقظ من غفوته، وبدأ يمارس أعمال التوبة، يحسده على ذلك، ويحاول أن يوقعه في الكآبة الشديدة، التي تقود إلى اليأس.

📖 فإن فشل في هذا، يثير عليه حربًا شعواء عنيفة، في نفس الخطية التي تاب عنها، حتى يرجعه إليها، ويشعره أن التوبة عن هذه الخطية أمر مستحيل عمليًّا، ولابد أن يسقط فيها عمليا مهما ابتعد عنها!

📖 وفى قصة القديسة مريم القبطية مثال لذلك:

📖 فإنها بعد أن تابت، ونذرت نفسها، ودخلت في حياة الرهبنة والسياحة، حسد الشيطان توبتها، وحاربها بعنف لكي يرجعها. وهكذا قالت للقديس زوسيما: "لمدة سبعة عشر عامًا،

حاربت الشهوات غير المرئية التي للطبيعة الفاسدة، مثلما أحارب وحوشا حقيقية، وكانت مئات الأغاني الخليعة تعبر على ذهني، بل وتأتى على شفتي، وحينئذ كنت أقرع صدري مذكرة نفسي بتوبتي، وبدموع كنت أطلب معونة الله وشفاعة العذراء. فكان يحوطني نور باهر وتهرب التجربة.

📖 ومرات أخرى كثيرة، كانت تهاجمني آلاف الذكريات الحِسّيَّة، والأفكار الدَّنِسَة، وكانت تجعل في قلبي آلامًا شديدة، بل كانت تجرى في عروقي كجمر مشتعل، حينئذ كنت أخرج إلى الأرض متضرعة. إلى أن يحوطني النور الإلهي مثل دائرة من نار، لا يستطيع المجرب أن يتعداها ... وكانت العذراء مُعينة لي بالحقيقة في حياة التوبة، فكانت طوال هذه المدة تقودني بيدها وتصلي لأجلي".

كتاب اليقظة الروحية ـ صفحة ٧٥ ـ ٧٨

📖 {٤} حرارة روحية تصحب اليقظة:

📖 وإذا بكل عواطفه التي كانت متجهة إلى الخطية، تتحول جميعها إلى الله في قوة، باندفاع يدوس في طريقه كل شيء، محاولا أن يعوض السنين السابقة التي أكلها الجراد. إنها حرارة روحية تدخل في الصوم، والصلاة، والجهاد الروحي، والنسك، والخدمة.

📖 وكثيرا ما ينذر الإنسان التائب نفسه للرب: وبهذا تحول كثير من الخطاة التائبين إلى قديسين.

📖 وكمثال لذلك، القديس أوغسطينوس، والقديس موسى الأسود، كما نذكر القديسة مريم القبطية التي تحولت إلى سائحة ناسكة، والقديسة بيلاجية التي تحولت إلى متوحدة صانعة عجائب، وغيرها.

📖 هذه النفوس التائبة سارت في توبتها بجدية وتدقيق: عرفت ضعفها، فعاشت في حرص شديد، وفي جهاد بلا كلل، وهكذا عملت فيها النعمة، وصعدت بها في السلم الروحي بسرعة بلا عائق. وكانت هذه

اليقظة نقطة تحول ثابتة، وبلا رجعة.

كتاب اليقظة الروحية ـ صفحة ٧٨ ـ ٧٩



🕮 {٥} تعويض ما فات:

🕮 ومن الأمثلة البارزة في هذا المجال، زكا العشار:

🕮 كان ظالِمًا ونهب كثيرين، فلما استيقظ بنداء المسيح له، قال للرب: "ها أنا يا رب أعطى نصف أموالي للمساكين، وإن كنت قد وشيت بأحد، أرد أربعة أضعاف" {لو ١٩: ٨}. وهكذا لا يتمسك التائب بشيء من مال الظلم.

🕮 ولعل من أمثلة ذلك، ما فعلته القديسة تاييس التائبة: ففي وسط المدينة، وأمام جمهور كبير من الناس، أحرقت كل المال الذي كسبته عن طريق الخطية، كالملابس الفاخرة، والتحف، والهدايا، والأمتعة، وهي تقول: "تعالوا يا رفاقي، أنظروا إنني أحرق أمام أعينكم كل هداياكم، وتذكاراتكم، وكل ما جمعته عن طريق الخطية".

كتاب اليقظة الروحية ـ صفحة ٧٩ ـ ٨٠



🕮 {٦} مشاعر أخرى تصحب يقظة الإنسان:

🕮 إلى جوار الحزن على الخطية، يشعر الإنسان في اليقظة الروحية بفرح. فرح بأنه وجد الله وعرفه، وفرح بأنه استطاع أن يتخلص من الخطية، كفرح الغريق بدخوله في قارب نجاة، ويشعر بأنه قد دخل حياة جديدة، بفكر جديد.

🕮 كما قال الرسول: "تغيروا عن شكلكم، بتجديد أذهانكم" {رو ١٢: ٢}، فينظر إلى الأمور نظرة أخرى، وتصبح حياته الجديدة غالية عليه يحرص عليها.

كتاب اليقظة الروحية ـ صفحة ٨٠



{٤}

الوقت بالنسبة للراهب

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

أريد أن أكلمكم اليوم عن الوقت بالنسبة للراهب
ومدى الاستفادة منه، واستغلاله واستخدامه



الوقت قد يكون في صالحك وقد يكون ضدك.

وأقدس راهب الفرق بينه، وبين أكثر راهب متهاون هو مدى استخدام الوقت. هل الوقت معه، أم ضده؟ حاول أن يكون وقتك في العمل الروحي، وكلما استغلت وقتك في العمل الروحي، كلما تعمقت في صلتك بالله، كلما تصفو حياتك الرهبانية وتنمو.

كيف أستفيد من الوقت: قد يقول إنسان: "أنا مشغول، ولدي عمل". لن ندخل في التفاصيل لكن أريد أن أقول:

١. استفد من صداقة الليل: الذي يصادق الليل، يستطيع أن يسلك حسنا بالنهار. ونحن الآن في فصل الشتاء والليل طويل، تستطيع أن تستغل الليل في العمل الروحي. ولذلك يقول المزمور: "في الليالي ارفعوا أيديكم إلى القدس، وباركوا الرب".

ومار إسحق يقول: "الليل مفروز لعمل الصلاة".

ونسمع عن القديس أرسانيوس، أنه كان يقضي الليل في الصلاة، وينظر إلى الشرق والشمس خلفه، وينتظر إلى أن تظهر أمامه.

وقيل عن السيد المسيح إنه كان يقضي الليل كله في الصلاة.

الليل ليس به مشغولية، ولا مقابلات ولا كلام مع الناس، ولا أي تعطيل، فحاول {إن تقول} ألحانك، تسابيحك. كل هذا يمكن أن تقوم به في الظلام، أو في الليل. حاول أن تستفيد من الليل.

اجعل لليل برنامج منظم: الذي لا يسير ببرنامج أحيانا يرتبك. هذه

أول ملاحظة.



٢. ثاني ملاحظة: تدرب أن يكون لك عمل وحي أثناء عملك الذي تشتغل به في الدير. أي صلواتك الخاصة السرية أثناء العمل. وهذه ممكنة جدا، ولو استطعت درب نفسك على الصلاة أثناء السير، والصلاة أثناء العمل، والصلاة أثناء الوجود مع الناس.

عندئذ يستطيع قلبك أن يكون منشغلا بالله دائما، وخاصة في محفوظاتك في مزاميرك، في الصلوات القصيرة المتكررة، يكون قلبك مشغولا بها دائما.



٣. يجب أن تعطي الله أوائل وقتك. بكور وقتك.

وبقدر الإمكان أفضل وقت. أي اجعل أول كائن تتحدث معه في اليوم هو الله، ولا تنشغل بأخر غيره، ولو في وقت قصير إن لم يكن لك وقت، لكن يكون هو أول من تتحدث إليه، وأول من تنشغل به.

إن أردت أن تستريح أثناء النهار ساعة، أو ساعتين، هذا يساعدك على السهر بالليل، لأن الذي يقضي وقته بالنهار كله في العمل يتعب عند مجيء الليل.

لابد أن تضع أمامك قاعدة وهي: أن الوقت أصلا ملك لله وليس ملكا لك. لأنك عندما كرست حياتك لله، صار وقتك كله لله، ولا تستطيع أن تقنع نفسك بغير ذلك. وقتك كله ملك لله.

هنا أحب أن أقول لك: إن وقتك هو حياتك، فإن ضيعت وقتك ضيعت حياتك، فما هي حياتك إلا بعض الوقت؟

وقتك المفروض يكون لبنيانك الروحي، ومفروض أن كل ما يمر عليك وقت تكون تبني نفسك أكثر من قبل، فاسأل ذاتك إلى أي مستوى وصل هذا البنيان؟

هنا وأقول أيضاً إن هناك قديسين وصلوا في وقت قليل، لأنهم

استغلوا أوقاتهم بجدية في الحياة الروحية، وبذلك ارتفعوا إلى مستوى القيادة الروحية، وهم شباب صغير.

📖 لعلي أذكر من بين هؤلاء القديس تادرس تلميذ الأنبا باخوميوس، والقديس يؤانس القصير الذي قيل عنه: "إن الإسقيط كله كان معلقا بإصبعه". وكلاهما كانا مرشدا روحيا للدير كله، وهو بعد شاب صغير.

📖 ولعلي أذكر من بين الشباب الذين نبغوا جدا في الحياة الرهبانية بشكل لا مثيل له، القديس ميصائيل السائح، الذي بعد ما قضى في الدير سنوات قليلة حوالي ٤ سنوات صار سائحا، أي وهو في الثامنة عشرة من عمره صار سائحا، لأنه أخذ الأمر بطريقة جدية، واستغل كل دقيقة في الوقت.

📖 ولعل من الشبان الذين وصلوا بسرعة: القديسين مكسيموس ودوماديوس، في سن صغيرة، حتى أن دوماديوس لم تكن لحيته قد نبتت بعد، لعلهما استفادا من وقتهما بجدية، ولم يدعا أي لحظة من اللحظات تمر عليهما بدون عمل روحي.

📖 عمل روحي مستمر فيأتي بنتيجة.

📖 وتستطيع أن تستعرض تاريخ القديسين وترى أمثلة أخرى لقديسين وصلوا بسرعة وهم في سن صغيرة. لأنهم استفادوا من وقتهم.

📖 أنتقل إلى نقطة أخرى وهي ما هي عطلات الوقت بالنسبة للراهب؟

📖 ١. **العمل:** قد يكون من معطلات الوقت بالنسبة لك، وعلاج ذلك الليل، والصلاة أثناء العمل. وإذا نجحت في العمل الروحي قد يساعدك الدير في إراحتك من بعض مسئوليات العمل، لتتفرغ للعمل الروحي. لكن الدير لا يستطيع أن يفرغ راهبا ويجده يجري شرق وغرب، ويتكلم اليوم كله، فيقول هل نفرغه للكلام واللهو؟ لكن لو ناجح في العمل الروحي يفرغه الدير، ويأخذ بركته.

📖 ٢. **الدالة، والصداقات:** وكثرة الأحاديث فيما ينفع، وفيما يضر، وبالأكثر فيما يضر. أي يندر أن يجلس اثنان معا يبنيان بعضهما، أو يتكلمان في شيء مفيد روحيا لكليهما، حاول في جلساتك مع أصدقائك أن تجعلها جلسات روحية، أو تجعل الموضوع يدور حول شيء روحي.

📖 ٣. **النوم:** يوجد إنسان يتواجد في قلايته لا يفعل شيئا فينام، والنوم خطورته إذا زاد عن الحد أنه يكون مجالا للأفكار. المفروض أن الإنسان يكون حكيما، ويعرف ما هو احتياج جسده بالضبط، هل هو فعلا متعب ومرهق ومحتاج للنوم؟ أم مجرد كسل وتراخ؟

📖 ٤. **الأفكار:** والذي يسير وفق هواها في أي موضوع من المواضيع مهما كان تافها، أو مهما كان غير روحي. ما أسهل أن عدو الخير يصور لك أتفه الموضوعات أنها شيء من أهم المواضيع، وأنها خطيرة، ولابد أن تفكر فيها، بحيث تجد راهبا في قلايته، وليس في العمل لكنه يفكر في العمل، ماذا يعمل، وماذا يرتب، ويضيع الوقت.

📖 يحتاج الإنسان أن يضبط أفكاره، ويعرف كيف يستغل وقته في عمل روحي مفيد، وبالطبع إذا لم يوجد عمل إيجابي، سيوجد مجال للأفكار.

📖 هناك إنسان ينشغل في قلايته بأمور تافهة كثيرة، المهم يضيع وقته.

📖 مثل راهب يرتب قلايته، وينظم أوراقه، ويعمل أي عمل يدعو لضياع الوقت. يطبخ، يعمل شاي، يتكلم مع أخر. وأحيانا لا يتذكر هذه المشغوليات إلا لو بدأ في العمل الروحي، ويجد اهتمامات كثيرة جدا في قلايته.

📖 استرجاع العقل لما رآه أثناء النهار، ويجد أفلام تمر عليه مسجلة

بالصوت، عن كل ما دار من أحاديث، وكلام، وأعمال، ومناظر، ولقاءات، وما يستنتجه بعد ذلك. أمور تأخذ وقت طويل.

📖 ٦. الأخبار، والاهتمام بها، ومتابعتها.

📖 وبالطبع تأخذ وقتا في معرفتها، ووقت في تأثيرها، وفي استرجاعها في الذهن. قد توجد معطلات أخرى شخصية بالنسبة لكل راهب، لكن نصيحة أقولها: "إنه ينبغي أن يستفيد الإنسان من وقته بقدر إمكانه، ولابد أن يكون له عمل روحي داخل القلاية، وعمل روحي خارج القلاية، وكلاهما منظم وثابت.

📖 ولابد أن يوجد في حياة الراهب نوع من الالتزام بمبادئ روحية معينة، لابد أن ينفذها، واحترام وقته الرهباني. صدقوني إذا كان الإنسان يعرف كيف يستغل وقته، لابد أن يحصل على أمرين أساسيين نتيجة لاستغلال وقته:

📖 ١. البقاء في القلاية، وعدم الخروج منها، لأنه سعيد بفائدة الوقت الذي يستغل.

📖 ٢. الصمت والهدوء حين يقابل الناس:

📖 لأن له عملا جواني يعمل فيه، لا يعطيه فرصة للكلام والحديث.

📖 والعكس صحيح، أي إذا كان الإنسان لا يجد عملا في قلايته يشغله، تجده يخرج ليقابل فلانا وعلانا، ويبحث عن أي شخص يكلمه. وأيضا وإذا لم يكن له عمل يعمله يتكلم ولا يصمت.

📖 لذلك شغل قلبك دائما، وشغل فكرك دائما، وشغل لسانك في الصلوات دائمة، وحاول أن تشعر بفائدة الوقت بالنسبة لك. وهنا ندخل في نوعيات العمل الروحي، الذي تعمله بالنسبة للوقت:

📖 ١. **الصلاة:** وتنقسم إلى أنواع:

📖 صلاة المزامير، صلاة الكنيسة، صلواتك الخاصة التي من قلبك، التي فيها طلباتك الله وتأملاتك، صلوات قصيرة متكررة التي تتلوها دائما، البعض أيضاً له محفوظات من صلوات الأنبياء والقديسين، سواء في الكتاب المقدس، أو كتب الصلوات.

📖 وكلما كانت الصلاة بتأمل تأخذ وقتا أكثر. لكن يوجد إنسان يصلي بسرعة لا يشعر فيها أنه صلى، ولا يشعر فيها بصلة بينه وبين الله، أو بعلاقة. مجرد تأدية واجب، فحاول إنك تصلي بتأن، وبهدوء، وبفهم، وبتأمل، وبروحك. اخلط الصلاة بمشاعرك وروحك.

📖 بالطبع ستأخذ منك وقت، لما تشعر أن الصلاة تأخذ منك وقتا ستوفر ضعف الوقت. درب نفسك دائما على مقاومة الوقت الضائع. أي اجلس في هدوء بينك وبين نفسك، وقل في أي شيء يضيع وقتي، وحاول أن تقاوم الوقت الضائع.

📖 ٢. الترتيل، والتسبيح، والألحان، الأبصلمودية المقدسة: لأن هذه الأشياء تترك تأثير كبير في النفس.

📖 ٣. **القراءة:** وتشمل الكتاب المقدس، وسير القديسين، والكتب الروحية، والنسكية، وما تحب أن تقرأه بعد ذلك، لتوسيع معلوماتك في الأمور الدينية.

📖 ٤. **التأمل:** وسواء في آية من الكتاب، أو في سير القديسين، أو في صفات الله، أو في أي شيء روحي.

📖 ٥. **المطانيات**: والمفروض إنها تكون مصحوبة بصلوات. كل ميطانية معها صلاة، وتكون المطانيات على سبحة، لكيلا تنشغل في عدها، إنما تنشغل في صلواتك أثناءها، وممكن تكون كلها حول موضوع واحد، له تفاصيل عدة، أو حول بعض الموضوعات.



٦. الكتابة، أو الترجمة، أو النساخة، أو ما يشبه ذلك.

ملاحظة أخرى أقولها:

إذا وجدت وقتك قليلا عوض قلته بعمقه. عوض القلة بالعمق.

أي وقت قليل بعمق كثير، أفضل من وقت كثير بلا عمق.

أي لاحظ أن اللص بجملة واحدة نال وعدا بالخلاص، وبأنه سيكون في الفردوس. والعشار بجملة واحدة.

هناك أناس وقتهم قليل فيعطونه عمقا كبيرا، فيستفيدون، ويمتلئ قلبهم بالشبع الروحي نتيجة للعمق الذي أعطاه للوقت.

اله المجد دائما أبدية آمين

كتاب عظات رهبانية ـ صفحة ٤٠٩ ـ ٤١٤



٤٢- ضبط النفس هو عامل مشترك في كل الفضائل، وعلى ذلك فيجب على كل من يمارس ضبط النفس، أن يفعل ذلك في كل الأشياء.

إذا أزيل أي جزء، مهما كان صغير، من جسم الإنسان، فإن الإنسان كله يتشوه، بالمثل من لا يراعى فضيلة واحدة فهو يُدمِّر دون أن يدري، كل النظام المنسجم الذي لضبط النفس.

وعلى ذلك فمن الضروري أن ننمي ليس فقط الفضائل الجسدية، ولكن أيضاً تلك التي لها قوة على تنقية إنساننا الداخلي.

ماذا ينتفع إنسان يحفظ بتولية جسده، إذا كان يترك نفسه ترتكب الزنا، مع شيطان عدم الطاعة؟ وماذا ينتفع إنسان يُسيطر على البطنة، وعلى رغباته الجسدية الأخرى، إذا كان لا يبذل مجهوداً لكي يتجنب الزهو، والبر الذاتي، ولا يحتمل بصبر حتى أصغر ألم؟ في

يوم الدينونة، أي إكليل سوف يستحقه، عندما ستعطى المكافأة فقط لهؤلاء الذين تمموا أعمال البر بروح التواضع؟

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - القديس ديادوخوس الناسك - صفحة ٢٥٩



كتاب السهر الروحي
قداسة البابا شنودة الثالث

{١} مقدمة	{٢} الجسد مع الروح	{٣} سهر القديسين	{٤} السهر مع الرب
{٥} الكنيسة والسهر	{٧} أهمية سهر الروح	{٧} الاستعداد للأبدية	{٨} كيفية السهر
{٩} السهر على الهدف	{١٠} السهر على الوسائل	{١١} ساهرًا في حروبك	{١٢} الانحدار
{١٣} المفاهيم الجديدة	{١٤} نموك الروحي	{١٥} على خدمتك	{١٦} السهر مع الله

🕮 {١} مقدمة:

🕮 حدثناك في كتابنا السابق عن: "اليقظة الروحية". واليوم نحدثك بمشيئة الرب عن: "السهر الروحي. والسهر الروحي هو شيء غير اليقظة الروحية.

🕮 **اليقظة الروحية معناها:** أن إنسانًا كان في غفوة، أو غفلة، أو في حياة الخطية، ثم استيقظ، أي تنبه إلى نفسه، وإلى حالته.

🕮 وهذه هي بداية التوبة.

🕮 **أما السهر الروحي:** فقد يأتي بعد اليقظة الروحية، لمن كان خاطئًا من قبل. ولا يشترط فيه أن يكون الإنسان خاطئًا من قبل. هذا السهر الروحي هو حالة إنسان بار، ساهر على خلاص نفسه، أي أنه دائمًا في حالة استعداد روحي. هو حالة إنسان متنبه روحيًا لخلاص نفسه، ولكل ما يحيط به من أجواء، ومن حروب العدو.

🕮 ومتنبه أيضاً لكل ما تجول في نفسه من أفكار، ومن تغيرات.

🕮 وسهر الروح يتعلق به أيضاً سهر الجسد.

كتاب السهر الروحي - صفحة ٥

🕮 {٢} سهر الجسد مع الروح:

سهر الجسد سهرًا روحيًا

🕮 أما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة" [مر ١٣: ٣٧].

🕮 اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة" [متى ٢٦: ٤١].

🕮 **يوجد سهر للجسد، وسهر للروح. ويهمنا بالأكثر سهر الروح:**

🕮 وسهر الروح معناه أن يكون الإنسان ساهرًا على خلاص نفسه، أي متيقظًا، ومتنبهًا، لكل ما يتعلق بهذا الخلاص.

🕮 أما سهر الجسد الذي نقصده، فليس هو مجرد عدم النوم. فقد يسهر أشخاص في اللهو، والعبث، والخطية. وقد يسهر أخرون في أمور تتعلق بمشغوليات العالم الحاضر، دون أن يخطر الله على فكرهم! والبعض قد يسهرون ليالي صاخبة، أو يسهرون في ضياع أنفسهم.

🕮 ولكن سهر الجسد الذي نقصده، هو سهر بطريقة روحية. إنه سهر الجسد في عمل الروح، مع الله. سهر الجسد هذا، يساعد على سهر الروح، ويشترك معه.

🕮 فالذي ينام كثيرًا بالجسد، يمكن أن تنام روحه أيضاً، أو على الأقل في أثناء هذا النوم الكثير، لا يكون منشغلًا بعمل روحي. وحرب النوم هي حرب مشهورة في الكتب النسكية والروحية.

🕮 لذلك ما أجمل قول الرب لتلاميذه في البستان: "اسهروا وصلوا، لئلا تدخلوا في تجربة" {متى ٢٦: ٤١}. وهنا لا يطلب منهم السيد السهر فقط، إنما السهر مع الصلاة، أو السهر في الصلاة.

🕮 وهذا ما نقصده بقولنا: "سهر الجسد في عمل الروح". أو سهر الجسد مع الله. ولم يكن الرب محتاجًا في بستان جثسيماني إلى سهر تلاميذه معه، إنما كان هذا نافعًا لهم هم: "لئلا يدخلوا في تجربة".

وكأنه يقول لهم: "وإن لم تصلوا، يمكن أن تقعوا في تجربة"، "اسهروا إذن، وصلوا". وهذا يوافق تمامًا قول المزمور: "في الليالي ارفعوا أيديكم أيها القديسون، وباركوا الرب" {مز ١٣٣}

📖 وقد وبخ السيد تلاميذه بقوله: "أما قدرتم أن تسروا معي ساعة واحدة؟!" {مر١٣: ٣٧}.

📖 ولعل البعض يسأل: أتكفى ساعة واحدة يطلبها الرب منا في السهر؟ فنقول: إنك إن سهرت مع الرب ولو ساعة واحدة، فإن هذه الساعة ستوقظ روحك، تشجعك على السهر ساعة ثانية، وربما أيضاً ثالثة ورابعة. ويصبح السهر عادة عندك.

📖 وكما أن دقيقة نوم، قد تحرك إلى نوم كامل، كذلك ساعة سهر يمكن أن تساعدك على سهر طويل.

📖 على أننا نلاحظ في عبارة الرب كلمة جميلة وهي: "سهرتم معي". وليس مجرد السهر، بل السهر مع الرب.

📖 اسهروا إذن مع الرب، ولو ساعة واحدة، فإنها ستكون بركة لليل كله. ولا تقتصر فائدتها على مجرد الساعة. فما فائدتها إذن؟

📖 **ساعة الصلاة بالليل، تقدس فراشك، وتقدس عقلك الباطِن:**

📖 لذلك قبل أن تنام، قدس فراشك بالصلوات، بحديث القلب مع الله. وافرش سريرك بالتسابيح، والمزامير، والترانيم، والألحان، والتأملات الروحية، لكي تستطيع أن تنام على فراش مقدس، ويكون الله هو أخر ما يلصق بذهنك قبل النوم، وأخر صورة تصحبها معك في رحلة النوم، ومسالك الأحلام إلى أن تستيقظ، رحلة النوم التي يقودك فيها العقل الباطن، وما اكتنزته فيه من أفكار، ومشاعر، وصور، وأخبار. وهكذا فإن ساعة الصلاة قبل النوم، تساعدك على نوم طاهر نقى، بما تغرسه في ذهنك من أفكار روحانية. وبالتالي تقدس أحلامك أثناء النوم.

📖 **آباؤنا القديسون كانوا يقطعوا ليلهم ونومهم بالصلاة:**

📖 فلا يسمحون لأنفسهم بفترة نوم طويلة ينقطعون فيها عن الحديث مع الله. وإنما -حسب ترتيب الكنيسة في صلوات الأجبية- جعل النوم من ثلاث هجعات، لكل هجعة صلاة، وتشملها كلها صلاة نصف الليل. إذن ما أجمل ألا يعود الإنسان نفسه على النوم الطويل.

📖 وكلما صحا من نومه، عن قصد، أو غير قصد، يرفع قلبه إلى الله ولو بصلاة قصيرة، ولو بعبارة واحدة، أو كلمة حب، أو فكر روحي، أو تأمل.

📖 **ولكن هل الليل له أهمية خاصة في الصلاة؟**

📖 نعم، الليل له أهمية خاصة. ولهذا قيل في المزمور: "في الليالي ارفعوا أيديكم أيها القديسون، وباركوا الرب".

📖 وقد قيل عن السيد المسيح نفسه إنه، "كان يقضي الليل كله في الصلاة" {لو ٦: ١٢}. وكان يقضي هذا الليل في جبل الزيتون، وفى بستان جثسيماني.

📖 وقيل في المزمور الكبير: "ذكرت في الليل اسمك يا رب" {مز ١١٩: ٥٥}. وقيل أيضاً "في نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك" {مز ١١٩: ٦٢}.

📖 **والكنيسة المقدسة تعطى أهمية كبيرة لصلوات الليل:**

📖 ثلاث صلوات تقال في نصف الليل، تعقبها التسبحة اليومية في الليل أيضاً. وصلاة النوم، وصلاة الستار في الليل كذلك، وأيضًا صلاة الغروب، التي نقول في تحليلها: "نشكرك يا مليكنا المتحنن، لأنك منحتنا أن نعبر هذا اليوم بسلام، وأتيت بنا إلى المساء شاكرين". وحتى صلاة باكر نقول فيها: "سبقت عيناي وقت السحر، لأتلو في جميع أقوالك". فلماذا كل هذه الأهمية لليل؟

🕮 يقول مار إسحق: "الليل مفروز لعمل الصلاة".

🕮 بل يقول أكثر من هذا: "صلاة واحدة يصليها الإنسان بالليل، أحسن من مائة صلاة يصليها في النهار. فلماذا كل هذا الاهتمام بالليل؟ ولماذا يصلح للعمل الروحي أكثر مما يصلح النهار؟

🕮 إنه الليل الهادئ الساكن، البعيد عن صخب الطبيعة، وعن صخب الناس. إنه الليل الذي يمكن للإنسان فيه أن ينفرد بالله، بعيدًا عن المشغوليات، وعن المعطلات، وبعيدًا عن المحادثات البشرية، وكثرة الكلام، والضوضاء.

🕮 نعم، ما أكثر ما يعطلك الناس بالنهار، بزياراتهم، وأحاديثهم، وأفكارهم، وخلطتهم، حتى ما يبقى لك وقت تقضيه مع الله.

🕮 يضاف إلى هذا انشغالك بعملك، ومسئولياتك حيال المجتمع الذي تعيش فيه. أما في الليل الهادئ، فإنك تستطيع أن تلتقي بالله.

🕮 ولكن ليس هذا عذرًا تقدمه عن انشغالك بالنهار، وتقصيرك في الصلاة. ولكن الذي نقصده هو أن الفرص في الليل أوفر، والحالة أهدأ، وما تضيعه بالنهار على الرغم منك، يمكنك أن تعوضه في الليل.

🕮 قيل عن أبينا إسحق أب الآباء: "وخرج إسحق ليتأمل في الحقل عند المساء" {تك ٢٤: ٦٣} كان المساء إذن وقتًا مناسبًا للتأمل منذ أيام الأيام الأول، ولعل هذه الآية هي أول آية وردت في الكتاب المقدس عن التأمل.

🕮 أحدثكم في هذه الليلة عن السهر. ولعلكم لاحظتم أن الليالي الماضية كانت ليالي قمرية، وكانت الطبيعة ساكنة جميلة. والإنسان في أمثال هذه الليالي ينظر إلى السماء الصافية، والليل الهادئ، وكأن صوتًا يصرخ في داخله ويقول: "اليوم حرام فيه النوم".

📖 إن الله قد خلق هذه الطبيعة الجميلة لكم. وهى في جمالها، وفى هدوئها، تذكرنا بقول المزمور: "السماوات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه" {مز ١٩: ١}.

📖 يخاطبها داود فيقول: "سبحي الرب أيتها الشمس والقمر. سبحيه يا جميع كواكب النور. سبحيه يا سماء السماوات" {مز ١٤٨: ٣، ٤}.

📖 عجيب أن السماء والنجوم تسبح الله، ونحن صامتون.

📖 ندعوها في الأبصلمودية، في ألحان التسبحة، أن تسبح الله جميعها.

📖 ولكن هل نحن في الليل نسبح الله معها؟ أم أننا نضيع الليل، ولا نستفيد منه روحيًا، مثل الذين أفسدوا الليل بضوضائهم، وعبثهم، وأغانيهم، وصيروا الليل صاخبًا كالنهار، بل قد يكون عندهم أكثر صخبًا ولهوًا من النهار. أما أنتم أيها المباركون، فاكتسبوا صداقة الليل. لكن تستطيعوا أن تسلكوا حسنًا في النهار.

📖 إن الذي يقضي الليل في الصلاة، أو يقضى جزءًا كبيرًا منه في العمل الروحي، هذا من الصعب عليه أن تخطئ أثناء النهار. لأن قلبه شبعان بالله طول الليل. المشكلة أن العدو يقابلك بالنهار وأنت غير محصن، وغير مؤيد بقوة روحية. فلما تأخذ هذه القوة بالليل، تستطيع أن تحارب بها بالنهار. الرصيد الروحي الذي أخذه القلب بالليل، ينفعه في حروب النهار.

📖 ليتكم إذن تكسبون صداقة الليل، فإن ذلك سيساعدكم أيضاً على كسب صداقة النهار. ليتكم إذن الليل معينًا لكم، يوصلكم إلى الله. وعلى الأقل، إن لم يكن الليل مصدرًا روحيًا لكم، فلا تسمحوا أن تجعلوا منه مجالًا للخطية. وإنما: "في الليالي ارفعوا أيديكم أيها القديسون، وباركوا الرب" {مز ١٣٣}.

📖 وأنا أحدثكم الآن في الصيف، حيث يسهل السهر ويحلو.

📖 لأن البعض لا يقوون على السهر في الشتاء، إذ يحتجون بالبرد،

وبحاجتهم إلى الدفء تحت الأغطية، مما يقودهم إلى النوم. ولكن ما عذر الإنسان إذا لم يسهر في الصيف؟ نقول هذا لا لنعطى سماحًا بعدم السهر في الشتاء. وإنما هو تدريب على السهر الآن حيث الأمر سهلًا.

📖 والذي يتدرب على السهر صيفًا، يسهل عليه ذلك في الشتاء.

📖 إنه تعود السهر، وتعود مناجاة الله فيه، وأصبح لا يستغنى عنه مطلقًا، سيان كان ذلك في الصيف أو الشتاء، في الدفء أو في البرد. فالسهر يعطي نشاطًا للجسد، والنوم قد يعطيه خمولًا.

📖 وخمول الجسد بالنوم، يصحبه خمول الروح، حيث لا صلاة، ولا تأمل، ولا تمتع بالوجود في حضرة الله.. ودفء الجسد بكثرة النوم قد يثير عليه محاربات. وبخاصة إذا استرخى الإنسان على فراشه بلا نوم، لفترة من الوقت.

📖 وهذا المسترخي، أو المتوخى، قد يسرح فكره، في أي موضوع، وربما يقف عند موضوع خاطئ، ويستقر فكرة، وهكذا يخطئ بفكره قبل أن ينام. ونفس الوضع نقوله عمن يستيقظ ويبقى في فراشه.

📖 إن النوم الكثير له عيبان: أما حرارة الجسد، أو خموله.

📖 وحرارة الجسد تتعب الشباب. وخمول الجسد يعود الكسل. وكلا الأمرين ضاران روحيًا وجسديًا.

📖 لذلك ننصحك أن تسهر، وتكون نشيطًا جسدًا وروحًا. وإن لم تستطع السهر بالليل، استيقظ مبكرًا بالنهار. فالمرتل يقول في المزمور: "يا الله أنت إلهي، إليك أبكر، عطشت نفسي إليك" {مز ٦٣: ١}. وهنا التبكير المقدس، الذي من أجل الله، الذي فيه تعطى لله باكورة يومك، وباكورة وقتك.

📖 ويكون الله هو أول من تتحدث إليه في هذا اليوم. تقوم بسرعة من نومك، وتقدم قلبك لله، لكن يملأ هذا القلب حبًا وطهارة، ولكي تبدأ

بدءًا حسنًا، وتشرق فيك الحواس المضيئة، والأفكار النورانية، وتبدأ نهارًا مقدسًا. ويتعاون نهارك مع ليلك في بناء حياة روحية سليمة لك، محترسة من كل خطأ.

🕮 **وخذها قاعدة:** النهار المحترس يساعد على ليل مقدس، والليل المقدس يساعد على نهار محترس.

🕮 والإنسان الروحي يسهر على قدر ما يستطيع في العمل الروحي، حتى يكون له قلب مستيقظ حتى أثناء نومه، كما تقول عذراء النشيد: "أنا نائمة وقلبي مستيقظ" {نش ٥: ٢}.

🕮 وكتشجيع لكم على السهر، ليتكم تتأملون في سهر القديسين.

كتاب السهر الروحي - صفحة ٨ - ١٨

🕮 **{٣} سهر القديسين:**

🕮 هنا وأتذكر إنني في إحدى المحاضرات منذ أعوام، طلبت إليكم -كتدريب روحي- أن تتأملوا في موضوع ليالي القديسين، وتجمعوا من سير القديسين كل المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع.

🕮 وطبيعي أن القديسين كانوا يقضون لياليهم في العمل الروحي: في الصلاة، والتسابيح، والتأمل، وأحيانًا في القراءة الروحية، أو في التلاوات الروحية.

🕮 **القديس أرسانيوس، كثيرًا ما يقضى الليل واقفًا يصلي:**

🕮 وهو رافع يديه نحو السماء. كان يقف متجهًا إلى الشرق وقت الغروب، الشمس خلفه. ويظل واقفًا يصلى، حتى تطلع الشمس من أمامه. وكان يقاوم النوم.

🕮 **والقديس الأنبا بيشوى، كانت له طريقته في السهر:**

🕮 كان يقضى الليل ساهرًا. وإذ يخشى أن يغلبه النوم كان يربط شعره بسلسلة مثبتة في الحائط، حتى إذا غفا من ضعف الجسد، تشده

السلسلة فيصحو. وهكذا يرغم جسده على السهر.

📖 وكما قال السيد المسيح "الروح نشيط. أما الجسد فضعيف" {مت ٢٦: ٤١}. على أن الأقوياء في الروح، لا يخضعون لضعف الجسد، بل يرغمونه - أراد أو لم يرد - على السهر مع الروح، والاشتراك معها في عملها الروحي.

📖 على أن أعجب ما قرأته عن سهر القديسين هو تدريب القديس مكاريوس الإسكندري: دخل في تدريب شديد جدًا، قضى فيه عشرين يومًا "لم يطبق فيها جفنًا على جفن"، حتى قال: "أحسست بعدها أن أعصاب مخي قد يبست". كل ذلك وهو سهران، ليلًا ونهارًا، وقائم في الصلاة، بعقل مجتمع غير مشتت، وبسيطرة عجيبة على جسده وفكره، مفضلًا الصلاة على الراحة.

📖 كان سهر القديسين مصحوبًا بالصلاة، والمطانيات، وأيضًا بالدموع. ولعلكم قرأتم في البستان قصة ذلك الراهب الحريص الذي كان مشهورًا بدموعه في الصلاة. وكان له صديق يهتم ببستان، وقد طلب منه أن يساعده في ري هذا البستان.

📖 فأجابه هذا الراهب الحريص بقوله: "اذهب أنت إرو بالنهار، وأنا أروى بالليل" يقصد دموعه التي يروى بها نفسه العطشانة إلى الله.

📖 **يعوزنا الوقت إن تحدثنا عن كل قصص القديسين.**

📖 فالسهر عمل أساسي في حياة الآباء، وعنصر روحي ما كانوا يستغنون عنه. ويمكنك أن تقرأ عن ذلك في كتب بلاديوس، وجيروم، وكاسيان، وروفينوس، وبستان الرهبان، والسير المتفرقة عن حياة قديسي البراري.

📖 و"سهر الليل في الصلاة" عبارة وردت في طقس سيامة الرهبان، كما قيل عنهم في إحدى مدائح شهر كيهك: "سهارى ليل ونهار، صارخين قائلين قدوس".

📖 **على أن السهر ليس فضيلة خاصة بالرهبان وحدهم:**

📖 إنما السهر فضيلة للخدام أيضاً، ولجميع الناس. فالقديس بولس الرسول يتحدث عن خدمته، وخدمة زملائه أيضاً، فيقول: "في كل شيء نظهر أنفسنا كخدام الله، في صبر كثير. في أسها، في أصوام" {٢كو ٦: ٤، ٥}.

📖 وهكذا ترينا طريقة معاملته للجسد: يسيطر عليه من جهة الطعام، فيقدم له الأصوام، ويسيطر عليه من جهة النوم، فيقدم له الأسهار. وبهذا يظهر نفسه كخادم {وليس كراهب}.

📖 **وكما كان بولس الرسول، كان داود الملك أيضاً:**

📖 وهو أيضاً خادم للرب، في ميدان أخر. هذا نسمعه يقول: "إني لا أدخل إلى مسكن بيتي، ولا أصعد على سرير فراشي، ولا أعطي لعيني نومًا، ولا لأجفاني نعاسًا، ولا راحة لصدغي، إلى أن أجد موضعًا للرب" {مز ١٣١}. ومزامير داود مملوءة بحديثه عن سهره الليل في الصلاة.

📖 **إن الذين تعودوا السهر مع الله، إذا ناموا تكون قلوبهم أيضاً معه.**

📖 هؤلاء إذا ناموا، يحلمون بالإله المحبوب الذي يملأ قلوبهم. ويقول مار إسحق عن نوم هؤلاء: "إن خيالات أحلامه، أطهر وأقدس من صحو غيرهم، ممن لا يعملون عملًا روحيًا مثلهم".

📖 ولا شك أن الذي ينشغل في النهار بعمل روحي، يملأ قلبه بالمشاعر المقدسة: هذا إذا نام، تخرج من عقله الباطن، في نومه، صور روحية جميلة، وربما يصلي أيضاً وهو نائم، أو تكون له في أحلامه تأملات روحية عميقة.

📖 **إنها أحلام في نوم. ولكنه نوم أقدس من سهر كثيرين.**

📖 هل نتكلم عن السلم الذي رآه أبونا يعقوب واصلًا بين السماء والأرض، وكان الملائكة القديسون يصعدون وينزلون عليه {تك ٢٨}. أم نتكلم عن أحلام يوسف الصديق، أحلام دانيال النبي، وأحلام قديسي البراري، وأحلام قديسي الخدمة، والرؤى المقدسة في حياة هؤلاء وأولئك. ما رآه بولس الرسول، وما رآه يوحنا الحبيب، وما رآه أنطونيوس الكبير، وما رآه هرماس {في كتابه: الراعي}.

📖 إن موضوع أحلام ورؤى القديسين موضوع طويل، ربما يحتاج إلى كتاب خاص. فأعتذر اليوم عن الخوض في تفاصيله، وأرجع إلى حديثنا عن السهر الروحي. واكتفي بأن أقول أن هناك نومًا عند البعض أقدس من صحو عند آخرين. وأقول أيضاً:

📖 إن كان لك سهر روحي مقدس، يكون لك أيضاً نوم روحي مقدس.

📖 وإن رفعت عينيك إلى الله في سهرك، تستطيع حينما تطبقهما أن تراه أيضاً. وكما قال أحد الأدباء الروحيين: "أغمضت عيني، لكن أراك".

📖 **ما علاقتك إذن بالليل، وسهر الليل، وإله الليل؟**

📖 الليل الذي ليس لك عذر فيه. ولا تستطيع أن تقول عنه كما تقول في صلاتك عن النهار: "ثقل النهار وحره، لم أحتمل لضعف بشريتي". وهوذا الليل أمامك، لا ثقل فيه، ولا حره.

📖 نعود ونكرر عبارة مار إسحق: "الليل مفروز لعمل الصلاة".

📖 ويقول القديس بولس الرسول: "واظبوا على الصلاة، ساهرين فيها بالشكر" {كو ٤: ٢}. هنا ونتذكر العبارة التي قالها رئيس النوتية موبخًا بها يونان النبي: "مالك نائمًا؟ قم أصرخ إلى إلهك" {يون ١: ٦}.

📖 قم ساهرًا في الليل، حسب دعوة الكنيسة التي تقول: "قوموا يا بني

النور، لنسبح رب القوات، لينعم علينا بخلاص نفوسنا".

📖 ثم نقول للرب: "عندما نقف أمامك جسديًا، أعطنا يا رب يقظة، لكي نفهم كيف أمامك وقت الصلاة" {صلاة نصف الليل}.

📖 وقم أيضاً باكرًا من النوم، وقل مع داود النبي في المزمور: "سبقت عيناي وقت السحر، لأتلو في جميع أقوالك" {مز ١١٩}. حقًا أين نهرب من هذه الآية؟

📖 اسهروا يا لأخوتي وصلوا، حسب أمر الرب لنا. لا تجعلوا عيونكم تثقل بالنوم، ولا أجسادكم تثقل بالنوم. مارسوا السهر حتى يصبح لكم عادة. ولتكن أجسادكم نشيطة، وأرواحكم أيضاً نشيطة. اسهروا مع الرب، لأنه يوبخنا بقوله: "أما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة"؟

📖 واعلموا أن السهر مع الرب له دلائل روحية.

كتاب السهر الروحي - صفحة ١٨ - ٢٤

📖 {٤} السهر مع الرب:

📖 هذا السهر يدل بلا شك على محبة الإنسان لله، وعلى محبة القلب للصلاة. فمحبة الله هي التي تدفع الإنسان إلى قهر الجسد، والسيطرة على رغبته في الراحة، وحاجته إلى الراحة، وذلك لكي يستمر في حديثه مع الله، دون يمنعه النوم عن ذلك.

📖 إن سهر الإنسان في الصلاة، يدل على أن محبته لله أكثر من محبته لذاته، بمعنى أنها أكثر من محبته لراحته. أو أنه يرى راحته الحقيقية في الله، وفى الحديث معه.

📖 **والسهر يدل على أن الروح هي المسيطرة وليس الجسد.**

📖 وأن الجسد صارت له أهداف روحية. ومن هنا أمكن أن يشترك مع الروح في عمل واحد، هو الحديث مع الله.

📖 والسهر يدل على أن مشاغل النهار لم تعطل الروح.

📖 إن العقل الذي تسيطر عليه مشاغل النهار، وما فيه من أحداث

وأخبار وانفعالات، هذا لا يستطيع أن يتفرغ لله، بل تبقى أفكار النهار في ذهنه يشرد فيها عقله.

📖 أما الذي يسهر في الصلاة، فإنه يدل على أنه طرح مشاغل النهار وراء ظهره، بحيث لا يبقى في عقله، وفى قلبه سوى الله وحده، أما عن العالم واهتماماته، فقد مات الجميع في قلبه.

📖 وهذا يذكرنا بقول القديس يوحنا التبايسي لما سئل: "ما هي الصلاة الطاهرة التي بلا طياشة" فأجاب: "هذه الصلاة هي الموت عن العالم". مات العالم وكل اهتماماته من لقلب، فأصبح الفكر يصلي بلا طياشة. حقًا إن سهر الجسد في الصلاة فضيلة كبيرة. ولكن سهر الروح فضيلة أكبر.

كتاب السهر الروحي ـ صفحة ١٨ ـ ٢٤



📖 {٥} طقس الكنيسة في سهر الليل:

📖 الكنيسة المقدسة تشجع أولادها على سهر الليل، وترتل لهم مزمور {١٣٣} "في الليالي ارفعوا أيديكم أيها القديسون، وباركوا الرب". وتقدم لهم برنامجًا في السهر يشمل:

📖 ١ـ مقدمة كل صلاة، مع مقدمة خاصة.

📖 ٢ـ صلاة نصف الليل، من ثلاث هجعات.

📖 ٣ـ تسبحة نصف الليل {الأبصلمودية}.

📖 ونبدأ طبعًا بالصلاة الربانية، حسبما علم الرب تلاميذه.

📖 ثم صلاة الشكر، عملًا بقول داود النبي: "في نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك" {مز ١١٩}.

📖 ثم المزمور الخمسين، طالبين من الرب الرحمة، وغفران خطايانا.

📖 وتوقظ الكنيسة أبناءها النائمين بالجسد، ليشتركوا معًا في صلاة واحدة وتسبحه واحدة، يقدمونها إلى الله. فتغنى في آذانهم أنشودتها الجميلة: "قوموا يا بني النور لنسبح رب القوات".

📖 أعطنا يا رب يقظة، لكي نفهم كيف نقف أمامك وقت الصلاة.

🕮 معلمة إيانا أيضاً أن اليقظة والسهر هما عطية من الله، وليس الأمر مجرد اجتهاد بشري، بل هي في طلب معونته.

🕮 تختم مقدمة الصلاة بقولها: "قم أيها الرب الإله، ولتتبدد جميع أعدائك" وأعداء الرب هم الشياطين، الذين يقاومون سهرنا، وصلواتنا، وصلتنا بالله.

🕮 وهناك ملاحظة جميلة في صلاة نصف الليل وهي:

🕮 ١- إن الكنيسة تصلى أن يقبل الله هذا الصلاة:

🕮 فترتل في أكثر من موضع، قول المرنم في المزمور الكبير: "فلتدن وسيلتي قدامك يا رب". "فلتدخل طلبتي إلى حضرتك". وذلك لأنه ليست كل صلاة مقبولة أمام الله، إنما علينا أن نصلى من أجل قبول الله لصلواتنا، ومن أجل دخولها إلى عرشه.

🕮 وهذا المزمور الكبير {مز ١١٩} الذي نصليه في نصف الليل، هو مزمور كله حب، وعواطف، وعمق، تسكب فيه النفس مشاعرها أمام الله. ويحتاج هذا المزمور إلى كتاب خاص للتأمل فيما يحويه من اشتياق النفس إلى الله، وحبها له.

🕮 ٢- أي أن المصلي يقف أولًا، ليقدم حبه للرب:

🕮 وهذا هو الهدف الأول من السهر، حيث يقول القلب لله، من خلال كلمات هذا المزمور العجيب: "مَنْ كل قلبي"، "محبوب هو اسمك يا رب، فهو طول النهار تلاوتي"، "ناموس فمك خير لي من ألوف ذهب وفضة"، "كلماتك حلوة في حلقي، أفضل من العسل والشهد في فمي". "لك أنا فخلصني"، "نفسي في يديك كل حين، وناموسك لم أنس"، "أبتهج أنا بكلامك، كمن وجد غنائم كثيرة".

🕮 ٣- وإلى جوار الحب، يوجد الصراخ إلى الرب:

🕮 سواء في المزمور الكبير، أو باقي مزامير الليل كلها، وتشمل أيضاً

مزامير الغروب، والنوم. إن القلب الشاعر بضعفه، يتوجه إلى الله مصدر كل قوة، صارخًا إليه، طالبًا تدخله ومعونته.

📖 كما يقول في أول مزامير صلاة النوم: "من الأعمال صرخت إليك يا رب، يا رب استمع صوتي" {مز ١٣٠}. وكما يقول أيضاً في {مز ١٤١} "بصوتي إلى الرب صرخت، بصوتي إلى الرب تضرعت. أسكب أمامه توسلي، أبث لديه ضيقي". وفي صلاة الغروب يقول المصلي: "إليك يا رب صرخت في حزني فاستجبت لي" {مز ١٢٠}.

📖 ٤- وفي صلاة نصف الليل توجد تعزيات بمعونة الله:

📖 فنقول فيها: "المتوكلون على الرب مثل جبل صهيون، لا يزول إلى الأبد" {مز ١٢٥}. وأيضًا "نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين. الفخ انكسر ونحن نجونا" {مز١٢٤}، وأيضًا "عظم الرب الصنيع معنا فصرنا فرحين" {مز ١٢٦}، وأيضًا "سبحي الرب يا أورشليم. أنه قوى مغاليق أبوابك. الذي جعل تخومك في سلام" {مز ١٤٧}. ويعوزنا الوقت إن تكلمنا عن باقي المزامير.

📖 فننتقل إلى نقطة أخرى:

📖 معونة الله المعزية كما تبدو في قطع الأبصلمودية:

📖 الأبصلمودية تذكرنا بأعمال الله العجيبة مع البشر.

📖 فالهوس الأول يركز على شق البحر الأحمر، والنجاة من عبودية فرعون، وقوة الله التي خلصت أيضاً من سيحون ملك الأموريين، وعوج ملك باشان، وباقي الأعداء

📖 وإبصالية الهوس الثالث نتغنى فيها بنجاة الثلاثة فتية من أتون النار، وكيف سبحوا الرب وهم في الأتون، كلها أحداث تعزى كل من هو في ضيقة، أو تعب.

📖 ٥- لذلك تمتلئ صلوات الليل بالتسبيح:

📖 سواء التسبيح الوارد في المزامير، أو الوارد في الأبصلمودية.

📖 إنه شكر للرب، تأمل في عجائبه الكثيرة، لأنه إلى الأبد رحمته، كما في الهوس الثاني. وتسبيح لله الذي تسبحه الطبيعة كلها، بما في ذلك الكائنات السمائية، أو كل الطبائع الأرضية، حتى الحيوانات، والطيور، والجبال، والأنهار.

📖 إنها سيمفونية تسبيح تشترك فيها كل عناصر الطبيعة: يشعر فيها المصلي في نصف الليل، أن الإنسان ليس هو وحده الذي يسبح الله، إنما الخليقة كلها. إنه كنائب عن الطبيعة يدعوها كلها لتسبح الرب. كما يظهر ذلك في الهوس الثالث، والهوس الرابع، مع تسبيح للرب بكل آلات الموسيقى والطرب.

📖 ما أعجب هذا، وما أعمق تأثيره في القلب.

📖 يضاف إلى هذا ما في المزامير: "سبحي يا نفسي الرب" {مز١٤٥}، و" سبحوا الرب يا جميع الأمم" {مز ١١٦}.

📖 بل إن الصلاة كلها تسمى في الأجبية تسبحة، فيقال: "تسبحة الغروب من النهار المبارك"، "تسبحة النوم".

📖 ٦- الاعتراف بالخطية، وتبكيت النفس:

📖 ليس فقط في المزمور الخمسين، إنما في كثير من المزامير. وقطع الأجبية. عبارات عديدة فيها تبكيت للنفس أمام الله:

📖 "أفنيت عمري في اللذات والشهوات، وقد مضى منى النهار وفات"، "لكل إثم بحرص ونشاط فعلت، ولكل خطية بشوق واجتهاد ارتكبت"، "توبي يا نفسي مادمت في الأرض ساكنة"، "أي جواب تجيبي، وأنت على سرير الخطايا منطرحة، وفى إخضاع الجسد متهاونة؟"، "اللهم اغفر لي فإني خاطئ"، "أعطني يا رب ينابيع دموع كثيرة، كما أعطيت في القديم للمرأة الخاطئة". وأمثال هذه الصلوات كثير.

📖 **٧- وصلاة الليل تذكر الإنسان بالموت، والدينونة، والاستعداد للأبدية:** "هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل"، "ها هوذا الختن يأتي في نصف الليل".

📖 تتكرر عبارة "الآن يا رب تطلق عبدك بسلام "في إنجيل صلاة النوم، وفى أخر صلاة نصف الليل". مع إيقاظ للنفس: "تفهمي يا نفسي هذا اليوم الرهيب واستيقظي"، "يا رب إن دينونتك لمرهوبة. تفتح الأسفار، وتنكشف الأعمال".

📖 **الإنسان يحتاج إلى هذا التذكار، لئلا يجرفه التيار:**

📖 وما أجمل أن الكنيسة تضع صلوات يتذكر فيها الإنسان يوم الموت، حتى لا تغره الحياة. ويتذكر يوم الدينونة، حتى يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله. ويتذكر مجيء المسيح ثانية، حتى يشعر بفناء هذا العالم. ويختم بقوله للرب: "نعم يا رب، سهل لنا أن نكون في تلك الساعة، بغير خوف، ولا اضطراب، ولا وقوع في الدينونة".

📖 **٨- وفي تِذكار خطايانا، توجهنا الكنيسة إلى التشفع بالقديسين:**

📖 التشفع بالعذراء موجود في كل صلوات الأجبية.

📖 ولكن في تسبحة نصف الليل، توجد صلاة المجمع، نتوجَّه فيها إلى العذراء، والملائكة، والقديسين الذين انتقلوا، رسلًا، وأنبياء، وشهداء، وآباء، ورعاة. نقول لكل واحد منهم: "أطلب من الرب عنا، لينعم علينا بغفران خطايانا".

📖 **٩- وتشمل صلوات الليل معاني أُخَر**

📖 كالاعتماد الكامل على الله، وسؤاله التدخل في حياتنا.

📖 ومثل اتضاع النفس وانسحاقها أمامه.

📖 **١٠- ويدخل في طقس الكنيسة اللحن والموسيقى:**

📖 والموسيقى واللحن يساعدان على يقظة الجسد.
📖 كما أنهما يغذيان المشاعر بتأثيرات روحية عميقة.
📖 وفيها نرى المصلي يعبد الله بفرح، ويسبحه بالآلات الموسيقية، كما ورد في المزمور ١٥٠، الذي نرتله في الهوس الرابع.
كتاب السهر الروحي - صفحة ١٦ - ٣٢

📖 {٦} أهمية سهر الروح:

📖 اصحوا واسهروا، لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسًا من يبتلعه" [١ بط ٥: ٨].
📖 طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم جاء سيدهم يجدهم ساهرين [لو ١٢: ٣٧].

📖 إن سهر الروح هو سهر الإنسان على خلاص نفسه:

📖 ولا شك أن هذا أمر خطير، ينبغي أن يضعه كل قلب في عمق أعماق اهتمامه. ولذلك نضع أمامنا قاعدة هامة وهى: إن سهر الروح أهم بلا شك من سهر الجسد. وذلك بمقدار ما أن نوم الروح، هو أخطر بكثير من نوم الجسد.

📖 الأسباب واضحة وهي:

📖 ١- الجسد قد ينام في الغالب ثماني، أو تسع ساعات، ثم يصحو من تلقاء ذاته، دون احتياج إلى مجهود من أحد لكي يوقظه. أما الروح فقد تنام سنوات. وربما تظل نائمة إلى ساعة الموت، وهى لا تدرى بذاتها، أو لا تدرى بحالتها، ولا تشعر. تنزلق من حفرة إلى حفرة، ومن متاهة إلى متاهة، ومن ظلمة إلى ظلمة.

📖 ٢- من الجائز أن ينام الإنسان ولا يخطئ. والكل ينامون، حتى القديسون ينامون أيضاً بالجسد ولا يخطئون. أما نوم الروح فهو خطية، لأن معنى ذلك أنها غافلة، وساهية عن خلاصها.

📖 **٣-** نوم الجسد قد يكون نومًا طبيعيًا، وشيئًا لازمًا. أما نوم الروح فهو شيء غير طبيعي، فالمفروض في الروح أن تكون ساهرة مع الرب. ولذلك فإن السهر هو الشيء اللازم لها، وليس النوم.

📖 **٤-** قد ينام الجسد، والقلب مستيقظ. أما نوم الروح، فهو نوم شامل، يشترك فيه القلب، والضمير، والعقل، سواء كان الجسد ساهرًا، أو غير ساهر. فالقلب نائم من جهة مشاعره نحو الله، والضمير نائم لا يؤدى عمله في التوبيخ، ولا في التوجيه، والعقل نائم لا يفكر في مصيره، ولا في نتائج نوم الروح.

📖 من أجل هذا كله، أوصى الكتاب بسهر الروح.

📖 لقد طوب الرب الساهرين فقال: "طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين" {لو ١٢: ٣٧}. وما معنى كلمة ساهرين هنا؟

📖 معناها أن يكون كل منهم ساهرًا على خلاص نفسه، وعلى أبديته، منتبهًا إلى روحياته، بكل حرص. واخِذ باله من نفسه، أي يكون مهتمًا بنفسه ومصيرها. سهران على كل دقيقة من دقائق وقته، كيف يقضيها حسنًا.

📖 وفى نفس الوقت الذي يطوب الرب فيه الساهرين، نراه يحذر من عدم السهر بقوله: "لئلا يأتي بغتة فيجدكم نيامًا" {مر ١٣: ٣٦}.

📖 أي لئلا يبغتكم الموت وأنتم في غفلة، أو في حالة لامبالاة. تجرفكم المياه في بحر العالم الزائل، وأنتم غير مستعدين لملاقاة الرب، ولا لتلك الساعة، ولا يخطر هذا الاستعداد على فكركم. وهكذا تضيع حياتكم! لذلك مازلت أذكر ذلك الرجل البار الذي كان يقف في الدير ليصلى، فيقول بكل قلبه: "لا تأخذني يا رب في ساعة غفلة".

📖 واضح إذن أن سهر الروح الذي يأمرنا به الرب، إنما هو سهر مدى الحياة سهر دائم.

📖 إنه سهر الحياة كلها، استعدادًا لساعة الموت.

📖 وفي ذلك يقول الرب: "اسهروا إذن لأنكم لا تعلمون متى يـأتي رب البيت: أمساءً، أم نصف الليل، أم صياح الديك، أم صباحًا. لـئلا يـأتي بغتة فيجدكم نيامًا" {مر١٣: ٣٤ -٣٦}. ويقول أيضاً: "اسهروا وصلوا، لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت" {مر ١٣: ٣٣}.

📖 إذن فالاستعداد للأبدية هو السبب الأول للسهر الروحي.

📖 أما السبب الثاني الذي يوجب سهر الروح.

📖 فهو أن الشيطان ساهر أيضاً، يجول كأسد يزأر، فلا بد من الاستعداد له بالسهر. وفى هذا قال القديس بطرس الرسول: "اصحوا واسهروا، لأن إبليس خصمكم يجول كأسد زائر، ملتمسًا من يبتلعه هو" {١بط ٥: ٨}. ويقول الرسول بعد هذا: "فقاوموه راسخين في الإيمان". وكيف يمكن لإنسان مهتم بخلاص نفسه، أن يقاوم عدوًا قويًا مثل هذا، يجول كأسد، إلا إذا كان ساهرًا. فإن لم يسهر سيبتلعه العدو.

📖 ولهذا، فإن الرب يعرض السبب الثالث للسهر في قوله:

📖 "اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة" {مت ٢٦: ٤١}.

📖 إننا نطلب من الرب في الصلاة الربانية، ألا يدخلنا التجارب، بل ينجينا من الشرير. والرب بنعمته سيحمينا من التجارب، ولكنه في نفس الوقت يوجهنا إلى دورنا في هذا المجال، فيقول: "اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة". السهر إذن أمر إلهي، ويشرح لنا كيف ننجو من التجارب: هو يعين، ونحن نسهر. وبهذا ندخل في شركة مع الروح القدس في العمل.

📖 ذلك لأن كثيرًا من التجارب تصيبنا بسبب تهاوننا.

📖 بسبب تراخينا وإهمالنا، وعدم سهرنا على خلاص أنفسنا.

📖 هنا وتعجبني عبارة ذكرها الإنجيل المقدس، عن الرعاة الذين عاصروا، قيل عنهم إنهم كانوا: "رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم" {لو ٢: ٨}. كانوا سهرانين على غنمهم، يحرسون حراسات الليل، لئلا يبغتهم وحش إذا ناموا فيفترس غنيماتهم، أو يختطفها في الظلام، دون أن يحسوا هم.

📖 فهل أنت أيها القارئ العزيز مثل هؤلاء الرعاة، تحيا حياتك الروحية، ساهرًا تحرس حراسات الليل، لئلا يبغتك العدو، سلطان الظلام، وينتهز فرصة نومك فيختطف روحياتك، التي هي في حراستك، والتي ينبغي أن تسهر لتحرسها، أو يختطف منك رعيتك، أو تلاميذك، إن كنت خادمًا ومسئولًا عن آخرين، والمفروض أن تسهر لحراستهم، وبخاصة إن كان العدو يجول كاسد يزأر.

📖 **إن السهر هو أيضاً صفة من صفات الله كراع.**

📖 هذا الذي قيل عنه إنه "لا ينعس ولا ينام" {مز ١٢٠}. فإن كنا قد خلقنا على صورة الله، وعلى شبهه ومثاله {تك ١: ٢٦}، فلتكن لنا صفة السهر هذه - ولو بقدر- على قدر ما تحتمل طبيعتنا.

📖 الله يسهر لأجلنا. ونحتاج أن نسهر معه لأجل أنفسنا. أنظروا ماذا يقول سفر النشيد عن تخت سليمان، الذي يرمز هنا إلى عرش الله. يقول: "حوله ستون جبارًا" أي رجال الحرب القادرون على القتال، الذين دخلوا في حروب الرب كجبابرة. وماذا عن هؤلاء؟ يقول الوحي الإلهي: "كلهم قابضون سيوفًا ومتعلمون الحرب. كل رجل سيفه على فخذه، من هول الليل" {نش ٣: ٧، ٨}.

📖 عبارة سيفه على فخذه، تعنى حالة الاستعداد، الاستعداد لأية حرب روحية، تحاول أن تبعد القلب عن الله.

📖 فما دام هناك ليل، وليل مرعب له هول، يجول فيه عدو الخير،

الذي لقبه الرب بسلطان الظلام {٢٢: ٥٣}، إذن لابد أن تكون ساهرًا "تحرس حراسات الليل "وأنت قابض على سيفك، ومستعد للحرب مع العدو، الذي قد يأتي خفية، وفى الظلام، ليضع أمامك خطية، أو تجربة، ويحاول إسقاطك.

🕮 إن الغافلين والمتهاونين، والذين يعيشون في التراخي واللامبالاة، هؤلاء لا يصلحون للحروب الروحية ضد قوات الشر الملتهبة. إنما يصلح كل جبار بأس، ساهر، يحرس حراسات الليل، وسيفه على فخذه من هول الليل.

🕮 المطلوب منكم في سهركم، أن تحرسوا حراسات الليل.

🕮 والمطلوب منكم أيضاً، أن تكونوا متعلمين الحرب.

🕮 هنا وأذكر قول داود النبي: "مبارك الرب صخرتي. الذي يعلم يدي القتال، وأصابعي الحروب" {مز ١٤٤: ١}.

🕮 أي مبارك الرب الذي يعلمني أسرار الحرب الروحية، وكيف أدخل في الجهاد الروحي، وكيف أقاتل الشياطين، وكيف أفهم أساليبهم، وخططهم، وحيلهم. وكيف أكون ساهرًا باستمرار، متيقظًا لكل حرب يثيرها الشيطان.

🕮 **في الواقع أن عبارة السهر، تعنى أيضاً والاستعداد.**

🕮 تعنى أن يكون الإنسان مستعدًا لكل حرب روحية، متنبهًا لكل خطية تحاول أن تزحف إلى قلبه، أو تحاول أن تسيطر على إرادته، وملتفتًا تمامًا إلى كل أفكار الشيطان.

🕮 وكما قال القديس بولس الرسول في هذا السهر ضد الشيطان: "لأننا لا نجهل أفكاره" {٢ كو ٢: ١١}.

🕮 **السهر يعني أن يكون الإنسان مستعدًا للحروب الروحية.**

🕮 ويعنى أيضاً أن يكون مستعدًا للأبدية.

🕮 وفي هذا الاستعداد، أعطانا الرب مثال العذارى الحكيمات.

🕮 لقد كُنَّ ينتظرن العريس، والجاهلات أيضاً كن كذلك. ولكن الحكيمات تميزن على الجاهلات بأنهن زيت لمصابيحهن في آنيتهن. ولذلك يقول الكتاب عبارة هامة جدًا في مجيء العريس. يقول في: {متى ٢٥: ١٠}: "والمستعدات دخلن معه إلى العرس، وأُغْلِقَ الباب".

🕮 والاستعداد هو السهر.

🕮 ولذلك فإن الرب ختم هذا المثل بقوله: "فاسهروا إذن، لأنكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان" {مت ٢٥: ١٣}.

🕮 ويقول في إنجيل معلمنا لوقا: "فكونوا أنتم إذن مستعدين" {لو ١٢: ٤٠}، والاستعداد يعنى السهر، السهر الروحي الدائم.

🕮 هنا ونسأل: ما الفرق بين أقدس وأخطأ خاطئ؟

🕮 الفرق أن القديس سهران ومستعد. أما الخاطئ فغافل ومتهاون.

🕮 إن الشيطان يحارب الاثنين معًا، يحارب القديس كما يحارب الخاطئ تمامًا، وربما أكثر، والاثنان معرضان للسقوط، وفيهما الضعف البشرى، وليس أحد منهما معصومًا. لكن الفرق، وهو أن الشيطان حينما يأتي لمحاربة القديس، يجده مستعدًا له، سهران للقائه، وسيفه على فخذه، وهو متعلم الحرب. أما الخاطئ فيجده الشيطان غافلًا عن خلاص نفسه، لا سلاح في يده، ولا قدرة على القتال، فيصبح سقوطه سهلًا.

🕮 فهل أنت في حالة استعداد؟ وهل أنت في سهر روحي مستمر، لا تؤخذ فيه على غفلة؟ إن لم تكن ساهرًا، فابدأ السهر.

🕮 ولكن ما مظاهر هذا السهر وهذا الاستعداد؟

🕮 يقول السيد الرب في ذلك {في ١٢: ٣٥}: "لتكن أحقاؤكم ممنطقة،

ومصابيحكم موقدة". "الأحقاء الممنطقة" تعنى الاستعداد: الاستعداد للعمل، أو للسفر، وكلاهما لازم في السهر الروحي.

📖 ولعل أول مرة سمعنا فيها أمرًا إلهيًا بهذا، كان في يوم الفصح، والشعب مستعد لمغادرة أرض العبودية، والعبور إلى حيث يكونون تحت قيادة الرب نفسه. أمرهم الرب في تلك الليلة أن تكون "أحقاؤكم مشدودة" {خر١٢: ١١}. أي أن يكونوا مستعدين للسفر، وللعبور، وللخروج من عبودية الخطية.

📖 والإنسان الذي يشعر بغربته في هذا العالم الحاضر، وبأنه مسافر منه إلى مدينة الله، تكون أحقاؤه ممنطقة، ومشدودة باستمرار، وسواء في عمله الروحي، أو استعداد للسفر.

📖 والراهب الذي يمثل الغربة عن العالم، والاستعداد للأبدية، يلبس دائمًا منطقة على حقويه، كيوحنا المعمدان {مت ٤: ٣}.

كتاب السهر الروحي - صفحة ٣٤ - ٤٣

📖 {٧} كيف يكون الاستعداد للأبدية:

١- إنه أولًا استعداد بالتوبة

📖 ولذلك نقول في صلاة الليل: "توبي يا نفسي ما دمت في الأرض ساكنة. انهضي من رقاد الكسل، وتضرعي إلى المخلص بالتوبة قائلة: اللهم ارحمني وخلصني"،

📖 "أعطني يا رب ينابيع دموع كثيرة، كما أعطيت في القديم للمرأة الخاطئة. واجعلني مستحقًا أن أبل قدميك اللتين اعتقتاني من طريق الضلالة. وأقتنى لي عمرًا نقيًا بالتوبة"،

📖 "أنعم لنفسي المسكينة بتخشع، قبل أن يأتي الانقضاء وخلصني"، "بما أن الديان حاضرًا، اهتمي يا نفسي وتيقظي".

📖 إن صلاة الليل، كما وضعتها الكنيسة، حث على التوبة.

📖 يصليها الإنسان، فيتخشع أمام الله، ويعرف أهمية السهر

الروحي على خلاص نفسه بالاستعداد، بالتوبة والاعتراف والدموع، والدوام في ذلك. حتى إن كان متغافلًا يصحو إلى نفسه. وبسهر جسده في الصلاة، يقتني سهر الروح.

📖 وماذا عن كيفية الاستعداد؟ نقتنيه بالتوبة وأيضًا:

٢- بالجهاد، والعمل الصالح

📖 الإنسان الساهر يجاهد بكل قوته، ليقاوم كل قوى الشر، كما قال بطرس الرسول: "اصحوا واسهروا لأن إبليس عدوكم يجول كأسد زائر.. فقاوموه راسخين في الإيمان" {١بط ٥: ٨، ٩}.

📖 هذه المقاومة للشيطان، تمثل الجهاد الروحي، الذي هو عنصر أساسي من عناصر السهر الروحي. وهذا الجهاد ليس سلبيًا، إنما له إيجابيته بالعمل الصالح.

📖 لذلك نذكر أنفسنا في بدء صلاة الليل ببداية المزمور الكبير: "طوباهم الذين يفحصون عن شهاداته، ومن كل قلوبهم يطلبونه" لكي ندرك في سهرنا أنه يجب أن نكون بلا عيب في طريق الرب، ونهتم بناموسه ووصاياه. حينئذ لا نخزى.

٣- وهكذا يأتي الاستعداد أيضاً، بالالتصاق بوصايا الرب.

📖 فالمصلى يقول للرب في صلاة الليل: "لو لم تكن شريعتك هي تلاوتي، لهلكت حينئذ في مذلتي" {مز ١١٩}. نعم إن شريعتك تعلمني السهر: "مصباح لرجلي كلامك، نور لسبيلي"، "أخفيت أقوالك في قلبي لكيلا أخطئ إليك"، "ذكرت في الليل اسمك يا رب، وحفظت شريعتك" {مز ١١٩}. وكما أن الأحقاء الممنطقة تعني الاستعداد للعمل وللسفر، كذلك المصابيح الموقدة، تعنى الاستنارة الروحية الدائمة.

📖 الإنسان الساهر على خلاص نفسه هو إنسان له هذه الاستنارة، يرى ما هو النافع لخلاصه، وما هو الضار. فهو حكيم عيناه في رأسه، أما الجاهل فيسلك في ظلام {جا ٢: ١٤}.

📖 والنور الذي في الإنسان الروحي الساهر، كما يصلح لخلاصه، يصلح للآخرين أيضاً. هو مصباح موقد، يوضع على المنارة ليضيئ لكل من في البيت {مت ٥: ١٥}. والمصباح يوقد بالزيت. وهذا الزيت كان سر نجاح الحياة الروحية للخمس العذارى الحكيمات، وهن مثال للسهر الروحي السليم {مت ٢٥}، فإلى أي شيء يرمز الزيت؟

📖 الزيت في مصباح الساهر يرمز إلى الروح القدس وعمله.

📖 ورموز الزيت للروح القدس، أمر واضح جدًا في الكتاب المقدس. وكان يمثل المسحة المقدسة التي يحل بها الروح القدس، كما في مسح الملوك، وفي مسح الكهنة في العهد القديم. وكما في سر مسحة الميرون في العهد الجديد {١يو٢: ٢٠، ٢٧}.

📖 والخمس العذارى الحكيمات الساهرات اللائي احتفظن بالزيت في آنيتهن، يرمزن إلى النفوس الساهرة على خلاصها، التي تحتفظ بعمل الروح القدس فيها.

📖 ولكن ما تفاصيل هذا السهر الروحي؟ وكيف يكون؟

كتاب السهر الروحي - صفحة ٤٣ - ٤٦

📖 {٨} كيفية السهر الروحي:

📖 الكل موافق على السهر الروحي. ولكن كيف؟

📖 لا يوجد أحد مطلقًا يعارضك، إن حدثته عن وجوب السهر الروحي. فهذا أمر بديهي أوصانا به الرب، وقد ورد في آيات كثيرة من الكتاب المقدس. ولكن المهم هو:

📖 ما هو كنه هذا السهر الروحي؟ ما كيفيته؟ ما تفاصيله؟

📖 هذا ما سوف نتحدث عنه الآن بمشيئة الرب:

📖 ١- السهر على الهدف الروحي

📖 ٢- السهر على الوسائل

📖 ٣- كن ساهرًا في حروبك الروحية

📖 ٤- احترس من الانحدار التدريجي
📖 ٥- احترس من التغيير والمفاهيم الجديدة
📖 ٦- اسهر على نموك الروحي
📖 ٧- اسهر على خدمتك

كتاب السهر الروحي - صفحة ٤٨

📖 {٩} السهر على الهدف الروحي:

أولًا: ليكن لك هدف الروحي

📖 الإنسان الروحي الساهر على خلاص نفسه، هو إنسان له هدف ثابت قوى، لا يتحول. وهذا الهدف هو محبة الله، وملكوت الله في قلبه. فهل لك هذا الهدف؟ أم أنت تحيا بلا هدف، بلا خطة، بلا اتجاه ثابت، يوم يسلمك ليوم، وليل يسلمك لليل، دون أن تدرى ما أنت فيه؟! ضع لك إذن هدفًا روحيًا. واسهر على هذا الهدف باستمرار، وراقبه لئلا يضعف، أو يتغير.

📖 ولا تكن مثل كثيرين بدأوا بالروح وكملوا بالجسد {غل ٣: ٣}، لأنهم لم يكونوا ساهرين. ما أسهل أن يتغير هدفك في الطريق، إن لم تكن ساهرًا.

📖 كثيرون بدأوا بهدف سليم هو محبة الله. وكمظهر هذه المحبة، أو كتعبير عن هذه المحبة، دخلوا في محيط الخدمة، أنهم يريدون أن يدخل الناس في محبة الله مثلهم.

📖 وبمرور الوقت تحولت الخدمة إلى هدف، فقدوا فيه محبتهم لله. وأعطوا الخدمة كل جهدهم، ووقتهم، وتفكيرهم، حتى لم يبق لهم وقت يقضونه مع الله في صلاة، أو تأمل! وهكذا فترت حياة هؤلاء، وبالتالي فترت خدمتهم، ولم تعد خدمة لها الطابع الروحي!

📖 أو أخرون من أجل محبة الله دخلوا الخدمة.

📖 ولأنهم لم يكونوا ساهرين على أنفسهم، تحولت الخدمة عندهم بمرور الوقت إلى لون من الرئاسة، والسيطرة، والسلطة، وتأكيد تفوق الذات، وحلت الذات محل الله، وضاعوا وضاعت خدمتهم.

📖 والبعض بدأوا بمحبة الله كهدف سليم. ومن محبتهم لله أرادوا أن يتعمقوا في معرفته، وبحثوا عن هذه المعرفة في الكتب.

📖 وبمرور الوقت أصبحت الكتب هي هدفهم. وتوسعت بهم المعرفة حتى خرجت عن محبة الله، وتاهوا في معارف متعددة.

📖 وبعضهم وقعوا في شكوك، أو أوقعوا غيرهم في شكوك. واستهوتهم المعرفة حتى تحولوا إلى عقل صرف، لا تشغله محبة الله! وأدخلتهم المعرفة في صراعات مع من يخالفونهم في الرأي. وفى صراعاتهم نسوا الله، الذي يتصارعون من أجله. وجرفتهم الدوامة التي جرفت كثيرين.

📖 أما أنت فإن دخلت في الخدمة، أو المعرفة، فاسهر على نفسك، واحرص فيهما على هدفك الحقيقي، الذي هو محبة الله، وملكوته على قلبك.

📖 **واحترس من الأهداف الجانبية.**

📖 أو احترس من الأمور الجانبية، التي تسرقك أثناء عدم انتباهك وعدم سهرك، وتتحول إلى أهداف! فتسعى إليها بكل قلبك، ناسيًا هدفك الحقيقي. اسهر إذن، وفتش نفسك بين الحين والآخر، وفتش أهدافك، واذكر عبارة القديس أرسانيوس: "تأمل يا أرساني فيما خرجت لأجله".

📖 وكان للقديس أرسانيوس كل الحق، في أن يخاطب نفسه بهذه العبارة، لأن كثيرين دخلوا الرهبنة "من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح". ولكنهم إذ لم يكونوا ساهرين على هدفهم الروحي، تطوروا بمرور الوقت، ونسوا هذه المحبة، ونسوا نذورهم، ووعودهم

الأولى، وتحولوا إلى وضع مختلف تمامًا، عن الوضع الذي بدأوا به هذا الطريق الروحي.

📖 أخشى أن تنظر روحك في مرآة، فتقول من هذا؟! لست أنا ما أراه في المرأة! تنظر إلى ذاتها بعد وقت، فتجد بدلها شخصية أخرى، ليست هي ذاتها التي بدأت الطريق الروحي، بطريقة روحية. ولكن لعدم سهرها على هدفها، تغيرت دون أن تدري.

📖 والإنسان الساهر على خلاص نفسه، إن لاحظ تغيرًا في هدفه، يعالجه بسرعة، ويصلحه بسرعة، متنبهًا إلى نفسه، ولا يعطى فرصة لهذا التغير يثبت فيها وجوده، ويرسخ أقدامه.

📖 وكما يسهر الإنسان على هدفه ويلاحظه، هكذا ينبغي أيضاً أن يسهر على الوسائل التي يستخدمها في تحقيق هدفه، مراعيًا أن تكون روحية، وصالحة لتوصيله إلى الهدف.

كتاب السهر الروحي ـ صفحة ٤٨ ـ ٥١

📖 {١٠} السهر على الوسائل:

📖 الهدف الروحي، ينبغي أن تكون الوسيلة المؤدية إليه، هي وسيلة روحية مثله. ويجب أن يسهر الإنسان الروحي على وسائله، ويراجعها، ويرى هل أوصلته إلى هدفه أم لا؟ وما السبب؟

📖 وربما تكون له وسائط روحية، ولكن دخلت إليها الروتينية.

📖 عليه إذن أن يراجع نفسه ويراقبها: هل صلواته، ومزاميره، وقراءاته، تحولت إلى شكليات، وروتين، وأصبحت بلا روح، وبلا ثمر؟ هل اعترافه بخطاياه تحول إلى مجرد عادة، مع بقاء حالة كما هو؟ هل تناوله بغير خشوع، وبغير توبة حقيقية؟

📖 **ثم الوسائل الأخرى التي يسلك فيها، لتوصله إلى محبة الله.**

📖 هل هي فعلًا مملوءة بالمحبة، أم أصبحت منفردة بذاتها، لا تظهر فيها مطلقًا محبة لله. والساهر على خلاصه، يحترس من الوسائل

التي تتحول إلى أهداف..
📖 هل الخدمة مثلًا هي مجرد وسيلة، توصِل إلى الالتصاق بالله، أم تحولت الخدمة إلى هدف في ذاته، ويمكن أن تدخل إليها طرق عالمية، وأساليب غير روحية، لا ترضى الله! كما أصبحت مجالًا للظهور، مجرد عمل من أعمال النشاط، أو الذكاء!
📖 هل محبة الناس تحولت إلى علاقات شخصية، وصداقات بشرية، لا دخل لله فيها، وليس لها أي هدف روحي، ولا أي ثمر روحي. مجرد عمل اجتماعي!!
📖 وهل الفضيلة أصبحت مجرد حرص على رضا الآخرين، أو رضا النفس عن ذاتها، دون أن تصبح وسيلة يملك بها الرب على القلب.
📖 وهل الصوم أصبح مجرد تدريب لتقوية الإرادة، وقمع الجسد، أو صبح مجرد عادة، أو طاعة للقوانين الكنيسة، أو لعدم إعثار الآخرين، دون أن يدخل الله فيه!

📖 الإنسان الساهِر على خلاص نفسه، يراقب وسائله ويعالجها.
📖 لئلا تتحول كلها إلى روتين، وإلى عادة، وينسى الهدف الأصلي منها، وهو محبة الله! ويقينًا أن الشيطان لا مصلحة له في أن يحارب ممارسات لها الشكل الروحي، ولكن لا صلة لها بمحبة الله، ولا عمق ولا روح. اسهر إذن على نفسك، وعالج، وصحح مسارك إلى الله. وماذا أيضاً تسهر عليه؟ كن ساهرًا في حروبك الروحية.
كتاب السهر الروحي ـ صفحة ٥٢ ـ ٥٤

📖 {١١} كن ساهرًا في حروبك الروحية:
📖 الإنسان الساهر على خلاص نفسه، ويرقُب كل خطية تسعى إليه. وينتبه بكل يقظة قلب إلى الحروب الداخلية، والحروب الخارجية، التي تهاجم حياته الروحية. ولا يكون ساهرًا فقط، بل ساهرًا، ومقاتلًا، حتى لا يهزمه الشيطان.

🕮 لأن كثيرًا من الخطايا، تسبقها الغفلة أو التهاون.
🕮 فيقع الإنسان في الخطية دون أن يشعر، وحينما يحس أنه قد سقط، يكون قد تورط، وقطع شوطًا فيها. لذلك نحن نطلب من الله في تحليل صلاة الستار قائلين: "امنحنا عقلًا مستيقظًا" أي منتبهًا غير غافل.
🕮 إن الشيطان يعمل في الظلام، حتى لا ندرك أعماله، ولا نراها، لذلك سماه الرب: "سلطان الظلام" {لو ٢٢: ٥٣}. هذا الذي يعمل في الظلمة الخارجية، خارج الحياة مع الله. وحالة غفلة النفس، هي حالة ظلمة لا ترى فيها، ولا تدرك.

🕮 **الإنسان السهران، لا يسهل أن يخدعه الشيطان.**
🕮 وكما يقول القديس بولس الرسول عن الشيطان: "لأننا لا نجهل أفكاره" {٢كو ٢: ١١}. فالإنسان الساهر على حياته الروحية، التي يفهم بها حيل العدو فيهرب منها.
🕮 ولا يضربه الشيطان بضربة شمال، ولا بضربة يمين.
🕮 وضربة الشمال هي التساهل، والتسامح مع الخطية، والتسيب.
🕮 أما ضربة اليمين فهي المُغالاة في الطريق الروحي، حيث يرتئي الإنسان فوق ما ينبغي {رو ١٢: ٣}.

🕮 **الإنسان السهران، يكون له فِكْر حكيم، يدرك حيل العدو.**
🕮 لا يمكن أن تخدعه الخطية. ويستطيع أن يميز تمامًا الخطايا التي تلبس ثياب الحملان، وتأتى إليه في شكل فضيلة!
🕮 يستطيع أن يميز القسوة التي تأتيه باسم الحزم، والشهوة التي تأتيه باسم الحب والعطف. يستطيع أن يميز حب مديح الناس، الذي يأتيه في هيئة تقديم قدوة صالحة لفائدتهم. وهكذا في كل ما تمر عليه من حروب في الخارج، أو مشاعر في الداخل.

🕮 يتذكر قول القديس يوحنا الحبيب: "لا تصدقوا كل روح. بل امتحنوا الأرواح، هل هي من الله". {١ يو ٤: ١} ذلك لأن الشيطان كما قال الكتاب: "بغير شكله إلى شبه ملاك نور" {٢كو ١١: ١٤}. إن كان يدفع أحدًا للارتفاع إلى فوق في الروحيات، بغير حكمة، وبغير مشورة، إنما يرفعه ليسقطه من علو، أو ليرميه في الكبرياء، أو يوصله إلى مستوى لا يستطيع أن يستمر فيه، ثم يوقعه في الكآبة والحيرة.

🕮 أما الإنسان الساهر فلا يقبل من الشيطان نصيحة، مهما كانت تبدو خلصه، أو تبدو نافعة!! وإن كان الشيطان يغير شكله إلى شبه ملاك نور، فإن هذا ينبهنا إلى نقطة هامة وهى أن:

🕮 الساهر لا تخدعه الرؤى ولا الأحلام الكاذبة.

🕮 الذي في غفلة، قد تخدعه الرؤى والأحلام. أما الساهر على روحياته، فإنه يفحصها جميعًا، ويميز ما هو من الله ويرفض الباقي.

🕮 لست أريد أن أتفيض كثيرًا في الحديث عن حروب الشياطين، فموعدنا بها كتاب سنصدره في الشهر المقبل إن شاء الله، عن الحروب الروحية، فيه باب أساسي عن حروب الشياطين، أما الآن فإننا نركز على السهر الروحي في هذه الحروب فنقول:

🕮 **الإنسان الساهر لا يدخل في حرب، وهو في حالة ضعف.**

🕮 إنه لا يدخل في قتال مع الشيطان، إلا وهو مستعد له، سيفه على فخذه من هول الليل. أما إن أحس ضعفًا في دخله، فإنه يبعد عن كل حرب خارجية يثيرها الشياطين. بل يهرب من العثرات على قدر طاقته، مهما كان تبدو خفيفة.

🕮 **يهرب من الخطايا القريبة، ومن الخطايا البعيدة أيضاً.**

🕮 من الخطايا التي يمهد الشيطان طريقها بعد أسبوع، أو شهر، أو

سنة، ويقول لنفسه في حرص الساهر. أنا عارف أن هذه السكة سوف تتعبني، ولو بعد فترة طويلة، فالبعد عنها من الآن أفضل وأسلم. وهكذا يراقب نفسه من الداخل، ويراقب العدو من الخارج.

🕮 هذا هو الإنسان الساهر روحيًا: يراقب نفسه باستمرار، يراقب مشاعره، وأفكاره، وحالة قلبه الداخلية. فإن وجد في نفسه ضعفًا معينًا، أو ميلًا في وقت ما نحو الخطية، أو تراخيًا مقصودًا في مقاومتها. يسرع بإقامة حالة طوارئ بالنسبة إلى نفسه، ويزيد من حراسته، ويدعمها بالوسائط الروحية العميقة.

🕮 ولا يترك العدو يهاجمه، وهو في حالة غفلة، أو عدم اهتمام، أو وهو في حالة ضعف، أو لا مبالاة.

🕮 وكما قال أحد القديسين: "الخطية يسبقها: أما الشهوة، أو الغفلة، أو النسيان". والساهر يحترس من هذه كلها. ويراقب نفسه، ويرى ما يصلح لها، ويقويها، ولا يدعها تكون فريسة سهلة لعدو الخير المتربص لافتراسها. وإن وجد الحرب شديدة عليه، يصرخ كما في قطع صلاة الستار: "يا رب أنت تعرف يقظة أعدائي. وضعف طبيعتي أنت تعرفه يا خالقي. فاسترني بأجنحة صلاحك، لئلا أنام نوم الوفاة". هذا ما يفعله الساهر الذي يراقب نفسه.

🕮 لهذا أقول لكم في صراحة: "راقبوا أنفسكم جيدًا، بدلًا من أن يراقبكم الناس". وكما قال القديس مكاريوس الكبير: "أحكم على نفسك، قبل أن يحكموا عليك". اصحوا لأنفسكم. إفحصوا أنفسكم من الداخل. راقبوا أفكاركم، ومشاعركم، وحواسكم".

🕮 وإن كان أحد منكم غير ساهر، ولم يراقب نفسه، وراقبه غيره، ووجد فيه عيبًا، ووجهه إليه، أو انتقده روحية، أن يرسل له الله من يوقظه. وكما قال القديس يوحنا ذهبي الفم: "الذي يبكتك على خطاياك، اتخذه لك صديقًا".

📖 ينبغي أن تشكر مثل هذا، الذي لم يتركك مستمرًا في غفوتك، فأيقظك. كإنسان سائرًا في الطريق، وأمامه حفره سيقع فيها، وهو غير ملتفت، فوجد من يجذبه بعيدًا عنها، ولو في عنف، ولو بكلمة شديدة. المهم أنه أنقذه، فيستحق الشكر.

📖 نعم، إن كنت غافلًا عن نفسك، فأنت محتاج إلى من ينبهك فتصحو، قد يكون هذا الذي يوقظك أحد أعدائك، أو أحد معارضك، فينتقدك، أو يشتمك، أو يهاجمك، بسبب أخطائك. لكنه على كل حال. يوقظك. فافرح بهذا الذي أيقظك، حتى لو فعل ذلك بعنف.

📖 اعتبره مثل الملاك الذي دخل السجن، وضرب جنب القديس بطرس ليوقظه ولينقذه {أع ١٢: ٧}. واعتبره مثل الحوت الذي ابتلع يونان، لينقذه من الغرق في البحر. لا تضايق إذن إن أيقظتك إهانة، أو مشكلة. قل كما قال المرنم في المزمور: "خير لي يا رب أنك أذلتني. لكي أتعلم وصاياك" {مز ١١٩}.

📖 احتفظ بسهرك. وضع أمامك مبادئ تساعدك على استمرار السهر.

📖 مبادئ، أو آيات من الكتاب، أو أقوال قديسين، تضعها أمامك على مكتبك، أو تعلقها أمامك على الحائط، أو تكتبها في مفكرة لتقرأها باستمرار كأنها: "سفر تذكرة" {ملا ٣: ١٦}.

📖 أو اتصل باستمرار بالأشخاص أصحاب المبادئ، أو أصحاب المستويات العليا في الروح، الذين كلما تراهم تصحو نفسك، وَتَتَبَكَّت على خطاياك، وتعود إلى سهرك.

📖 اتصل بِمَنْ يكشف لك ضعفاتك، ولا تهرب منه.

📖 ولا تغضب منه إطلاقًا. إنه يوقظك لتسهر.

📖 وإن كنت ساهرًا على خلاص نفسك، تراقبها، وتراقب كل خطية تحاربك، وتراقب الشياطين، وكل خططهم، وكل فخاخهم. فهناك

نصيحة أخرى هامة وهي: "كما تراقب الخطايا الظاهرة، راقب أيضاً خطاياك الخفية".

اهتم بهذا أيضاً: أعنى الخطايا الساكنة في أعماق النفس من الداخل، الخطايا الكامنة في أعماق العقل الباطن، والتي تكون مصدرًا لأفكار، وظنون، وأحلام، وحركات للنفس تبدو غير إرادية. راقب كل هذه، حاول أن تعالجها.

كن كحارس دَيْدَبَان على نفسك. وتمثل بالزارع الحكيم.

الزارع الذي يكون متيقظًا تمامًا، منتبهًا لكل ما يحيط بزرعه، وما يلزم له. يراقب الجو، الحرارة، البرودة، الرياح، العواصف، ويحمى زرعه من كل هذا.

كما يرقب مواعيد الري، ومواعيد السماد العضوي والكيماوي. ويرقب الآفات، أو الحشرات التي تهاجهم الزرع، ويقاومها ويخلصه منها. كما يرقب ما يطرأ على زرعه من ذبول، أو اصفرار، ويعرف سببه ويعالجه. ويرقب النمو والثمر. هذا مزارع ناجح، ساهر على صالح مزروعاته. افعل أنت أيضاً هكذا بالنسبة إلى حياتك، فتحيا.

ارقب كل خطية من بدايتها.

ولا تنتظر عليها حتى تكبر وتتأصل. حالما تلمح الفكر الخاطئ آتيًا من بعيد، اطرده، أو اهرب منه، ولا تتركه يدخل إلى ذهنك ويتمكن.

ولا تدع الفكر يتحول إلى شعور، ويضعف إرادتك. إنما كمراقب ساهر على حفظ تخومه، ينذر بالخطر إن رأى عدوًا آتيا من بعيد. هكذا مع الخطية قاومها من قبل أن تسيطر.

قل لها كما قال المرنم في المزمور: "يا بنت بابل الشقية. طوبى لمن يمسك أطفالك، ويدفنهم عند الصخرة" {مز ١٣٦}. وفي سهرك الروحي، اهتم بالنقطة التالية: احترس من الانحدار التدريجي.

كتاب السهر الروحي ـ صفحة ٥٤ ـ ٦٢



🕮 **{١٢} احترس من الانحدار التدريجي:**

🕮 سهل جدًا أن يحس الإنسان بالسقطة الفجائية. أما الانحدار التدريجي الذي يستغرق زمنًا طويلًا، فقد لا يشعر به. هذا بالذات يحتاج إلى سهر ويقظة.

🕮 والشيطان -كما قال عنه البستان - فَتَّال جبال، يصنع منها شباكًا لاصطياد الإنسان. وهو طويل البال جدًا. قد يضرب الإنسان أحيانًا ضربة واحدة في سرعة، وقد يدبر لإيقاعه في الخطية، خطة تستغرق ٥ سنوات، عشر سنوات، أو أكثر.

🕮 يجذبه قليلًا، في الفكر، والإرادة، والشعور، بطريقة غير واضحة، حتى يسقطه، ويكون خلال هذه المدة الطويلة قد تغير، وأصبحت حالته الداخلية تساعد على السقوط، أو يكون السقوط مجرد خطوة بسيطة بالنسبة إلى ما سبقها.

🕮 **ربما خلال هذه الفترة يكون قد أبعده عن وسائط النعمة.**

🕮 أبعده عن الإنجيل، على اعتبار أنه يعرف كل ما فيه!

🕮 وأبعده عن الأجبية، لكيما يتفرغ لصلواته الخاصة القلبية!

🕮 وأبعده عن الاجتماعات الروحية، حبًا في الوحدة والهدوء!

🕮 أبعده عن القراءات الروحية، بحجة أن التأمل أفضل!

🕮 وأبعده عن التناول، باسم التواضع، والشعور بعدم الاستحقاق!

🕮 وربما أبعده عن الصلاة أيضاً، لانشغاله بخدمة الآخرين!

🕮 حجج شيطانية، يوجد ردود عليها. ولكنها بطول الوقت تصل!

🕮 وفى كل ذلك، تضعف حياة الإنسان من الداخل، وتكون الأرض ممهدة تمامًا، ليزرع فيها الشيطان ما يشاء من أفكار ورغبات. ثم يضرب ضربته التي يريدها.

🕮 **إن وجدت نفسك هكذا، فانتبه جدًا لنفسك.**

🕮 وأنت لا يمكن أن تدرك هذا، إلا إذا كنت ساهرًا تراقب نفسك،

وتفحصها جيدًا، في حزم، وبلا مجاملة، ولا أعذار.

📖 فإن شعرت أنك لست في حرصك القديم، ولا في تدقيقك السابق.

📖 إن شعرت أنك لست في حرارتك السابقة، ولا في محبتك الأولى، ولا في انضباطك، ولا في احتياطك، ولا في تمسكك بالوصية، ولا في ابتعادك عن الخطية.

📖 وإن رأيت أنك أصبحت تسمح لنفسك بما لم تكن تسمح به من قبل، بحجة أن هذا لم يعد يعثرك، وذاك لم يعد يتعبك، وأنك لم تعد تتأثر بالعثرات. التفت حينئذ إلى نفسك، واعرف أن العدو قد جذبك إلى أسفل، وأنه قد أعد لك كمينًا! بينما زمامك قد بدأ يفلت منك.

📖 **اعرف أن الحِرْص أفضل، والسهر لازم، حتى للقديسين.**

📖 تذكر أن الخطية قد: "طرحت كثيرين جرحى، كل قتلاها أقوياء" {أم ٧: ٢٦}. وارجع إلى سهرك القديم على خلاص نفسك، ارجع إلى حرصك وخوفك.

📖 واعرف أن الخطية يمكنك أن تنجو منها بالاتضاع، وليس بالمغامرة والمجازفة. ولا بد أن تسهر على خلاصك مهما ارتفعت وعلوت. فداود النبي، مع وصوله إلى درجة النبوة، ومع حلول الروح عليه، لم يكن فوق مستوى الخطية، أو السقوط!

📖 وكذلك كان سليمان مع كل ما وصل إليه من حكمة، ومع ظهور الله له أكثر من مرة! {١مل ٣: ٥، ٩: ٢}.

📖 **تذكر في الانحدار التدريجي، مثال الإناء الساخن وكيف يبرد.**

📖 لنفرض أن إناء كان على النار، ونزل من عليها وهو ساخن جدًا. إنه لا يبرد دفعة واحدة، وإنما قليلًا، ببطء شديد، وبطريقة غير ملحوظة، بحيث لو وقفت إلى جواره، ولمسته من لحظة إلى الأخرى لا تجد فارقًا في حالته بين لحظة وأخرى. ومع ذلك فالبرودة تعمل فيه، حتى يأتي وقت يكون فيه قد برد تمامًا.

📖 هكذا في الحياة الروحية في طريقة الانحدار التدريجي، التي تحتاج إلى سهر ويقظة، لكي يلحظها الإنسان، ويحس أنه يبرد.

📖 **لذلك عليك أن ترقب فترات الفتور التي تمر بك.**

📖 إنها تحتاج إلى سهر كامل. فإن وجدت نفسك غير ميال للصلاة، أو العمل الروحي، لا تجعل هذا الشعور يطول معك. وكما قال مار إسحق: "إن حوربت بالرغبة في النوم، وعدم الصلاة، اغصب نفسك على نفسك على صلاة الليل، وَزِدْهَا مزاميرًا".

📖 **إن الإنسان الساهِر على خلاصه، لا يستسلم للفتور.**

📖 إذا استمر الفتور مع إنسان غافل، ربما ينتهي به إلى الخطية، أما الذي يحافظ على سهره الروحي، فإنه يتغلب على الفتور، ويعود إلى حرارته. كل إنسان روحي، مهما كان سارًا، معرض أن يغفو أحيانًا بسبب الضعف البشرى. وكما يقول الكتاب: "الهفوات، من يشعر بها؟!" {مز ١٩: ١٢}.

📖 ولكن هذا الساهر يتميز بأنه يصحو بسرعة، لأنه تعود اليقظة والصحو. فإن غفا قليلًا، يقوم مرتلًا مع المزمور: "أنا أستيقظ مبكرًا" {مز ٥٧} إنه يعود بسرعة إلى تسابيحه، وصلته بالله.

📖 يعود وهو يرتل: "مستعد قلبي يا الله، مستعد قلبي" {٥٧}

📖 "أنا اضطجعت ونمت، ثم استيقظت، لأنك أنت معي" {مز٣}،

📖 هكذا يعود بسرعة إلى قوته وروحياته، كما رجع داود النبي، كأنه لم يسقط، بل رجع أقوى مما كان.

📖 ما الفرق إذن بين سقوط إنسان ساهر، وسقوط الغافل والمتهاون؟ الفرق هو: الساهر: وضعه الأساسي هو الحرص على روحياته. والسقوط أمر عرضي، وعن ضعف، ويقوم منه بسرعة.

📖 أما الإنسان الخاطئ المتهاون، فالخطية هي وضعه الأساسي،

والسقوط ربما يكون برغبته، أو موافقته، ويكون فيه خائنًا للرب، وقد لا يقوم بسرعة، لوجود محبة الخطية في قلبه، وعجزه عن القيام، أو عدم رغبته في أن يقوم.

📖 احترس يا أخي إذن من الفتور، ومن الانحدار التدريجي، وأيضًا: احترس من التغيير، والمفاهيم الجديدة.

كتاب السهر الروحي - صفحة ٦٣ - ٦٧

📖 {١٣} احترس من التغيير، والمفاهيم الجديدة:

📖 كن ساهرًا على نفسك، وارقب كل تغيير يطرأ على حياتك الروحية، وعلى أفكارك ومفاهيمك. وكما يقول الكتاب: "امتحنوا كل شيء. تمسكوا بالحسن" {١تس ٥: ٢١}.

📖 إذن ينبغي أن تفحص، وتمتحن كل شيء، إن كنت ساهرًا، ولا تدع التغيير يجرفك، ويحولك إلى شخص أخر، غير الذي بدأ الحياة مع الله. ونقصد التغيير الذي يؤثر على محبتك الأولى للرب. فانظر إذن إلى نفسك، ربما تلاحظ تغييرات قد حدثت لك، ما كنت تجيزها قبلًا.

📖 قد تلاحظ أنك قد تغيرت في نظرتك إلى الأمور الروحية، وفى حكمك على بعض الأمور العالمية. لا تترك الأمر يمر بهدوء، وإنما افحصه. وابحث عن أسبابه. ليست الأسباب الظاهرة فقط، إنما بالأكثر أسبابه العميقة الدفينة الداخلية.

📖 وانظر، هل تغير قلبك؟ وهل تحول بعيدًا عن الله؟

📖 هل نقصت محبتك للرب؟ وهل بدأت محبة العالم تزحف إليك؟

📖 هل رجعت في نذورك وفى وعودك للرب؟

📖 هل رفعت يدك عن المحراث، وأخذت تنظر إلى الوراء؟

📖 كن صريحًا مع نفسك إلى أبعد حد. فهذه طريقة الإنسان الساهر، الذي لا تعبر التغيرات أمامه بسهولة، إنما يمتحن كل شيء ويتمسك بالحسن.



- أنظر هل تغيرت محبتك للصلاة؟
- هل تغيرت الروح، والحرارة؟
- هل تشتاق إليها كما كنت تشتاق من قبل؟
- وهل تصلي بنفس الفهم، والعمق، والتأمل، والتأني؟
- هل تعتبر وقت الصلاة متعة روحية لك؟
- وهل تفضل الصلاة على كل عمل أخر؟
- أم ينطبق عليك قول الرب لملاك كنيسة أفسس: "عندي عليك أنك تركت محبتك الأولى" {رؤ ٢: ٤}.
- اسهر يا أخي، وارقب كل تغير، وتطور يمس حياتك.
- مشكلة غير الساهرين على خلاص نفوسهم، أن حياتهم تتغير وهم: أما لا يحسون هذا التغيير، أو أنهم يشعرون به ولكنهم لا يهتمون، ويهملون هذا الأمر مدة طويلة، بلا مبالاة، حتى يتطور إلى وضع يصعب علاجه. أما أنت يا رجل الله فاحترس من التغييرات وارقبها.

- **واهتم أيضاً بالتغيرات التي تطرأ على مفاهيمك الروحية.**
- إنها خطورة أن يتغير تقييمك للأمور، وتتغير مفاهيمك. فاسهر على هذا الأمر وافحصه. إن كنت قد ازددت عمقًا في الروحيات، وازدادت مفاهيمك عمقًا، فاشكر الله. وإن كانت المفاهيم الجيدة لونًا من الردة والتصالح مع العالم وأسلوبه وشهواته، فاستيقظ لنفسك وبكتها، وفى حرص لا تنقل التخم القديم" {أم ٢٢: ٢٨}.
- إن الشيطان لا يقوى عليك وأنت تتمسك بمفاهيمك الروحية السليمة، لذلك يلجأ إلى تغيير مفاهيمك أولًا! فاحترس من دخول أفكار غريبة إليك! لا تتساهَل في دخول هؤلاء الغرباء. واذكر قول القديس بولس الرسول: "لا تشاكلوا هذا الدهر" {رو ١٢: ٢} أي لا تصيروا في شكله، وشبهه.

📖 قُلْ لنفسك: "أنا ما كنت أفكر قبلًا بهذا الأسلوب. فماذا حدث لي؟"
📖 افحص لئلا تكون الأفكار الغريبة، يسبب تقليدك لغيرك. لئلا تكون منساقًا في اتجاه معين، بسبب تبعيتك لإنسان ما، تدور معه في دائرته بلا تفكير، وتتشكل بأفكاره، واتجاهاته بلا وعي، وهكذا تغيرت عن ذي قبل. وأصبحت تحت تأثير معين، وليس تحت مثالياتك الأولى!

📖 **لذلك راقب أيضاً الجو المحيط بك، وتأثيره عليك.**
📖 راقب التيارات المحيطة بك، سواء في البيت، أو العمل، أو في محيط الأصدقاء، أو التيارات الفكرية التي تؤثر عليك، سواء في البيت، أو العمل، أو في محيط الأصدقاء، أو التيارات الفكرية التي تؤثر على فكرك، أو أسلوبك أو هدفك. كن ساهرًا إذن على نفسك.
📖 وراقب اتجاهاتك في الحياة، وافحصها جيدًا. لأن كثيرين في سهرهم الروحي يراقبون جزئيات تصرفاتهم فقط.
📖 أما أنت فراقب أيضاً اتجاهاتك العامة، نظرتك الكلية للحياة، آمالك، شهواتك. كإنسان مثلًا كانت عنده فكرة التكريس، وتقديم حياته كلها للرب، ثم يلاحظ أن خط سيره الحالي، لا يمكن أن يوصله إلى هذا الاتجاه.

📖 الساهر على أبديته، ينظر ويفحص، أين تقوده خطواته. هل هدفه كما هو، أم ضاع؟ أم لم يعد في قوته الأولى.
📖 أي أنه لم يفقد الهدف، ولكن فقد الدرجة. فهو لا يزال سائرًا في الطريق، ولكن ليس في نفس المستوى. أي هبط ولو قليلًا عن درجته الأولى. فليبحث عن السبب ويعالجه، إن كان ساهرًا على نفسه، وعلى مستواه. وهذا يجرنا إلى نقطة أخرى وهي: اسهر على نموك الروحي.

كتاب السهر الروحي ـ صفحة ٦٧ ـ ٧١



📖 **{١٤} اسهر على نموك الروحي:**

📖 فالشخص الروحي، ليس المفروض فيه فقط أنه لا يخطئ، فهذه ناحية سلبية. أنما المفروض فيه أن ينمو في طريق الكمال، حسبما أمر الرب وقال: "كونوا كاملين" {مت ٥: ٤٨}.

📖 وكل الذين وقف نموهم، أما أنهم فتروا، أو أنهم سقطوا. ودوام التقدم يمنح الإنسان حرارة روحية، وانشغالًا بالإيجابيات لا السلبيات كما يعطيه تواضع القلب، إذ ينظر باستمرار درجات أعلى منه.

📖 والقديس بولس الرسول قال عن هذا النمو: "أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام" {في ٣: ٣}.

📖 وقال أيضاً: "اركضوا لكي تنالوا" {١كو ٩: ٢٤}.

📖 فاسهر إذن على نموك، لأن الطريق أمامك طويل. واحذر من الوقوف، لئلا تتعرض للرجوع إلى الوراء. ضع أمامك مثاليات الكتاب، ومثاليات القديسين، في كل عمل روحي، وفي كل فضيلة من الفضائل، وادفع نفسك دفعًا إلى الأقدام. وبكت نفسك على أنك لم تصل بعد.

📖 كما قال القديس بولس الرسول: "أيها الإخوة، لست أحسب نفسي أنني أدركت"، "ولكني أسعى لعلى أدرك" {في ٣: ١٣، ١٢}.

📖 **حاسِب نفسك، وقارن حالتك بالذين سبقوك.**

📖 ربما تجد زملاء كثيرين، بدأوا معك الطريق، ثم سبقوك وتركوك في الوراء. بل ربما تجد تلاميذ لك، أو أحداثًا في الكنيسة، قد ساروا بحمية، وجدية، وسرعة، فسبقوك كم سبقت السلحفاة الأرنب، لأنه كان نائمًا. فاسهر أنت.

📖 احرص أن كل ساعة تخطو بك نحو الأبدية. يجب أن تخطو بك خطوه نحو القداسة والكمال. واسهر على أوقاتك، لئلا تضيع منك عبثًا، في أمور هذا العالم الباطل! بل أذكر قول الرسول: "أنظروا

كيف تسلكون بالتدقيق، لا كجهلاء بل كحكماء، مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة" {أف ٥: ١٥، ١٦}. نعم "مفتدين الوقت".

📖 أقول هذا، لأن كثيرين من الذين لم يسهروا على خلاص نفوسهم، واجتذبتهم دوامة الحياة، صحوا أخيرًا فوجدوا أنهم في الأربعين، أو الخمسين، أو الستين من عمرهم، وقد ضيعوا العمر باطلًا، في تحقيق رغبات باطلة، أو في أمور العالم الزائلة، دون أن يفعلوا شيئًا لأبديتهم. وحتى الصغار سبقوهم إلى الملكوت!

📖 **إذن اركض بكل قوتك، لعلك تفتدى الوقت الضائع.**

📖 اسهر على خلاص نفسك، وادفعها نحو الكمال المطلوب. فكثيرون بدأوا متأخرين، ولكنهم وصلوا بسرعة، بسبب جديتهم، وسهرهم الروحي، مثل القديس أوغسطينوس، الذي قال للرب: "تأخرت كثيرًا في حبك". ولكنه ركض ونال.

📖 اسهر إذن على وقتك، حتى تعوض السنوات التي أكلها الجراد. واركض بكل قوتك نحو الكمال، فإن القديس أرسانيوس الكبير لما تأمل هذا الكمال، قال للرب: "للآن أنا لم أبدأ. هبني يا رب أن أبدأ".

📖 لذلك يا أخي اسأل نفسك أين تذهب أيامك ولياليك؟ ليتها تكون رحلة موفقة نحو الكمال. حتى إذا جاء الوقت الذي يزن فيه الله الأرواح، يجد سنابلك ملآنة قمحًا. يجد روحك مملوءة من حبه، فيقول لك: "أدخل إلى فرح سيدك".

📖 **راقب نفسك، وتأكد أنك سائر في الطريق.**

📖 لا واقف، ولا نائم، ولا راجع إلى خلف، إنما سائر باستمرار إلى قدام. لأن أول عبارة نقولها في المزمور الكبير في صلوات الليل هي: "طوباهم الذين بلا عيب في الطريق، السالكون في ناموس الرب، ومن كل قلوبهم يطلبونه" احرص أن تكون نفسك

في الطريق، بلا عيب.

📖 وكساهر على نفسك، اسأل ذاتك باستمرار، أين أنا الآن؟ أين هي أفكاري ومشاعري؟ هل أنا حقًا في الطريق؟ ليتني لا أكون سائرًا فقط، إنما راكضًا أيضاً، كما ركض القديسون بكل قوتهم، فوصلوا إلى أحضان الأب. وكلمة أخيرة أقولها في ختام هذا الموضوع وهي: اسهر على خدمتك.

كتاب السهر الروحي - صفحة ٧١ - ٧٤



📖 {١٥} اسهر على خدمتك:

📖 أسهر على كل الذين وضعهم الرب في مسئوليتك، لكي توصلهم إليه. وتذكر قول الرب للآب: "الذين أعطيتني حفظتهم. ولم يهلك منهم أحد"، "العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته" {يو ١٧: ١٢، ٤}. إن موضوع السهر في الخدمة طويل، لست أظن كتابًا مثل هذا يتسع له، بل هو يحتاج إلى كتاب خاص.

كتاب السهر الروحي - صفحة ٧٤



📖 {١٦} السهر مع الله:

📖 حسن يا أخي أن تسهر على خلاص نفسك. ولكنك لا تستفيد، إن كنت وحدك في هذا السهر. أنت لا يستطيع بمجهودك الشخصي، بدون معونة من فوق، أن تحرس نفسك ضد هجمات العدو. إنما الذي يحرسك حقًا، هو الله. كما تقول في أخر مزمور ١٢٦ من صلاة النوم: " إن لم يحرس الرب المدينة، فباطلًا سهر الحراس".

📖 وتذكر الكنيسة بهذا في مزامير الغروب، والهجعة الثانية. كما تعلمك أن تقول في صلاة الستار: "استرني بأجنحة صلاحك، لئلا أنام نوم الوفاة". لذلك في كل سهرك على خلاص نفسك، تذكر قول الرب لتلاميذه القديسين: "بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئًا" {يو ١٥: ٥}. وهكذا في كل جهادك المقدس، لا تجاهد وحدك لأن "الغصن من ذاته لا يقدر أن يأتي بثمر، إن لم يثبت في الكرمة" {يو١٥:

٤}. الكرمة التي توصل إليه عصارة الحياة، وبها يحيا، وينتعش، وينمو، ويثمر. كن أنت هكذا.

📖 اسهر، ولكن مع الله، الذي لا ينعس، ولا ينام.

📖 وثق أنك وحدك لا يمكن أن تحفظ نفسك. وإنما: "الرب يحفظك. الرب يظلل على يدك اليمنى. الرب يحفظك من كل سوء. الرب يحفظ نفسك. الرب يحفظ دخولك وخروجك" {مز ١٢٠}.

📖 لذلك تقول أيضاً في هذا المزمور في الغروب، والهجعة الثانية: "معونتي من عند الرب" وقد اختارت لك الكنيسة مزامير تصليها في صلاة الليل، كلها تتحدث عن معونة الرب لك، وحفظه وحمايته.

📖 فأنت تصرخ إلى الرب قائلًا: "ارحمنا يا الله ارحمنا، فإننا كثيرًا ما امتلأنا هوانًا" وتقول بعدها مباشرة: "لولا أن الرب كان معنا، حين قام الناس علينا، لابتلعونا ونحن أحياء. مبارك الرب الذي لم يسلمنا فريسة لأسنانهم. نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين. الفخ انكسر ونحن نجونا. عوننا باسم الرب" {مز١٢٥ ـ ١٢٦}. إنه معنى واحد، عن عمل الرب لأجلك، وسهره لحفظك، يتكرر في كل مزامير وقطع الليل.

📖 إذن الحراسة ليست حراستك، إنما أنت تسهر فيها مع الله الذي يحرسك. فتتأمل حفظه لك، وتطلب منه في المزمور الكبير قائلًا: "اشتاقت نفسي إلى خلاصك"، "أحيني ككلمتك"، "أردد عيني لئلا تعاينا الأباطيل"، "يا رب، لك أنا فخلصني"، "أنظر إلى تذللي وانقذني"، "لتكن يدك لخلاصي. ضللت مثل الخروف الضال، فاطلب عبدك، فإني لوصاياك لم أنس".

📖 إذن من عند الرب: الخلاص، والإنقاذ، والمعونة.

📖 وفي صلوات الليل كما نطلب من الله المعونة، ونصلب منه

أيضاً المعرفة، والهداية، والإرشاد، والفهم. نقول له في المزمور الكبير: "علمني يا رب طرقك، فهمني سبلك"، "عبدك أنا، فهمني فأعرف شهاداتك"، "فهمني فأبحث عن ناموسك"، "علمني حقوقك، وطريق عدلك فهمني"، "اكشف عن عيني، فأتأمل عجائب من ناموسك"، "أهدني في سبيل وصاياك، فإني إياها هويت" مز {١١٩}.

🕮 ما أجمل أن تقف الإنسان أمام الله هكذا في اتضاع، كعاجز يطلب منه القوة، وكجاهل يطلب منه المعرفة. وهكذا تعلمنا الكنيسة أن نخاطب الله في سهر الليل.

🕮 الإنسان الذي نراه في النهار، يملأ الدنيا حركة ونشاطًا وعملًا، وربما يقف في مجالات عديدة يعلم آخرين. نراه في سهر الليل، يقول للرب: "علمني، فهمني، أهدني"

🕮 وفى صلوات الليل يأخذ القوة التي تسنده في النهار. مسكين إذن الذي ينام الليل، دون سهر، ولا يأخذ من الله قوة يعمل بها في النهار.

🕮 ولكن هل الإنسان الروحي، يعمل هذا فقط في سهر الليل، وفى صلوات الليل، أم في النهار أيضاً؟

🕮 الروح تسهر بالنهار أيضاً، وتعمل هكذا مع الله. ويمكننا أن نراجع الصلوات التي تقدمها لنا الكنيسة في النهار، فنرى نفس الروح. وكمثال لذلك ما نقوله في صلاة باكر: "أنِرْ عقولنا، وقلوبنا، وأفهامنا، يا سيد الكل، هب لنا في هذا اليوم الحاضر أن نرضيك فيه". إذن هي هبة من الله لنا، أن يعطينا هذه النعمة، أن نرضيه حقًا ما أعمق الصلوات التي تعلمنا الكنيسة إياها. أترككم الآن لتتأملوا هذا الكنز العظيم، في سهر النهار، وسهر الليل.

كتاب السهر الروحي ـ صفحة ٧٦ ـ ٧٩



{٤}

الهدف الروحي وثباته

🕮 {١} الهدف الروحي:

🕮 أنت يا أخي سائر في طريق الحياة، وأود أن أناقش معك خطة لمسيرتك هذه. ولعل أول سؤال يقابلنا هو: "ما هي أسباب نجاح الكثيرين؟"

🕮 والإجابة هي: أن مقومات النجاح كثيرة. وفي مقدمتها أن الذين نجحوا في حياتهم، كانت لهم أهداف قوية، وضعوها أمامهم، واستخدموا كل إمكانياتهم لتحقيقها. ومحبة الهدف، والرغبة في تحقيقه، منحهم حماسًا، وقوة، ونشاطًا، وروحًا.

🕮 كما منحهم الهدف تركيزًا في حياتهم، وتنظيمًا لها. أصبحت كل إمكانياتهم، وطاقتهم، وكذلك كل أعمالهم، سائرة في الطريق، هذا الهدف في اتجاه واحد، بلا انحراف.

🕮 والهدف جعل لحياتهم قيمة.

🕮 إذ شعروا بأن هناك شيئًا يعيشون من أجله. فأصبحت حياتهم لها لذة. حياة هادفة، لها قيمتها. وكل دقيقة من دقائق حياتهم صار لها ثمن. وكلما كان الهدف في حياة ساميًا عاليًا، تكون قيمة الحياة أعظم، وتكون الحمية في القلب نارًا متقدة لتحقيقه.

🕮 أما الذي يعيش بلا هدف. فإن حياته تكون مملة، وثقيلة عليه.

🕮 حياة لا معنى لها، ولا طعم، ولا اتجاه، ولا ثبات. ويكون مقلقلًا في كل طرقه. وغالبًا ما ينتابه الملل، والضجر، في أحيان كثيرة، بأن حياته رخيصة، وضائعة، وتافهة، يبحث فيها عن وسائل لقتل الوقت! لأن الوقت لم تعد له قيمة، ولا رسالة.

🕮 وكثيرًا ما يتساءل هؤلاء: لماذا نحيا؟ لماذا خلقنا الله؟

🕮 ما معنى الحياة؟ وما هو غرضها وهدفها؟ إنهم مساكين. يعيشون

ولا يعرفون لماذا يعيشون! تجرفهم دوامة الحياة، دون أن يشعروا. وإن شعروا: يسألون. إلى أين؟

📖 أما إن وجدوا لحياتهم هدفًا، فإن كل هذه الأسئلة تبطل.

📖 هنا ونود أن نبحث أهداف الناس التي تحركهم في الحياة. لأنه، حسبما يكون الهدف، هكذا تتحد الوسيلة التي تقود إليه.

📖 البعض هدفه المال، أو الوظيفة، أو اللقب، أو السلطة، أو السيطرة، أو النجاح في العمل. والبعض شهوته اللذة، سواء كانت لذة الحواس، أو لذة الأكل والشرب، أو لذة الجسد، أو لذة الراحة.

📖 والبعض هدفه الزواج والاستقرار في بيت، أو النجاح في الدراسة.

📖 ولا نستطيع أن نسمى كل هذه أهدافًا. إنما هي رغبات وشهوات.

📖 وإن حسبت أهدافًا، تكون مجرد أهداف عارضة، أو مؤقتة، أو زائلة، أو سطحية، لا عمق لها. كما أنها محددة بزمن. وكلها تدخل تحت قول الرب لمرثا: "أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة، والحاجة إلى واحد" {لو١٠: ٤١}.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل الأول: الهدف الروحي وثباته صفحة ٨ ـ ٩

📖 {٢} الهدف الوحيد هو الله:

📖 الإنسان الروحي هدفه الله وحده، لا غيره.

📖 كل هدفه هو أن يسعى إلى الله، ويعرفه، ويحبه، ويعاشره ويثبت فيه، ويكون علاقة معه، يسكن الله في قلبه ويسكن هو في قلب الله. ويقول لله في حب: "معك لا أريد شيئًا على الأرض" {مز٧٣: ٢٥}.

📖 وهكذا بالتصاقه بالله يمكنه أن يستغنى عن كل شيء، فمحبة الله تقود إلى التجرد، وإلى الزهد، وكلما يختبر الله، ويذوق حلاوة العشرة معه، بأن كل شيء في الدنيا باطل، وقبض الريح {جا٢: ١١}، وكما يقول المثل: "النفس الشبعانة تدوس العسل" {أم٢٧: ٧}.

📖 هكذا النفس الشبعانة بالله، تدوس كل شهوات الأرض.

📖 **{٣} أهداف زائفة:**

📖 ولكن الشيطان لا يعجبه هذا، إنه يجول في الأرض يوزع أهدافًا.

📖 ويبذر ويزرع أغراضًا، وآمالًا، ورغبات، وكل ذلك بغية أن يتوه الإنسان عن هدفه الروحي الوحيد، الذي هو الالتصاق بالله، والاستعداد للأبدية.

📖 وبالأهداف العالمية التي يوزعها الشيطان: يتلظى أهل العالم في جحيم من الرغبات، لا يمكن أن تشبعهم، إذ أن في داخلهم حنينًا إلى غير المحدود. وكل ما في العالم محدود.

📖 **أول هدف يقدمه الشيطان هو بالذات.**

📖 فتصير الذات صنمًا يعبده الإنسان، وتصير ذاته هي محور ومركز كل تفكيره، يريد أن يبنى هذه الذات، ويكبرها، ويبنيها، ويجعلها موضع رضي الكل، ومديحهم. وينشغل بذاته بحيث يهمل كل شيء في سبيلها، حتى علاقته بالله.

📖 هكذا تصير الذات منافسًا لله: تدخل أولًا إلى جوار الله في القلب، ثم تتدرج حتى تملك القلب كله، وتبقي وحدها فيه، فيتحول الإنسان إلى عبادة الذات، ويظل كل يوم يفكر: ماذا أكون؟ ومتى أكون؟ وكيف أكون؟ وكيف أتطور إلى أكبر وأعظم؟

📖 **ويا ليته بذاته اهتماما روحيًا:**

📖 إذن لكان يبذل من أجل الله، ومن أجل الآخرين، ويحيا من أجل الآخرين، ويحيا حياة المحبة التي تضحي، وتبذل نفسها فدية عن الآخرين. وحينئذ يجد ذاته، أعنى الوجود الحقيقي، يجدها في القداسة، وفي البر، والكمال، في الله نفسه. إن بولس الرسول، من أجل الحياة مع الله قال: "ولا نفسي ثمينة عندي" {أع٢٠: ٢٤}.

📖 أما الذي يهتم بذاته بربطها بشهوات العالم فإنه بالتالي: يجعل

شهوات العالم هدفًا له. وهكذا يضع أمامه بريق العالم الحاضر، وأمجاده، وملاذه، ولهوه، وأحلامه، وأمانيه، وينشغل بكل هذا حتى ما يتفرغ لأبديته. ويبقى مخدرًا بشهوات الدنيا، ما يضيق منها إلا ساعات الموت، حينما يتركها كارهًا!

🕮 **أما أنت، فلا يكن لك هذا الفكر ولا هذا الاتجاه، وإنما:**

🕮 كل هدف يبعدك عن الله، وعن خلاص نفسك، اعتبره خدعه من الشيطان، وارفضه في حزم.

🕮 وكذلك أرفض كل وسيلة تبعدك عن هدفك الروحي. ولا تسمح مطلقًا بأن تكون ذاتك منافسًا لله في قلبك، ولا تسمح بأن يصير العالم هدفًا. فإن الكتاب يقول إن: "العالم يبيد، وشهوته معه" {١يو٢: ١٧}. ويقول أيضاً إن محبة العالم عداوة لله {يع٤: ٤}.

🕮 إذن راجع منذ الآن كل أهدافك، وكل وسائلك، في ضوء اهتمامك بأبديتك: وفي ضوء هدفك الروحي الذي هو محبة الله.

🕮 **إن كل هدف ضد ملكوت الله هو انحراف عن الخط الروحي.**

🕮 وكل شيء يصطدم بمحبة الله في قلبك، اتركه مهما تكن قيمته. كما قال القديس بطرس للرب: "تركنا كل شيء وتبعناك" {متى١٩: ٢٧}.

🕮 إن يوسف الصديق خسر حريته، حينما بيع كعبد، وخسر سمعته حينما ألقي في السجن، وخسر أبوية، وأخوته، ووطنه، حينما عاش في بلد غريب. ولكن كان يكفيه وقتذاك، الله وحده. كان هو هدفه.

🕮 **الذي هدفه هو الله، لا يتأذى إن خسر أي شيء عالمي.**

🕮 إبراهيم أبو الآباء كان الله هو هدفه، لذلك سهل عليه أن يترك أهله، وعشيرته، ووطنه {تك١٢: ١} ويتغرب وهو لا يعلم إلى أين يذهب {عب١١: ٨} بل سهل عليه أن يأخذ أبنه ليقدمه محرقة للرب.

🕮 وبولس الرسول سهل عليه أن يترك المركز، السلطة، والصلة

بالقادة، إذ لم يكن شيء من هذا هو هدفه. واستطاع أن يقول: "خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية، لكي أربح المسيح" {في٣: ٨}. وهذا هو هدفه الذي من أجله خسر كل شيء، دون أن يحزن.

📖 ودانيال النبي: لم يأبه بالقصر الملكي، ولا بالوظائف، ولا بكل أطايب الملك، ولم يأبه حتى بحياته، إذ ألقى في جب الأسود، إذ كان له هدف واحد تضائل أمامه كل شيء.

📖 إن الذي هدفه هو الله لا يجعل حتى الأمور الروحية هدفًا له!

📖 البعض قد يجعل الصلاة هدفًا له، فيصلي ليس من أجل محبته لله، وإنما لكي يكون رجل صلاة! ويتهم بالدراسة اللاهوتية كهدف، لا لكي يعرف الله فيثبت فيه، إنما لكي يصير من علماء اللاهوت، يعطيه العلم شهرة، ومكانه، وعظمة!

📖 وهكذا، أيضاً، قد يتحول الصوم إلى هدف، ويتحول كل عمل روحي إلى هدف، يعمل الإنسان لكي يرضي عن نفسه، أو لكي يرضى الناس عنه!!

📖 **بينما كل هذه وسائط، وليست أهدافًا، فالهدف هو الله.**

📖 الصلاة، والصوم، والمعرفة. وكذلك التأمل، والقراءة، كل هذه هي مجرد وسائل توصلك إلى هدفك الوحيد، الذي هو الله ومحبته. والارتباط به. فإن جعلتها هدفًا تكون قد قصدتها لذاتها. وقد تتقدم فيها، وتكون بعيدًا عن الله الذي قال: "هذا الشعب يكرمني بشفتيه. أما قلبه فمبتعد عني بعيدًا" {متى١٥: ٨}.

📖 **وقد تصبح الرهبنة والتكريس هدفًا!**

📖 ولكن الرهبنة هي مجرد وسيلة توصل إلى الله. ولذلك عرفوها بأنها: "الانحلال من الكل للارتباط بالواحد". فإن تحولت إلى هدف، تحولت الوحدة إلى هدف، والصمت إلى هدف.

📖 فمـــــا أســــهل أن تكســــر وصـــايا الله مـــــن أجلهــــا! فيتخاصم الراهب مع الدير من أجل حياة الوحدة. يعيش كمتوحد دون أن تكون له فضائل الوحدة، دون أن ينمو في محبة الله. وفي هذا قال مار إسحق: "هناك من يجلس خمسين سنة في القلاية، وهو لا يعرف طريقة الجلوس في القلاية".

📖 **والبعض قد يجعل الإصلاح هدفًا.**

📖 وبسبب الإصلاح يثور ويتخاصم: ويدين الآخرين، ويشهر بهم، ويفقد محبته للناس، ويفقد هدوءه، وسلامة، ويشتم، ويسب، ويصخب، ويتحول إلى قنبلة متفجرة، تقذف شظاياه في كل مكان. وفي كل ذلك تبحث عن علاقته بالله، فلا تجدها. لقد أصبح إصلاحًا بدون الله، وبدون محبة، وصارت غيره بلا تدين!

📖 **وهكذا أيضاً في الخدمة:**

📖 كثيرون بدأوا بالخدمة. وانتهوا بأنفسهم!

📖 بدأوا بالسعي إلى مجد الله، وانتهوا بمجد أنفسهم!

📖 بدأوا الخدمة، وهدفهم هو الله. ثم وضعوا الخدمة إلى جوار الله: وأحيانًا قبله. ثم تركزوا في الخدمة، وصارت لهم هدفًا ونسوا الله.

📖 ثم بحثوا عن نجاح الخدمة. ثم صار نجاح الخدمة هو نجاحهم الشخصي. وانتهوا إلى الذات، وإذ وصلوا إلى هذا، تحولت الخدمة إلى مجال للسيطرة، والظهور، وأصبحت مجرد نشاط، واستخدام للطاقة، وربما أصبحت وسائلها بعيدة عن الله تمامًا، فيها الذكاء، والحيلة، والدهاء. وضاع الهدف الروحي الذي هو الله!

📖 أما أنت ففي كل عمل روحي، قل مع داود النبي: "جعلت الرب أمامي في كل حين" وليكن الله هو هدفك الوحيد.

📖 أنت من أجله تخدم. وإذا تعارضت الخدمة مع الله، اتركها. لأنه ما

أسهل على الشيطان أن يتيهك حتى في داخل الكنيسة. وتذكر إن الابن الضال الكبير ابتعد عن محبة أبيه، وهو في صميم الخدمة: "يخدمه سنين هذا عددها" {لو١٥: ٢٥-٣٢}.

📖 **لذلك كله فإن الله يسألك أين أنا في وسط أهدافك؟**

📖 أجب عن هذا السؤال بصراحة كاملة: هل الله أحد أهدافك؟ أم هو الهدف الأول؟ أم الهدف الوحيد؟ أم أنه ليس هدفًا على الإطلاق؟ أم تضعه في أخر القائمة: قد تتذكره أحيانًا، وقد لا تتذكره!

📖 أم أن الله قد تحول في نظرك إلى مجرد وسيلة لتحقيق أهدافك! وإن لم يحققها لك: تغضب منه، وتثور، وقد تقطع صلتك به.

📖 هل تحب الله كما أحبك؟ وهل قلبك كله له؟ أم هناك أهداف جانبية إلى جوار الله، تسعي أن تكون هي الأصل؟ هل تفكر في أبديتك، وقبل أن تصل إلى أحضان القديسين، تصل إلى أحضان الله؟

📖 حسبما يكون هدفك هكذا تكون حياتك، وهكذا تكون وسائلك. فراجع نفسك.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل الأول: الهدف الروحي وثباته صفحة ٨ ـ ٩

📖 {٣} ثبات الهدف الروحي:

📖 الإنسان الروحي هو شخص مستقر في هدفه، وفي وسائله.

📖 له هدف واضح ثابت لا يتغير. وقد ركز كل اهتمامه بهذا الهدف. وأصبح يتجه نحوه على الدوام، بكل طاقاته وكل رغباته، لا يتحول عنه. وكل وسائله توصل إليه. إنه مثل سهم البوصلة، يتجه دائمًا في اتجاه واحد، مهما حركت وضعه، أو موضعه. إنه إنسان راسخ ثابت لا تغيره تطورات الأيام والظروف الخارجية.

📖 وقد صدق ذلك الأديب الروحي حينما قال عن الرجل الحق إنه: "يتطور دون أن يتغير. ويكبر دون أن يتكبر. ويحتفظ بثباته في وثباته". أما الإنسان الضعيف فإنه متزعزع: خبراته في الحياة،

وصدماته، وتجارية، وضيقاته، وظروفه، تجعله يغير خط مسيرته، ويتحول عنها. وقد يتحول نتيجة لإغراءات، أو لمخاوف، أو لدنيا قد تفتحت أمامه.

📖 **وهكذا كثيرون بدأوا بالروح، وكلموا بالجسد.**

📖 بدأوا بالله، وكلموا بالعالم. كم من أناس عرفناهم، وكان يبدو أن لهم هدفًا روحيًا، وحاليًا لا وجود له، ولا لهم، دوامة العالم جرفتهم، وجرفت روحياتهم، فساروا مع التيار.

📖 وليس في جيلنا فقط، بل إن الكتاب المقدس، يقدم لنا أمثلة عجيبة، من شخصيات بدأت ولم تكمل. أو أن هدفها انحراف في الطريق، ولم تثبت عليه. ولعل من أمثلة هؤلاء ديماس مساعد بولس الرسول، الذي قال عنه: "ديماس تركني لأنه أحب العالم الحاضر" {٢تي٤: ١٠}.

📖 والذي حدث لديماس، حدث أيضاً لكثيرين، قال عنهم القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل فيلبي: "لأن كثيرين ممن كنت أذكرهم لكم مرارًا، والآن أذكرهم أيضاً باكيًا، وهم أعداء صليب المسيح. الذين نهايتهم الهلاك. ومجدهم في خزيهم، الذين يفتكرون في الأرضيات" {في٣: ١٨، ١٩}.

📖 كل هؤلاء كانوا أصدقاء الرسول العظيم، وكلن لهم ماض مجيد في الخدمة. كان لهم هدف روحي عاشوا به فترة، ولم يثبتوا عليهم. وربما لأن أشياء أخري دخلت قلوبهم إلى جوار الله. وبمرور الوقت سيطرت عليهم.

📖 وربما أرادوا أن يجتمعوا بين الله والعالم في نفس الوقت. ويعيشوا مع سارة وهاجر في نفس البيت. أو مثل لوط البار الذي أراد أن يجمع بين محبة الله، ومحبة الأرض المعشبة في سدوم.

📖 إن شمشون بدأ حياته كنذير للرب، وكان روح الرب هو الذي

يحركه {قض١٣: ٢٥}. ثم ماذا بعد؟ دخلت رغبات إلى قلب شمشون بجوار الرب، ففارقه الرب {قض١٦: ٢٠}.

📖 **لا يكفي إذن أن يكون هدفك هو الرب.**

📖 إنما يجب أن تظل محتفظًا بهذا الهدف، ولا تسمح لأهداف أخري أن تدخل إليك، لأنك لن تستطيع أن تجمع بين نذرك ودليله في آن واحد، مهما ظننت {نفسك} حكيمًا.

📖 هوذا سليمان أحكم أهل الأرض يعطينا نفسه مثالًا: لقد بدأ بهدف روحي، ما في ذلك شك. وتراءى له الله مرتين، ووهبه الحكمة. ومع ذلك أراد أن يجمع بين الله والمتعة ففشل. وفقد هدفه الروحي، وسقط {١مل ١١}. سليمان الحكيم يسقط؟ يا للمأساة. كل ذلك لأن الهدف تغير، أو دخلت إلى جواره أهداف أخرى، فجرفته. أما الذين ثبتوا على هدفهم، فقد استمروا سائرين في ثبات نحو الله.

📖 **انظر إلى مياه الطوفان، ماذا فعلت. وتعلم منها درسًا.**

📖 مياه الطوفان غطت الأرض كلها. حتى أن القمم العالية أيضاً غطتها المياه. أما الفلك فلم تؤذه المياه في شيء، بل سار فوقها، لأن هدفه هو الله. ولا شك أن الله كان داخله ويقوده، حقًا إن الهدف الصالح يعطي حياة، وحيوية، وقدروه، على السير في اتجاه الله.

📖 كما يعطي قدرة على مقاومة كل التيارات المضادة، وصاحب الهدف الثابت لا تجذبه التيارات المضادة، لأن أرادته ثابتة فيه.

📖 إن سمكة صغيرة جدًا تستطيع أن تقاوم التيار، وتستمر في مسيرتها، لأن فيها حياة، وفيها إرادة تحركها، بينما كتلة ضخمة من الخشب يجذبها التيار حيثما يشاء، لأنها بلا حياة، وبلا هدف.

📖 لقد خرج بنو إسرائيل من عبودية فرعون، ونجوا من الهلاك المهلك، وعبروا البحر الأحمر. وكانت بداءة طيبة، ولكن لم يكن لهم

هدف روحي ثابت، فهلكوا في برية سيناء، على الرغم من أنهم كانوا يقتاتون بالمن والسلوى، وسحابة الله كانت تظللهم، ربما هدفهم كان ذاتهم فتذمروا على الله، خرجوا بأجسادهم من عبودية فرعون، ولكن كانت هناك عبودية أخرى داخلهم لم يخرجوا منها. فهلكوا.

🕮 كان الهدف السليم عند موسي النبي، وليس عند بني إسرائيل. فلم يستطيعوا أن يستمروا في مسيرتهم معه، على الرغم من كل العبادات الطقسية التي كانوا يقدمونها.

🕮 إن القلب الذي لا يعطي ذاته لله عطية كاملة حقيقية، بهدف سليم، ما أسهل عليه أن يكسر كل عهد يبرمه مع الله، فلا يحافظ على عهوده، ولا على وعوده، وينحرف إلى أهداف سطحية تافهة، لا تغنيه شيئًا.

🕮 وبنفس الوضع خرجت امرأة لوط من سادوم. وقلبها لا يزال فيها. لم يكن خروجها من أرض الخطية خروجًا حقيقيًا من القلب، ولم يكن من أجل الله. كانت يدها في يد الملاك الذي أقتادها إلى خارج المدينة المحترقة مع أسرتها. أما قلبها فكان يحترق شوقًا إلى ما هو داخل المدينة. عجيبة هذه المرأة. لم تهلك داخل سدوم، إنما بعد أن خرجت منها. وهكذا هلكت وتحولت إلى عمود ملح. صار موتها ملحًا للعالم، أي درسًا روحيًا في خطورة النظرة إلى الوراء.

🕮 الذي له هدف حقيقي ثابت في الله، لا ينظر مطلقًا إلى الوراء أثناء سيره مع الله، وإلا تعرض لتوبيخ إيليا النبي الذي قال: "حتى متى تعرجون بين الفرقتين؟ إن كان الله هو الله فاتبعوه. وإن كان هو البعل فاتبعوه" {1مل ١٨: ٢١}.

🕮 إن كان هدفك هو الله، فلا تكن ذو قلبين، ولا تكن مترددًا.

🕮 مشكلة يهوذا الإسخريوطي كانت هذه: يجلس مع السيد المسيح على مائدة واحدة، ويأكل معه من نفس الصفحة. وفي نفس الوقت كان

يتفق ضده مع شيوخ اليهود وقادتهم. فكان "تلميذًا" للرب. يقبل السيد ويسلمه إلى أعدائه في نفس الوقت. عاش المسكين بلا هدف. فكانت حياته ثقلًا عليه، وعلى الجميع، فهلك.

📖 إن نيقوديموس بعد أن عرف الرب معرفة حقه، لم يستطيع أن يستمر صديقًا له، وعضوًا في مجمع السنهدريم في نفس الوقت.

📖 حنانيا وسفيره ببعض المال حرامًا. بينما يظهران أمام الجميع كعضوين في جماعة أولاد الله، الذين يضعون كل أموالهم عند أقدام الرسل. فلا كسبا المال، ولا كسبا عضوية الكنيسة. لم يكن لهما الهدف الروحي النقي الثابت، الذي لا يعرج بين الفرقتين.

📖 صورتهما تشبه صورة بيلاطس، الذي أراد أرضاء ضميره، وإرضاء اليهود في نفس الوقت. ولما فشل غسل يديه بالماء، دون أن يغسل قلبه من الداخل.

📖 **كان الشاب الغنى يريد أن يجمع الهدفين معًا.**

📖 وإذ كشفه فاحص القلوب. مضى حزينًا.

📖 إنه يسأل عن الحياة الأبدية، وكيفية الوصول إليها، كأنه صاحب هدف صالح يسعَى إليه. أما قلبه فكان يحب العالم الحاضر، على الرغم من أنه حفظ الوصايا منذ حداثته {متى ١٩: ١٦-٢٢}. وإذا كشف له الرب الداء الذي فيه، ودعاه إلى أن يكون صاحب هدف واحد، ويتخلّى عن الآخر. مضي حزينًا. وسيمضى حزينًا مثله كل من يحاول أن يضع إلى جوار الله هدفًا أخر.

📖 كثيرون يقولون إن الله هو هدفهم، وفي نفس الوقت يريدون أن يدخلوا من الباب الواسع. والباب الواسع لا يوصل إلى الله مطلقًا، "بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله" {أع١٤: ٢٢}.

📖 والذين يجعلون الله هدفهم، ينبغي أن يتألموا من أجله، ويبذلوا

ذواتهم من أجله، عالمين أن تعبهم ليس باطلًا في الرب، وكما قال الكتاب: "كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه" {١كو٢: ٨}.

📖 هؤلاء استقروا على هدفهم الروحي، بكل ثبات لا يغيرونه.

📖 لقد اختاروا الله هدفًا لهم، بغير ندم، ولا تردد، وبغير إعادة تفكير، وبغير النظر إلى الوراء. لم يعودوا يفحصون الأمر من جديد، أو يتساومون مع الشيطان. إن خط حياتهم واضح أمامهم لا يتغير. استقروا عليه منذ زمان، ولا يعد موضوع نقاش.

📖 وكما قال القديس بولس الرسول: "إذن يا أخوتي الأحباء. كونوا راسخين غير متزعزعين، مكثرين في عمل الرب كل حين. عالمين أن تعبكم ليس باطلًا في الرب" {١كو١٥: ٥٨}.

📖 إنهم لا يعيشون حياة صراع بين الخير والشر، أو بين الله والعالم. فالصراع يعني عدم استقرار. أما هؤلاء، فلهم خط واضح، لا تردد فيه، ولا انحراف عنه يمنه ولا يسره. يسيرون بقلب مع محبة الله.

📖 بل إن الله صار هو شهوتهم الوحيدة التي تملأ قلبهم تمامًا، ولا يبقي فيه شيء لغيرها. وسنضرب أمثلة لهؤلاء الثابتين: إن قصص الثابتين تعطينا فكرة عن الثبات في الهدف الروحي. هؤلاء تركوا حياة الخطية إلى الأبد، وما عادوا يرجعون إليها مرة أخري.

📖 لم نسمع مطلقًا أن القديس أوغسطينوس عاد إلى حياة الخطية بعد توبته، ولا عاد القديس موسي الأسود إلى ما كان عليه أولًا.

📖 ولم نسمع أن القديسة مريم القبطية، أو القديسة بيلاجية عادتا إلى الخطية بعد توبتهما. فهؤلاء بعد أن صار الله هدفًا لهم، تغيرت حياتهم تمامًا، بلا أية ردة، أو رجعة، أو أية نظره إلى الوراء.

📖 إنما استأصلوا الخطية تمامًا من قلوبهم. تمامًا في جدية كاملة، وفي أمانة عجيبة لله الذي اختاروه. مثل الذي يجري الكل، وبقي ولو شيء مثل شعره، سيعود ويتضخم ويصير أسوأ مما كان.

📖 ولهذا فإن الذي يقول إنه تاب، وهو لا يزال يقع ويقوم، ويقع ويقوم، هذا لم يتب بعد، وهدفه ليس واضحًا أمام عينيه وكما يقول الشاعر: متى يبلغ البنيان يومًا تمامه ـ إذا كنت تبنيه، وغيرك يهدم.

📖 إن التوبة ليست مجرد أجازه "عطلة" من الخطية، بحيث يمكن أن يعود الإنسان إليها مرة أخرى. إنما هي قطع كل صلة بها إلى الأبد، بكل تصميم، وبكل حب له.

📖 وكما قال أحد القديسين في تعريف التوبة أنها "استبدال شهوة بشهوة" أي أن شهوة الإنسان بالنسبة إلى العالم تنتهي، لتحل محلها شهوة الحياة مع الله، وتصبح هدف الإنسان من حياته. وبهذا تحول أولئك الخطاة ليس فقط إلى تائبين، وإنما صاروا قديسين.

📖 ساروا في تصميم شديد لدرجة تنفيذ قول الرب: إن أعثرتك عينيك فاقلعها والقها عنك. وإن أعثرتك يدك اليمنى فاقطعها والقها عنك {متى٥: ٢٩: ٣٠}.

📖 **مثال أخر في التصميم على الهدف الروحي: سلوك الشهداء.**

📖 كان هدفهم الوحيد هو الله، والحياة معه في الأبدية السعيدة، لذلك ساروا وراءه بكل قلوبهم حتى إلى الموت ولم يبالوا بإغراءات، ولا بتعذيب. ولم يستطيع شيء من كل هذا يحول قلوبهم الثابتة في الرب.

📖 كما قال بولس الرسول: "من سيفصلنا عن محبة المسح؟ إني متيقن أنه لا موت ولا حياة.. ولا أمور حاضره، ولا مستقلة، ولا علة، ولا عمق، ولا خليقة أخري، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" {رو٨: ٣٥-٣٩}.

📖 **مثال أخر للتصميم على الهدف الروحي، هو الدعوة الإلهية:**

📖 إبراهيم أبو الآباء، لما دعاه الرب أن يترك وطنه، وأهله، وعشيرته، ويمضي إلى الجبل الذي يريه، لم يتردد، بل خرج وهو لا

يعلم إلى أين يذهب {عب١١: ٨}. لم تكن الأرض، ولا العشيرة هي هدفه، إنما هدفه هو الله الذي من أجله يترك كل شيء.

📖 كذلك لما أمره الرب أن يقدم ابنه وحيده ذبيحة، لم يتردد مطلقًا، ولم يفكر، ولم يدخل في صراع داخلي. إنما بكر صباحًا جدًا وأخذ ابنه، ومعه الحطب والنار والسكين. لم يكن الابن هو هدفه، وإنما الله هو الهدف.

📖 وكذلك قال الرسول: "لما سر الله الذي افرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته. للوقت لم استشر لحمًا ولا دمًا، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين كانوا قبلي" {غل ١: ١٥-١٧}.

📖 إن الهدف الإلهي يحتاج إلى تصميم.

📖 فالشيطان إذا وجد فينا إرادة مترددة، غير حازمة في علاقتنا مع الله، إرادة زئبقية تتموج، ولا تثبت على حال، يعرف أن عودنا طري، يمكنه أن يحصره ويعصره. فلنكن راسخين في محبتنا لله. ولا نضع هدفًا إلى جواره. له المجد من الآن وإلى الأبد آمين.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل الأول: الهدف الروحي وثباته ـ صفحة ـ ١٤ ـ ٢٠

{٧}

تبدأ وتستمر

📖 {١} البدء:

📖 المهم أن يبدأ الإنسان الطريق، يبدأ علاقة مع الله.

📖 كثيرون لم يبدؤوا. حياتهم في غربة عن الله. يعيشون حياة علمانية بحته، وقد شغلتهم أمور العالم المادية، أو شهوات الجسد، أو مسئوليات الحياة المتنوعة. ولم يعرفوا طريقهم بعد إلى الروحيات، ولم يفكروا في ذلك مجرد تفكير. أنهم في متاهة، أو في دوامة، أو عفوية، لم يخطر على بالهم الاهتمام بأبديتهم. فإن بدأوا يهتمون

بالأبدية، تكون هذه نقطة تحول أساسية.

📖 تختلف أسباب البدء من شخص لآخر: ربما أحدهم تأثر بعظة، أو قد نقطة البدء هي رد فعل لحادث، أو كارثة، أو مرض أحد الأحباء، أو أي عمل من أعمال النعمة أيقظ ضميره، وحول فكره إلى الله. أو ربما شخص روحي، فكر في علاقة جادة مع الله، في مناسبة معينة.

📖 جلس مع نفسه مثلًا في مناسبة بدء عام جديد، أو في استقباله سنة جديدة من سني حياته، أو في أية مناسبة تاريخية في حياته. وأراد أن يبدأ خطًا روحيًا جديدًا، وعلاقة مع الله أكثر جدية وفاعلية.

📖 **البدء إذن يمكن أن يحدث، بافتقاد من عمل النعمة.**

📖 وقد يكون الإنسان فيه، في حماس شديد، وفي حرارة روحية، وفي عزم وتصميم. وقد يستمر على هذا أيامًا، وقد تطول الفترة، ثم يفتر، أو يرجع إلى الوراء، ولا يكمل ما بدأ به. وتبرد محبته الأولي {رؤ٢: ٤}. إذن ليس المهم فقط أن يبدأ، بل بالأكثر أن يستمر.

📖 {٢} المهم أن تستمر:

📖 هناك أشخاص يعترفون ويتناولون. وفي يوم التناول يكونون في حالة روحية ممتازة. وقد بدأوا من جديد حياة التوبة، في قوة وحماس. ولكنهم للأسف لا يستمرون، بل تمر الأيام، وإذ بهم قد رجعوا إلى حالتهم القديمة، فيما قبل التوبة!

📖 المشكلة إذن هي مشكلة الاستمرار في التوبة. ما أسهل أن يحيا إنسان في حياة القداسة لمدة يوم كامل. ولكنه لا يستمر!

📖 وقد يبدأ شخص تدريبًا روحيًا. يقول مثلًا: "سأدرب نفسي على الصمت، حتى أتفادي أخطاء اللسان". ويصمت يومًا، أو يومين، ولا يخطئ بلسانه. ولكنه لا يمكنه أن يستمر في التدريب.

📖 حسن أن تكون هناك بداية طيبة. إنما المهم أن تستمر.

📖 خذوا مثالًا: القديس بطرس الرسول. في وقت من الأوقات كان يشتعل حماسًا لأجل الرب، وهو يقول: "وإن شك فيك الجميع، فأنا لا أشك. ولو اضطررت أن أموت معك، لا أنكرك" {متى٢٦: ٢٩، ٣١}. كلام جميل. وفعلًا سار مع الرب، وتحمس وقطع أذن العبد {متى٢٦: ٥١}. ولكن هذا الحماس لم يستمر، فعاد وأنكر، وسب، ولعن، وقال: "لا أعرف الرجل" {متى٢٦: ٧٤}.

📖 **مثال أخر: الإنسان الذي ينذر نذرًا.**

📖 أثناء النذر، يفعل ذلك بكل عاطفته، ويكون مستعدًا تمامًا للوفاء. ولكنه لا يلبث فيما بعد أن يراجع فكره، وإما أن يتأخر في الوفاء بالنذر، أو يشعر به ثقيلًا عليه، أو يتفاوض إن كان يمكن أن يغيره!

📖 كذلك كل من يتعهد عهودًا أمام الرب. وبخاصة في بدء الحماس الروحي، والحرارة الروحية، أو في بدء التوبة، أو في بدء التداريب الروحية. ولكن الحماس لا يستمر.

📖 واسأل في ذلك الذين في وقت من الأوقات تعهدوا بأمور كانت فوق مستواهم. ومنهم من نذر البتولية، ومن نذر الرهبنة، ومن تعهد إن ماتت زوجته، لا يأخذ غيرها. إنه حماس لا يستمر. كان الأولى أن يقدم إلى الله كرغبة، أو صلاة، وليس كتعهد، أو نذر!

📖 وكثير ما نخطئ ثم نقول: إن الله قد قبل توبة أوغسطينوس وموسى الأسود، ومريم القبطية، وبيلاجيا! هذا صحيح. ولكن النصف الثاني من الحقيقة أن كل هؤلاء حينما تابوا، لم يرجعوا إلى الخطية مرة أخري، بل استمروا في توبتهم، وظلوا يرتفعون كل يوم درجة جديدة في سلم الفضيلة، فهل أنت كذلك في توبتك؟

📖 **كذلك في الخدمة. كم من أناس بدئوا ولم يستمروا.**

📖 فكم من أناس كانوا أسماء لامعة في الخدمة، والآن لا وجود لهم إطلاقًا. جرفهم العالم بمشاغله وأصبح لا يشغل ذهنهم حاليًا سوى الوظيفة. قال بولس الرسول للخدام: "كونوا راسخين، غير متزعزعين، مكثرين في عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلًا في الرب" {١كو١٥: ٥٨}.

📖 **وما نقوله عن الخدمة، نقوله أيضاً عن التوبة.**

📖 كم من أناس قدموا توبة بحرارة ودموع، وبعهود ونذورات. وكانت بداية طيبة، ولكنها لم تستمر، وعادوا مرة أخرى إلى خطياهم، وربما إلى حالة أسواء. ونسوا كل مشاعرهم الأولى.

📖 أما قديسو التوبة الجبابرة، أمثال أوغسطينوس، وموسي الأسود، وبيلاجية، ومريم القبطية، فقد كانت التوبة نقطة حاسمة في حياتهم، تحولوا بها إلى حياة الطهارة، ونموا إلى حياة القداسة، في طريق الكمال.

📖 {٣} نهاية السيرة:

📖 من أجل هذا يقول لنا الكتاب عن قديسي الله: "انظروا إلى نهاية سيرتهم، فتمثلوا بإيمانهم" {عب١٣: ٧}. المهم إذن في نهاية السيرة، وليس في بدايتها. وهكذا نحن في السنكسار نحتفل بأيام نياحتهم، أو استشهادهم. وفي صلوات المجمع في القداس الإلهي، نذكر أولئك: "الذين كملوا في الإيمان".

📖 إن ديماس كان أحد أعمدة الكنيسة في بداية خدمته. وكان يذكره القديس بولس الرسول ضمن مساعديه القديسين مرقس، ولوقا، واسترخس. ولكنه لم يكمل المسيرة. لم يستمر. بل انتهت حياته بعبارة مؤسفة جدًا، قال فيها الرسول: "ديماس تركني، لأنه أحب العالم الحاضر" {٢تى٤: ١٠}.



📖 ولم يكن ديماس وحده. بل كثيرون أخرون بدأوا الخدمة مع القديس بولس، وكان يمتدحهم. ولكنهم لم يستمروا. وقال عنهم الرسول أخيرًا " لأن كثيرين ممن كنت أذكرهم لكم مرارًا، والآن أذكرهم أيضاً باكيًا، وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك. الذين يفتكرون في الأرضيات" {في٣: ١٨، ١٩}.

📖 إذن لا تفتخر بأنك بدأت، بل استمر لكي تكمل. لا تكن مثل ذلك الشخص الذي يبدأ طريقة مع الله فيقول لكل أحد: " قد خلصت " وينسى أنه ينبغي أن يكمل حياته في الايمان، مستمعًا إلى قول الرسول: "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة" {في٢: ١٢}.

📖 إن نوالك نعمة الخلاص بالإيمان والمعمودية، لا يمنع إطلاقًا أن الطريق لا يزال طويلًا أمامك، تستمر فيه بالجهاد، والتوبة، والعمل الصالح، وممارسات الأسرار المقدسة، وكل وسائط النعمة، واضعًا أمامك قول القديس بولس الرسول: "من يظن أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط" {١كو١٠: ١٢}. وأيضًا قوله "لا تستكبر بل خف" {رو١١: ٢٠}.

📖 لذلك تواضع فقد قال الكتاب عن الخطية إنها: "طرحت كثيرين جرحي، وكل قتلاها أقوياء" {أم٧: ٢٦}.

📖 وقيل أيضاً: "اصحوا واسهروا، لأن إبليس خصمكم كأسد زائر، يجول ملتمسًا من يبتلعه هو" {١بط٥: ٨}. حسن أن تسلك كما يليق. ولكن ينبغي أن تستمر لكي تخلص في يوم الرب. واذكر أن القديس بولس وبخ أهل غلاطيه قائلًا: "أَبَعْدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تُكَمَّلُونَ الآنَ بِالْجَسَدِ؟!" {غل٣: ٣}. إذن الذين بدأوا بالروح، يجب أن يستمروا في طريقهم الروحي، ولا يكملوا بالجسد.

📖 {٤} اختبر الحروب:

📖 لا يكفي أن تخطو خطوة واحدة في الطريق الروحي، لأن الخطوة الواحدة لا توصلك إلى الهدف. ومن جهة أخرى لا تأخذ بها الخبرة

الروحية. فالمفروض أنك تختبر حروب الشياطين، ومعاكساتهم، وحيلهم. من الجائز إن الله لا يسمح للشيطان بأن يحاربك، في أول الطريق، لئلا تيأس.

📖 وحتى إن سمح له الله بأن يحاربك، لاختبار صدق نيتك، فإنه يجعل الحروب خفيفة، لأن الله يشفق على ضعف المبتدئين. ولكن كلما يسير الإنسان في طريق الروح، فإن الحروب تشتد عليه شيئًا فشيئًا، بسبب حسد الشياطين، وبسماح من الله، الذي يجعل نعمته تكثر، لتحمي المؤمن من هجماتهم، وتعينه في جهاده.

📖 لذلك فالاستمرار في الطريق، يكسب الإنسان الاتضاع، بالإضافة إلى الخبرة. لأنه كلما يختبر حروب الشياطين العنيفة، يشعر بضعفه أمام الحروب، فيتضع، وقد يسقط أحيانًا ويقوم، فيتدرب على الصلاة التي تقيمه، ويشعر أيضاً بشفقته على الذين يسقطون.

📖 كما أنه يتدرب على الصبر، والاحتمال، كلما يثبت في طريقه الروحي، ويستمر على الرغم من كل ضغطات العدو. ويتذكر قول السيد المسيح لتلاميذه "أنتم الذين معي في تجاربي" {لو٢٢: ٢٨}.

📖 نعم إنهم ثبتوا، كالبيت المبنى على الصخر، هبت عليه الرياح، والأمطار، والسيول، محاولاً أن تجرفه، فلم تستطع، لأنه كان صامدًا مبنيًا على الصخر، مستمرًا في صموده. وبعكس ذلك كان البيت المبني على الرمل، إذ لم يكن له أساس، لم يستمر في بقائه وسقط.

📖 ومثال ذلك أيضاً: الزرع الذي لم يكن له أصل، فجف {متى ١٣: ٦}.

📖 {٤} ليس له أصل:

📖 مثل إنسان يبدأ الطريق الروحي، ويظهر قليلًا، ثم ينزوي ويبعد، كالنبات الذي ظهر على وجه الأرض، وإذا لم يكن له أصل جف.

📖 فما معنى عبارة: "وإذا لم يكن له أصل"؟

📖 مثالها إنسان أقدم إلى الحياة الروحية نتيجة هزة معينة، أو تأثر

مؤقت بحادث، أو بعظة، أو بقراءة معيني، أو نتيجة لمشكلة حاقت، فقال: "يا رب إن أنقذتني سأتبعك كل حياتي". وأنقذه الله، فتبعه، ولكن إلى حين. وإذ لم يكن له أصل جف. فما هو الأصل؟

📖 **الأصل هو حياة الإيمان العميقة. وحياة الحب الحقيقية.**

📖 هو العلاقة الشخصية مع الله، والعشرة، والمعرفة. وليست مجرد الممارسات الخارجية، التي لا تنبع من القلب. فالإنسان الذي حياته مجرد ممارسات بدون حب، لا يمكن أن يستمر.

📖 فتاة مثلًا، سمعت عظة عن الحشمة، والأزياء، والزينة، فتأثرت وبدأت تغير مظهرها الخارجي. ولكنها من الداخل لم تتغير. لم تدخل إلى قلبها محبة الله فتغيره. لم تتأسس في داخلها العفة الحقيقية، والزهد في العالميات، والسعي إلى الأبدية.

📖 وهكذا قد تستمر مدة في مظهر الحشمة، ولكنها لا تستمر. وإذ ليس لها أصل تجف. أو شاب يقص شعره الطويل، متأثرًا بما من تدريبات روحية في بداية عام جديد. وليس عن اقتناع داخلي بتفاهة هذا المظهر، وببناء الرجولة على أسس سليمة. هذا الشاب قد يبقى هكذا فترة. ثم يطول شعره، فلا يجد دافعًا لتقصيره، وينتظر إلى بداية عام جديد أخر، أو مناسبة روحية أخري.

📖 وهكذا يصبح التدين عند أمثال هؤلاء، تدين مناسبات.

📖 ليس له أصل قوي، وليس نابعًا من القلب عن إيمان، وحب، وإنما هو مجرد تأثرات وقتيه، وانفعالات تزول بعد حين. فهي مثل بيت مبنى على الرمل، بدون أساس.

📖 إذن لكي يثبت الإنسان، لا بُد من أسس روحية توضع داخل القلب وترسخ فيه. ولهذا فإن الروحيات لا تأتي، ولا تستمر، نتيجة لأوامر واجبة الطاعة، من أب، أو أم، أو مرشد، أو رئيس. إنها تحتاج إلى تكوين علاقة روحية مع الله، علاقة تبدأ داخل القلب،

أساسها الإيمان بحياة الروح، وبأهمية الأبدية، وبوجوب تكوين علاقة حب مع الله، حب ثابت، وليس مجرد مظاهر، أو ممارسات.

📖 إنها تبدأ بإصلاح الذات من الداخل.

📖 {٥} الإصلاح الداخلي:

📖 إنسان مثلًا دائمًا يغضب، ويثور، ويعلو صوته، ويسيئ إلى غيره، ويفقد أعصابه. يقول لنفسه وهو نادم: "لا بُد أن أدرب نفسي على ترك الغضب". ويبدأ التدريب بالفعل، ولكنه لا يستمر: "إذ ليس له أصل". فكيف إذن يتخلص من الغضب، بطريقة يبحث فيها عن الأصل، ويصلحه؟

📖 علية أن يبحث عن أصول هذه الخطية في داخله، ويعالجه.

📖 ربما يكون سبب الغضب كبرياء داخلية، لا تحتمل كلمة معارضة، أو كلمة توجيه، أو نقد. ربما يكون السبب حبه للكرامة، والمديح، أو رغبته في تنفيذ رأيه أيًا كان، أو تنفيذ رغباته. أو قد يكون سبب غضبة كراهية لإنسان ما، أصبح لا يحتمل منه كلمة. أيًا كان السبب، عليه أن يعالجه أولًا. وحينئذ يمكنه أن ينجح في تداريبه.

📖 **إذن علينا بإصلاح الأسباب، وليس مجرد الأغراض.**

📖 مريض ارتفعت درجة حرارته، أيمكنك معالجته بكمادات ثلج، أو بأسبرين؟! أم يجب البحث عن السبب الذي أدي إلى ارتفاع درجة الحرارة، ومعالجته؟ ربما كان السبب التهابا في اللوز، أو بؤرة صديدية في أحد أعضائه، أو حمى. يحتاج الأمر إلى علاج داخلي، لا تصلح معه المحاولات الخارجية للتخلص من الأعراض.

📖 **لا يكن إصلاحكم لأنفسكم مجرد إصلاح خارجي، للمظاهر.**

📖 إنما أصلحوا القلب من الداخل. أصلحوا الأسباب الحقيقية التي تنبع منها الخطية. وحينئذ يمكن لتوبتكم أن تستمر، ويمكن أن تستمر،

ويمكن لممارساتكم الروحية أن تستمر، لأن لها أصلًا ثابتًا داخل القلب. وهكذا قال الرب لملاك كنيسة أفسس: "اذكر من أين سقطت، وتب" {رؤ٢: ٥}. ولذلك فإن الأبرار إن سقطوا، يقومون بسرعة.

📖 داود سقط، ولكنه قام بسرعة، وبقوة، لأن الأصل من الداخل سليم. وبطرس أنكر المسيح، ولكنه بكي بكاءً مرًا وتاب، وذلك لأن الأصل سليم، القلب من الداخل فيه محبة للرب {يو٢١: ١٦}. الأخطاء بالنسبة إلى هؤلاء القديسين كانت أخطاء عارضة. أما القلب فهو طاهر من الداخل. ولذلك يمكننا أن نقول عن أخطائهم إنها: "كانت خطايا ضعف، وليست أخطاء خيانة للرب".

📖 وكان هذا هو الفارق الأساسي بين خطية بطرس، وخطية يهوذا. بطرس أخطأ عن ضعف. ويهوذا أخطأ عن خيانة. والذي يخطئ عن ضعف، يقوم بسرعة، كما قيل: "الصديق يسقط سبع مرات في اليوم ويقوم" {أم٢٤: ١٦}.

📖 **إن محبتك لله، هي التي تجعلك تتوب، وتستمر في التوبة.**

📖 أما محبتك للخطية، فإنها تجعلك مهما تبت ترجع إلى الخطية مرة أخري وتستمر فيها. إذن سبب الاستمرار هنا، أو هناك، إنما راجع إلى قلبك، وإلى أين يتجه.

📖 فالذي يجعل الصديقين يقومون، هو القلب المحب لله. وبسبب هذا القلب، مهما سقطوا، فإنهم: "يجددون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور. يمشون ولا يعيون" {اش٤٠: ٣١}. عمقوا جذوركم في الحياة مع الله، مدوها إلى أسفل، قبل أن ترفعوا الجذوع، والفروع إلى أعلى.

📖 لأن العمق الداخلي هو الذي يسند الارتفاع إلى فوق. مثل راهب يدخل الرهبنة حديثًا. يلح على أب اعترافه لكي يسمح له بأصوام طويلة، بمئات المطانيات، بطقس شديد في الوحدة

والصمت. فيقول له أبوه الروحي: انتظر يا أبني حتى نهتم بالداخل.
📖 أولًا: نضع أساسًا من التواضع، والوداعة، واللطف في معاملة الناس، والمحبة الحقيقية من نحو الله. وعلى هذا الأساس نبني.
📖 اهتم إذن بحياتك كيف تبنيها من الداخل، قبل أن تبنيها من الخارج.
📖 تبنيها بالعمق، قبل أن تبنيها بالارتفاع.
📖 تبنيها بتصحيح الدوافع، قبل أن تبنيها بتغير المظاهر.

📖 لا يكفي فقط أن تترك الخطية، إنما بالأكثر ابحث عن أسبابها، وتخلص من هذه الأسباب، حتى لا تقع مرة أخري. فبهذا يمكنك إن تستمر في التوبة. فهكذا قال السيد المسيح: "اذكر من أين سقطت وتب" {رؤ٢: ٥}. انزع الأشواك التي تحيط بك، حتى إذ زرعك يستمر نموه، ولا تخنقه الأشواك.

📖 **ادخل إلى أعماقك، ونظف وصحح كل ما فيها.**
📖 كثيرون يبدأون حياتهم الروحية بالتغصب، وبالضغط على أرادتهم، وإجبار النفس أن تسلك في الطريق الروحي. ونحن لا ننتقد هذا، فهو لون من الجهاد الروحي اللازم.
📖 ولكن لماذا التغصب؟ لأن المحبة غير موجودة.
📖 أنت تغصب نفسك على عمل الفضيلة، لأن محبة الفضيلة ليست موجودة في قلبك. فإن وصلت إلى هذه المحبة، لا يبقى بعد تغصب، بل تمارس الفضيلة بطريقة تلقائية بدون جهاد. ويمكنك أن تستمر فيها بدون خوف من السقوط، وأساس هذه المحبة، هو إلى نريد أن نضعه في القلب، لأنه صمام الأمن.

📖 إن العربة التي يكون محركها سليمًا، تسير من تلقاء ذاتها، لا تحتاج إلى أناس يدفعونها بأيديهم إلى الأمام. إنما داخلها {موتورها} يحركها. نصيحتي أن تهتم بداخلك، لكي تحيا حياة روحية مستمرة.

📖 وإن لم تستطع أن تصل إلى المحبة، اجعل مخافة الله أمام عينيك، وقل مثلما كان يقول إيليا النبي: "حي هو رب الجنود الذي أنا واقف أمامه" {١مل١٨: ١٥}. وكلما تحارب بخطية، قل لنفسك كما قال يوسف الصديق: "كيف أعمل هذا الشر العظيم أخطئ إلى الله؟" {تك٣٩: ٩}.

📖 **ولا تكن حياتك الروحية هي مجرد حياة مناسبات.**

📖 إن كان أسبوع نهضة روحية في الكنيسة، تنهض روحك خلاله، ثم تخبوا بعد ذلك. إن كانت هناك مناسبة روحية مثل عيد رأس سنة، أو يوم تناول، أو قداس عيد سيدي، ترتفع روحياتك في ذلك اليوم، ثما تعود وتهبط، دون هدف ثابت، وخطة روحية ثابتة!

📖 لا يليق أن تكون الأمور هكذا. إنما اجعل إيمانك الداخلي بالحياة مع الله، هو الذي يدفعك باستمرار، في كل يوم، وكل ساعة. وكلما تبدأ صفحة بيضاء، احرص أن تحتفظ ببياضها.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل الثاني: تبدأ وتستمر ـ صفحة ٢٢ ـ ٣١

{٨}
الأمانة ـ الأمانة في القليل

📖 {١} أهمية الأمانة وحدودها:

📖 لست أقصد مجرد الأمانة في المال، والأمور المادية، أي أن الإنسان لا يكون سارقًا، أو ناهبًا لغيره. إنما أقصد الأمانة بوجه عام، في كل تصرفات الشخص، وحياته الروحية:

📖 **أمانة في علاقته مع الله، ومع الناس، ومع نفسه.**

📖 وقد دعانا السيد المسيح إلى هذه الأمانة فتحدث عن الأمانة في الخدمة، وعن: "الوكيل الأمين الحكيم، الذي يقيمه سيده على

عبيده، ليعطيهم طعامهم في حينه" {لو١٢: ٤٢}. بل أنه أكثر من هذا:

📖 ذكر أن الأمانة هي مقياس الدينونة، وعماد الدخول إلى الملكوت. إذ أنه سيقول لمن يستحق الدخول إلى ملكوته: "نعمًا أيها العبد الصالح والأمين، كنت أمينًا في القليل، فأقيمك على الكثير. أدخل إلى فرح سيدك" {متى٢٥: ٢١، ٢٣}.

📖 **ولكن إلى أي حد تكون الأمانة؟**

📖 يقول الرب: "كن أمينًا إلى الموت، فسأعطيك إكليل الحياة" {رؤ٢: ١٠}. "إلى الموت"، أي إلى الحد الذي تبذل فيه ذاتك، وتضحي بحياتك، من أجل أن تكون أمينًا.

📖 ولعل هذا يذكرنا بتوبيخ القديس بولس الرسول للعبرانيين، على عدم أمانتهم في مقاومة الخطية. فيقول في ذلك: "لم تقاوموا بعد حتى الدم، مجاهدين ضد الخطية" {عب١٢: ٤}. "حتى الدم"، أي لو أدي الأمر أن يكون الإنسان مستعدًا لسفك دمه، وهو يجاهد ضد الخطية. وبذلك يكون أمينًا في علاقته تجاه الله، ولا يخونه بالاستلام للخطية.

📖 **والأمانة هي التي ساعدت الأبرار على الوصول.**

📖 كثيرون بدئوا الطريق معًا. ولكن بعضهم وصل، والبعض لم يصل، والبعض تأخر. فما السبب في ذلك؟ السبب هو أن البعض كانوا أمناء في كل واجباتهم الروحية، فاستطاعوا أن ينالوا الأكاليل، بعكس غيرهم.

📖 **والأمانة تشمل الأمور العالمية، كما تشمل الأمور الروحية:**

📖 فكما يهتم كل إنسان بروحياته، ينبغي أن يكون أمينًا في كل عمل يعمله، فالتلميذ ينبغي أن يكون أمينًا في كل عمل يعمله. فالتلميذ ينبغي أن يكون أمينًا في حياته الدراسية، في مذكراته، ومراجعته، ونجاحه، وتفوقه. وكذلك العامل في إتقانه لعمله، وحفظه لمواعيده،

وكذلك الموظف، وكل من هو في مسئولية.

📖 **يوسف الصديق كان إنسانًا روحيًا، وأمينًا في عمله.**
📖 كان أمينًا في خدمته لفوطفيار، حتى أزدهر عمل الرجل.
📖 وكان أمينًا أيضاً في عمله كوزير تموين لمصر، حتى أنقذها، وأنقذ البلاد المحيطة من المجاعة. بل كان أمينًا أيضاً في عمله، وهو سجين، لدرجة أن حافظ السجن ائتمنه على مسئوليات.

📖 **وهناك في الحياة العملية، أمور لاختبار الأمانة:**
📖 مثال ذلك من يحصل على شهادة مرضية زائفة، لمجرد الحصول على عطلة من العمل بدون وجه حق. وهو لا يكتفي بأن لا يكون أمينًا، بل يعثر في ذلك الطبيب، بمكافأة على عمل زائد، بينما يمكن القيام بالعمل في الوقت العادي بدون زيادة.

📖 **والأمثلة كثيرة:**
📖 ومنها أيضاً من ينتقل الأخبار بطريقة غير أمينة.
📖 أو من لا يكون أمينًا على سر أؤتمن عليه.
📖 ومن لا يؤدي أية مهمة كلف بها بالأمانة المطلوبة:
📖 ننتقل إلى نقطة أخرى وهي: أمانتك تجاه الله.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل الثامن: الأمانة ـ الأمانة في القليل ـ من صفحة ١٣٢ ـ ١٣٣

📖 **{٢} أمانتك تجاه الله:**
📖 إذا كان الله أمينًا في علاقته بنا، للدرجة التي وصلت إلى التجسد والفداء، وإلى هذا الحد وصلت محبته، ووصل بذله، فكم بالأولي يجب علينا نحن أن نكون أمناء؟!
📖 وأمانتك تجاه الله، تعني أنك لا تخونه أبدًا.
📖 خذ مثالًا لذلك: إنسان متزوج، إن كانت زوجته أمينة له، فمهما أعطاها من حرية دون رقابه، تكون أمينة له، لا تخونه، ولا تكون

لها علاقة مع غيره. كذلك نفسك، إنها عروس للمسيح، لا تخونه مع العالم، ولا تخونه مع الشيطان، ولا مع أي فكر شرير.

📖 **قلبك الذي هو ملك له، لا تفتحه لأعدائه.**

📖 والإنسان الأمين، لا يتساهل مع أية خطية، لأنها عداوة لله.

📖 لا يتراخى مع أي فكر خاطئ، بل بكل أمانة يطرده بسرعة.

📖 لا يقبل على الإطلاق أي أمر يفصله عن الالتصاق بالله، معتبرًا أن كل خطية هي خطية موجهة أساسًا إلى الله، لأنها ضد محبته، وضد مشيئته، وضد وصاياه، وضد الثبات فيه، كما تسامي يوسف الصديق عن الخطية وهو يقول: "كيف أصنع هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله" {تك٣٩: ٩}. معتبرًا أن تلك الخطية ليست موجهة أصلًا إلى فوطيفار، أو امرأته، إنما هو فيها "يخطئ إلى الله".

📖 وبنفس المعني قال داود النبي للرب، في المزمور الخمسين: "لك وحدك أخطأت، والشر قدامك صنعت".

📖 **والخطية هي انفصال عن الله، بل هي تمرد عليه.**

📖 والإنسان الأمين في علاقته مع الله، لا يقبل إطلاقًا ما يفصله عنه، كما قال القديس بولس الرسول، "فإني متيقن أنه لا موت، ولا حياة، ولا ملائكة، ولا رؤساء، ولا قوات، ولا أمور حاضرة، ولا مستقبلة، ولا علو، ولا عمق، ولا خليقة أخري، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله، التي في يسوع المسيح ربنا" {رو٨: ٣٨}.

📖 **الذين عرفوا الله بالحقيقة، لم يتركوه أبدًا.**

📖 ونقدم مثالًا لذلك، قديسي التوبة، الذين لما تابوا، وذاقوا محبة الله، لم يرجعوا مرة أخري إلى الخطية، التي تفصلهم عن محبة الله. بل استمر نموهم في المحبة، حتى وصلوا إلى درجات من الكمال. ونذكر من بين هؤلاء: القديس أوغسطينوس، والقديس موسى

الأسود، والقديسة مريم القبطية، والقديسة بيلاجية.

📖 وعن الحياة الخاطئة السابقة، قال القديس أوغسطينوس للرب: "لقد تأخرت كثيرًا في حبك، أيها الجمال الفائق الوصف". معتبرًا، ومعترفًا أنه كان في حالة الخطية بعيدًا عن محبة الله. هذا من الناحية السلبية. أما من الناحية الإيجابية فتقتضي الأمانة لله أن يكون الإنسان أمينًا في كل أعماله الروحية: في صلواته لأنها حديث مع الله، وفي قراءته للكتاب، لأنه في ذلك يستمتع إلى الله. كما يكون أمينًا في تأملاته، وفي تسابيحه، وفي اعترافه، وفي تناوله، وفي صومه.

📖 **كما يكون أيضاً أمينًا في خدمته وروحانيتها.**

📖 أمينًا في التعليم، كما قال الرسول: "تكلم بما يليق، بالتعليم الصحيح" {تي ٢: ١}. فلا يقدم أفكاره الخاصة كعقيدة. ولا يقدم تعليمًا للناس إلا ما قد تسلمه من الكنيسة، عن طريق قديسيها. كما قال القديس بولس لتلميذه تيموثاوس: "وما سمعته مني بشهود كثيرين، أودعه أناسًا أمناء، يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً" {٢تي٢: ٢}.

📖 وكما يكون أمينًا في التعليم، يكون أمينًا في الافتقاد، وفي السعي لرد الضال. وقد أعطانا السيد المسيح مثلًا لذلك في السعي وراء الخروف الواحد الضال {لو١٥}، وفي عمله من أجل زكا، والمرأة الخاطئة. وفي أنه جاء: "ليخدم، ويبذل نفسه فدية عن كثيرين" {مر١٠: ٤٥}.

📖 **ولنذكر من جهة الأمانة قول الكتاب:** "ملعون من يعمل الرب برخاوة" {أر٤٨: ١٠}. فالأمين في عمل الرب، يعمله بكل حرارة، وبكل اجتهاد، وإخلاص، وبكل غيره مقدسة، وبكل عاطفة وحب.

ويتعب من أجل الرب، ولا يعطي لعينيه نومًا، ولا لأجفانه نعاسًا، إلى أن يجد موضعًا للرب، في كل قلب. كما قيل في الدسقولية عن الأسقف إنه: "يهتم بكل أحد ليخلصه". وينطبق هذا القول على كل معاونيه.

📖 **وبهذه الأمانة في الخدمة عاش الآباء الرسل.**

📖 شهدوا للرب بكل أمانة. كانوا أمناء، وأوصلوا الرسالة إلى كل أقطار المسكونة، كما قيل عنهم في المزمور: "الذين ليس لهم صوت، بلغت أصواتهم إلى أقطار المسكونة" {مز١٩}.

📖 فعلوا ذلك بكل مجاهرة، وبكل قوة، واحتملوا السجن، والجلد، والطرد، والعذاب، وهم يقولون عبارتهم المشهورة: "ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس" {أع٥: ٢٩ ٩}.

📖 وكمثال لهذه الأمانة قال القديس بولس الرسول: "جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان" {٢تي٤: ٧}. وقال: "وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذي قواني، إنه حسبني أمينًا إذ جعلني للخدمة" {١تي ١: ١٢}.

📖 وهكذا كان القديس بولس يمتدح في مساعديه أمانتهم في الخدمة. فيقول: "تيخكس الأخ الحبيب، والخادم الأمين في الرب" {أف٦: ٢١} و"أبفراس العبد الحبيب معنا، الذي هو خادم آمين للمسيح" {كو١: ٧}، "وأنسميس الأخ الأمين الحبيب" {كو٤: ٦}، "تيموثاوس الذي هو ابني الحبيب، والأمين في الرب" {١كو٤: ١٧}.

📖 لهذا نسمي المسئول عن الخدمة: آمين الخدمة.

📖 سواء الأمين العام، أو آمين الفرع، أو آمين أسرة. كل منهم قد وضعت الخدمة أمانة في يده، لكي يقوم بعمله فيها بكل أمانة.

📖 لذلك يقال عن الخادم إنه أؤتمن على خدمة. أو استأمنه الله عليها.

📖 وفي ذلك يقول القديس بولس الرسول: "الكرازة التي اؤتمنت أنا

عليها" {تي ١: ٣}، " اؤتمنت على إنجيل الغرلة، كما بطرس على إنجيل الختان" {غل٢: ٧}. ويقول أيضاً: "قد استؤمنت على وكالة. فويل لي إن كنت لا أبشر" {١كو٩: ١٧، ١٦}. والخدمة أمانة أمام الله، ينبغي أن يكون فيها الخادم أمينًا، وليس هو مجرد لقب.

📖 **والأمين في علاقته مع الله، يكون أيضاً أمينًا في عهوده، وفي نذوره.**

📖 من أول عهد نطقته أمه في جحد الشيطان، نيابة عنه في يوم معموديته، وتعهداته في سائر لمناسبات، وبخاصة في أوقات الضيقات. ويدخل في هذا النطاق، نذوره التي يقول عنها الكتاب: "أن لا ينذر، خير من أن تنذر ولا تفي" {جا٥: ٥}.

📖 لذلك عليك أن تجلس إلى نفسك، وتتذكر كل عهودك، ونذورك، لكي تفي بها، ولو متأخرًا، فهذا خير من أن تهملها تمامًا. ولا تحاول بعد أن تنذر، أن تعود فتناقش الأمر من جديد، وتساوم، وتحاول أن تغير وتبدل، أو تتخلص من نذرك وعهودك. وقبل النذر والتعهد ينصحك الكتاب قائلًا: "لا تستعجل فمك. ولا يسرع قلبك إلى نطق كلام قدام الله" {جا٥: ٢}.

📖 **أمانتك للرب تشمل أيضاً أمانتك في العشور والبكور.**

📖 لأنها ليست لك. إنها نصيب الرب. تدفعه لمستحقيه.

📖 للكنيسة، والفقراء، وإلا كانت هذه الأموال هي: "مال ظلم" عندك. قد ظلمت فيه من يستحقونه، واستبقيته عندك. وعن هذا المال وأمثاله، يقول الكتاب: "اصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم" {لو١٦: ٩}. وهكذا يقول الرب في سفر ملاخي النبي: "أيسلب الإنسان الله؟! فإنكم سلبتموني! فقلتم بما سلبناك؟ في الشعور والتقدمة" {ملا٣: ٨}.

📖 ننتقل إلى نقطة أخري وهي:

📖 **{٣} أمانتك نحو نفسك:**

📖 وتشمل أمورًا عديدة منها: أمانتك لأبديتك، والاهتمام بروحك، وبنموك الروحي، وأمانتك في مقاومة الخطية، وأمانتك من جهة وقتك، ومن جهة عقلك.

📖 **الأمين لأبديته يبذل كل جهده لكي يؤهل لها.**

📖 هذا ينظر إلى نفسه كغريب على الأرض، لا يشتهي شيئًا مما فيها، وكل رغباته مركزة في الحياة الأبدية، كما قال الكتاب: "غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى، بل إلى التي لا تُرى. لأن التي تري وقتيه. أما التي لا ترَى فأبدية" {٢كو٤: ١٨}.

📖 وهو في ذلك يهتم بروحه بكل الاهتمام، أكثر مما يهتم بجسده.

📖 وهذا عكس ما نراه في دنيانا. لأن كثيرين يهتمون بأجسادهم، في أكلها، وفي لبسها، وفي صحتها، وفي علاجها، وتقويتها، وأيضًا في رياضتها. بينما أرواحهم لا يهتمون بها على الإطلاق، كما لو كانت أبديتهم لا تشغل بالهم أبدًا.

📖 **الأمناء لأبديتهم يهتمون بغذاء أرواحهم.**

📖 يقدمون للروح كل ما تحتاجه، من كلمة الله، ومن الصلوات، والتراتيل، والتأملات، ومن الاجتماعات الروحية، والصدقات الروحية، وما يغذيها من سر الأفخارستيا، بكل استعداداته، وما يغذيها أيضاً من محبة الله، ومن ثمار الروح، ومن التداريب الروحية النافعة. فهل أنت كذلك.

📖 **والأمناء لأبديتهم يهتمون بعلاج أرواحهم.**

📖 إن وجدوا أي مرض روحي يزحف إليهم، يلجأون إلى طبيب أرواحنا، وأجسادنا، إلهنا الذي يقوهم بروحه القدوس. كما يلجأون إلى الآباء، والمرشدين الروحيين، يطلبون علاجًا لأنفسهم، علاجًا

من كل شهوة خاطئة، ومن كل فكر شرير.

والأمناء لأرواحهم دائمًا بنموهم الروحي.

فهم لا يكتفون أبدًا بأي مستوي يصلون إليه، ذلك لأن الله يطلب منهم القداسة، والكمال. فيقول: "كونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل" {متى٥: ٤٨} ويقول الكتاب أيضاً: "نظير القدوس الذي دعاكم، كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة" {١بط ١: ١٥}.

لذلك فالأمناء لأرواحهم، يعيشون جياعًا، وعطاشًا إلى البر.

وذلك لينالوا الطوبى التي وعد بها الرب {متى٥: ٦}. ع

طشهم إلى الرب لا ينتهي، مهما ارتووا منه يطلبون المزيد، قائلين مع داود رجل المزامير والصلوات: "عطشت نفسي إليك"، "كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه، كذلك اشتاقت نفسي إليك يا الله" {مز٦٣}. ومهما ارتفعوا في الفضيلة، يشعرون أنهم في حاجة إلى مزيد، كما حدث للقديس بولس، الذي صعد إلى السماء الثالثة {٢كو١٢: ٢، ٤}. وعن ذلك كان يقول: "لست أحسب نفسي أني قد أدركت. ولكني أسعي لعلي أدرك. أنسي ما هو وراء، وامتد إلى ما هو قدام. اسعي نحو الغرض" {في ٣: ١٢-١٤}.

وهكذا فالأمين لروحياته، يعيش في نمو دائم.

كالشجرة التي هي كل يوم في نمو، سواء شعرت أنت بذلك، أم لم تشعر. وقد قال المزمور في ذلك: "الصديق كالنخلة يزهو، كالأرز في لبنان ينمو" {مز٩٢: ١٢}.

إنه ينمو في صلواته طولًا وعمقًا، وينمو في إيمانه، وفي اتضاعه، وفي محبته، كما ينمو قي بذله وعطائه، ولا يقف عند حد. ويوبخ ذاته كلما توقف نموه.



📖 **وفي نموه لا يبحث عن أبديته فقط، أنما أيضاً عن مركزه فيها.**
📖 ومادام كل إنسان سيأخذ أجرته بحسب تعبه {١كو٣: ٨}،
📖 فهو يتعب بكل جهده، لينال أجره أكثر. وما دام: "نجم يفوق نجمًا في المجد" {١كو١٥: ٤١}. فهو أيضاً يعمل لكي يستحق تلك الأمجاد الأبدية، ويتفانى في محبة الله، وينمو فيها باستمرار، حتى يمكنه أن يتمتع بذلك في الأبدية، شاعرًا أن نموه في محبة الله، ليس يساعده فقط على أبدية أسعد، إنما أيضاً يحرسه هنا من السقوط. والأمانة تدعوه أن ينمو.

📖 **فهل أنت ذلك، وهل في كل يوم تنمو؟**
📖 أم تراك ما زلت حيث أنت، وقد توقف نموك؟
📖 أم أنت ترجع إلى خلف، وقد بردت محبتك الأولي؟
📖 أم أنت لا تزال محتاجًا إلى توبة لكي تقوم؟
📖 اسأل نفسك. فإن كنت كذلك فإن الأمانة تقتضي منك الجهاد، بكل قوتك، في مقاومة الخطية.

📖 **احترس من أن تخجل أحد أبواب نفسك مفتوحًا للخطية.**
📖 بكل أمانة سد جميع الأبواب، التي يدخل منها الشيطان إلى نفسك. كن أمينًا في ضبط فكرك، وفي ضبط حواسك. لأن الحواس أبواب للفكر. كما أن الفكر باب تدخل منه الشهوة إلى القلب.
📖 أما أنت فرتل مع داود النبي قائلًا: "سبحي الرب يا أورشليم. سبحي إلهك يا صهيون. لأن الرب قوي مغاليق أبوابك، وبارك بنيك فيك" {مز١٤٧}.
📖 حقًا كما قيل في النشيد: "أختي العروس جنة مغلقة. ينبوع مختوم" {نش٤: ١١}. إنها جنة حافلة بثمار الروح، ولكنها مغلقة أمام عدو الخير، وكل أفكاره، وكل حيلة، لا يستطيع أن يدخل إليها، لأن الرب في داخلها. إنها هيكل لروحه القدوس {١كو٣: ١٦}. لذلك هي

محصنة تمامًا ضد هجمات العدو.

📖 **هذه النفس الأمينة تشبه سفينة بلا ثقوب.**

📖 لا يوجد فيها ثقب واحد يدخل منه الماء. الماء يحيط بها من كل جانب، ولكنه في الخارج، لا يجد منفذًا أمامه، ينفذ منه إلى داخلها. هكذا الإنسان الأمين. وإن رأي الشيطان يحاول أن يثقب ثقبًا في نفسه، يسارع بعلاجه بلا إبطاء. وتبقي نفسه سليمة، يحاربها الشيطان من الخارج، دون أن يدخلها.

📖 **والإنسان الأمين لروحياته لا يبرر نفسه إن سقطت.**

📖 ولا يتعذر بضعفه، ولا بشدة الحروب التي تصادفه، بل هو يقاوم حتى الموت. إن يوسف الصديق رفض الخطية، ولم يعتذر بالظروف الضاغطة عليه. ودانيال النبي، والثلاثة فتية، تمسكوا بالرب، ولم يعتذروا بأنهم أسري في السبي، وبأن التهديدات شديدة ومرعبة: جب الأسود، وأتون النار. بل صمدوا.

📖 وكذلك كان الشهداء أمام كل ألوان التعذيب، والتخويف.

📖 **فالإنسان الأمين إنسان صامد، يحارب حروب الرب ببسالة.**

📖 لا يقول: "حدث هذا الأمر غضبًا عني، أو فوق إرادتي".

📖 كلا بل إنه يقف أمام أصعب الحروب الروحية، كما وقف داود الصبي أمام جليات الجبار، بكل إيمان، وبدون خوف، واثقًا أن الله سينصره. والإنسان الأمين في حروبه يذكر ما يقال عن ضابط الجيش الباسل: "إنه يقاوم إلى أخر طلقة، وأخر رجل".

📖 أي بكل ما عنده من جهد، وبكل ما أوتي من نعمة، ومن معونة ولا يستسلم مطلقًا للعدو، ولا يخون الرب، ولا يعتمد على أعذار يقدمها.

📖 وقصص الكتاب، وقصص التاريخ، حافلة بأمثلة الأقوياء الأمناء،

الذين ثبتوا في محبة الرب، مهما كانت الظروف المحيطة بهم.

📖 إذا وجدت أمانة القلب، توجد أمانة الإرادة. فالذي يريد، يستطيع. وإن أعوزته القوة، يطلبها من فوق فتأتيه. ولذلك مع حديث القديس بطرس الرسول عن قوة الشيطان، وكيف أنه مثل أسد يزأر، ويجول ملتمسًا من يبتلعه هو، نراه يقول بعد ذلك: "فقاوموه راسخين في الإيمان" {١بط١: ٨، ٩}. نعم، إن المقاومة هي دليل الأمانة، على أن تكون مقاومة جادة، من عمق القلب، وبكل الإرادة.

📖 وماذا تكون نتيجة المقاومة؟

📖 يقول القديس يعقوب الرسول: "قاوموا إبليس فيهرب منكم" {يع٤: ٧}. المهم إذن في القلب النقي الأمين، الذي يريد أن يقاوم، ويدفع الإرادة لكي تقاوم. ولهذا كان الرب يسأل عن حالة القلب أولًا، وقبل أن يشفي مريض بيت حسدا، يسأله أولًا "أتريد أن تبرأ" {يو٥: ٦}.

📖 إن الشيطان من عادته أن يجس نبضك أولًا.

📖 يختبرك هل تتساهل معه، ولو في أمر بسيط جدًا. فإن فعلت، يَتَجَرَّأ إلى ما هو أكثر. إن فتحت أمامه ولو فتحة كثقب إبرة، يهجم عليك بقوة أكثر، لأنه يدرك بذلك أن أمانتك ليست كاملة أمام الله، وأن تساهلك في القليل، يشجعه على أن يجد فيك موضعًا، أو نقطة ضعف يستغلها!

📖 إن تساهلت في الحواس، يحاربك بالأفكار.

📖 وإن تساهلت مع الفكر، يحاربك بالشهوة.

📖 وإن تساهلت مع الشهوة، يحاربك بإتمام الفعل.

📖 لذلك لا تتساهل مطلقًا في أي شيء. وإن سقطت في خطوة، أسرع وقم، ولا تتطور إلى غيرها. فالأمانة تقتضي منك أن تلاحظ نفسك، ولا تهمل في نقاوتها، ولا في أمر خلاصها. وإن وجدت الشيطان قد

ألقي في فكرك أي أمر رديء، تذكر بسرعة قول الكتاب: "مُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ" {٢كو١٠: ٥}.

📖 **الإنسان الأمين لأبديته وروحيا ته يراقب نفسه.**

📖 لا ينتظر حتى تسقط سقطة مميتة، إنما إن وجدت شيئًا من الفتور قد زحف إليها، يسرع إلى معالجته، لئلا يتطور الأمر معه. إن يقاوم الخطأ من بادئ الأمر، ولا تمهل حتى يصل إلى خطورة تتعبه. ذلك لأنه إن تراخي، لن يتراخى الشيطان معه.

📖 **إن الإنسان الأمين لا يعتذر بقله إمكانياته.**

📖 إنما هو يحاول إمكانياته باستمرار. وهو لا يعتذر بعدم قدرته، لأن الله قادر أن يمنحه القوة. والله آمين لا يسمح أن يجرب أحد بما هو فوق قدرته. وفي ذلك قال الرسول: "ولكن الله آمين، الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون. بل سيجعل مع التجربة المنفذ، لتستطيعوا أن تحتملوا" {١كو١٠: ١٣}.

📖 **الإنسان الروحي آمين من جهة وقته.**

📖 يستغله فيما يفيده، من كل ناحية، يفيده روحيًا، ويفيده عقليًا، ويفيده من جهة خدمة الآخرين. وهو يرى أن هذا الوقت جزء من حياته، لا يجوز أن يبدده بلا فائدة.

📖 والوقت أيضاً أمانة قد أؤتمن عليها، ينبغي أن ينفقه في الخير، فانظر كم من وقتك يضيع عبثًا. واسأل نفسك: هل أنا آمين من جهة وقتي.

📖 **خذ مثلًا لذلك أمانتك من جهة يوم الرب.**

📖 إنه للرب، ملك له. إن كنت غير آمين في قضاء هذا اليوم بطريقة روحية كيوم الرب، يقال عن مواسم الرب، وأعياده. إنها له، أيام

مقدسة. يقول الرب في سفر اللاويين: "موسم الرب التي تنادون فيها محافل مقدسة. هذه هي مواسمي" {لا٢٣: ٢}.

📖 ويذكر الرب تقديسها كالسبوت تمامًا {لا٢٣: ٨، ٢٥، ٣٢، ٣٩}.

📖 فهل أنت آمين لأيامه، ومواسمه وأعياده؟ وهل تُقَدِّسها؟

📖 الإنسان الأمين، كما هو آمين لملكوت الله داخله، هو أيضاً آمين لملكوت الله في الآخرين، يحبهم كنفسه، ويحرص عليهم كحرصه على نفسه، ويهتم بخلاصهم، ونموهم، وسعادتهم، كاهتمامه بنفسه. فهكذا الوصية {متى٢٢: ٣٩}.

📖 إن الله حينما خلق الشجر، لم يخلقه الشجر، إنما وضع فيه خاصية هامة وهي أنه جعله: "شجرًا ذا ثمر، يعمل ثمرًا كجنسه" {تك١: ١١}.

📖 والبقل أيضاً خلقه: "يبذر بذرًا كجنسه" {تك١: ١٢}.

📖 فهل أنت كهذا الشجر تعمل ثمرًا كجنسك، وتبذر ينبت هو أيضاً؟ هل أنت تنشر ملكوت الله حيثما تحل؟ ما مدي أمانتك لملكوت الله؟ سؤال أقدمه لك ن تجيب عنه فيما بينك وبين نفسك، وأيضًا تجيب عليه أمام أب اعترافك.

📖 هل إن دخلت بيتًا، تدخله كلمة الله معك.

📖 هل إن عشت وسط الناس، أصدقاء، أو معارف، أو زملاء، يكون لك فيهم ثمر روحي، سواء بالكلام، أو بالقدوة، أو بكليهما؟ هل إن زرت أناسًا يقولون في قلوبهم: " اليوم زارنا المسيح "؟ هل بركة الرب تحل بسببك؟

📖 **هل في أمانتك تصير للأرض ونورًا للعالم؟**

📖 أليس هكذا أوصانا الرب في عظته على الجبل {متى ٥: ١٣، ١٤}. فهل نحن أمناء في تنفيذ هذه الوصية؟

📖 إن القديس بطرس الرسول يقول: "نائلين غاية إيمانكم خلاص

النفوس" {١بط١: ٩} والقديس بطرس الرسول يقول: "لكي أخلص على كل حال قومًا" {١كو٩: ٢٢}.

بل يقول: "اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لأَرْبَحَ الأَكْثَرِينَ" {١كو٩: ١٩}.

القديس أغناطيوس الأنطاكي كانوا يلقبونه "ثيئوفورس" أي حامل الله. فهل أنت أيضاً "ثيئوفورس" {حامل الله}؟

تحمله للكل، ويراه الكل في حياتك، وتبني ملكوته في كل علاقاتك.

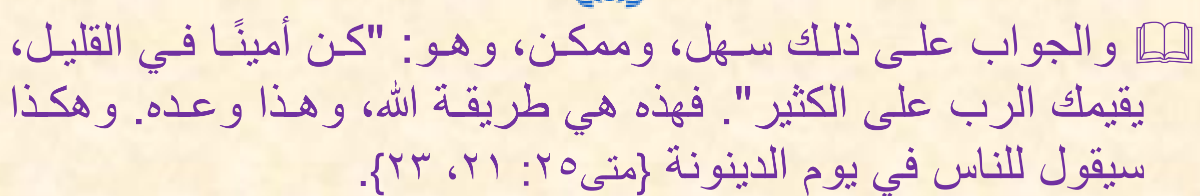
ألا تري معي أن موضوع الأمانة يصلح ككتاب، ويعز علينا أن نختصره في مقال! إذن ننتقل إلى نقطة هامة منه وهي:

الأمانة في القليل.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل الثامن: الأمانة ـ الأمانة في القليل ـ من صفحة ١٣٨ ـ ١٤٤

{٤} الأمانة في القليل:

لعل إنسانًا يقول: الطريق الروحي طريق طويل. كيف أصل إلى نهايته؟! كيف يمكنني أن أصل إلى القداسة، التي بدونها لا يعاين أحد الرب؟ وكيف أصل إلى الكمال المطلوب منى؟



والجواب على ذلك سهل، وممكن، وهو: "كن أمينًا في القليل، يقيمك الرب على الكثير". فهذه هي طريقة الله، وهذا وعده. وهكذا سيقول للناس في يوم الدينونة {متى٢٥: ٢١، ٢٣}.

إذن هذا كل ما عليك. وليس عليك أن تفكر في نهاية المطاف مرة واحدة. بل أعرف تمامًا أن أطول مشوار أوله خطوة.

كن أمينًا في الخطوة الأولي، يقيمك الله على باقي الخطوات.

كن أمينًا في هدفك الروحي، يدبر لك الله الوسيلة.

كن أمينًا من جهة النية، يقيمك الله على العمل.

إن الشيطان قد يصعب لك الطريق ويعقده، ويضع أمامك مخاوف، تصور لك الكثير المطلوب منك، والذي لا تستطيعه، لكي يوقعك في

اليأس. أما الرب فإنه يطلب منك مجرد الأمانة في القليل. أما الكثير فإن الرب هو الذي سوف يقيمك عليه.

🕮 ولذلك جميل أن المزمور الكبير يبدأ بعبارة: "طوباهم الذين بلا عيب في الطريق" {مز١١٩: ١٠}. يكفي أن تكون سائرًا في طريق الرب بلا عيب. هذا هو ما يريده منك. أما الوصول إلى نهاية الطريق، فاتركه هو يدبره. بيده هو: متى؟ وكيف؟

🕮 إنسان يقول: كيف تكون حياتي كلها للرب؟

🕮 هل من المعقول أن يهبني الله تكريس الحياة له؟

🕮 هل يمكن أن تكون كل الحياة في خدمته؟ وكيف؟

🕮 نقول لك: ابدأ بالقليل الذي تستطيعه، بإعطاء وقت الفراغ للرب.

🕮 ابدأ بتقديس يوم الرب للرب، فإن كنت أمينًا في هذا، يمكن أن يقيمك على الأكثر. كن أمينًا في خدمة مدارس الأحد، وفصول التربية الكنسية، حينئذ إن سر الرب بأمانتك، يقيمك على خدمة أكبر. كن أمينًا في كل خدمة تعهد إليك، يقيمك الله على التكريس. هناك قوم يظنون أنهم لا يستطيعون أن يخدموا الكنيسة، إلا إذا تولوا قيادتهم العليا.

🕮 يقول الواحد منهم: لو كنت مطرانًا، أو أسقفًا، لفعلت وفعلت. لو كنت كاهنًا، لأصلحت هذا الحي كله، أو هذه المدينة، أو القرية كلها. بينما قد يكون بعيدًا عن الخدمة، أو خدمته ليست ناجحة. أما أنت فلا تقل هكذا، إنما: كن أمينًا على بيتك، يقيمك الروح على بيت الله.

🕮 افعل القليل الذي تستطيعه، وكن أمينًا في تربية أولادك، حينئذ يقدم لك الله أولاده لتربيهم. ولعله من أجل هذا، ذكر الكتاب في شروط الكاهن أنه: "له أولاد مؤمنون ليسوا في شكاية الخلاعة، ولا متمردين" {تى١: ٦}. وأيضًا: "يدبر بيته حسنًا. له أولاد في الخضوع بكل وقار. وإنما إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته، فكيف يعتني

بكنيسة الله؟!" {١تي٣: ٤، ٥}.

📖 **فالذي لا يمكنه القليل، كيف يمكنه الكثير؟**

📖 الذي لم يستطيع أن يدبر بيتًا واحدًا، كيف يمكن أن يؤتمن على تدبير جميع المؤمنين؟ إن الأمانة تختبر أولًا في القليل. ليس فقط من جهة بيت أو فصل في التربية الكنسية، إنما هناك ما هو قبل هذا أيضاً. هناك الأمانة من جهة حياة الخادم الخاصة وحدها، وكيف يدبرها. لذلك نقول: كن أمينًا من جهة نفسك، يقيمك الله على نفوس الآخرين.

📖 أختبر أمانتك أولًا في تدبير نفسك، هذه التي هي معك كل حين، وتعرف كل أسرارها، وتعرف نقط ضعفها، ويمكنك أن توبخها، ويمكنها أن تعطلك. فإن كنت غير آمين في تدبير نفسك، كيف تؤمن إذن على تدبير غيرك؟! إن لم تقدر على قيادة نفس واحدة هي داخلك، فكيف تقدر نفوس كثيرة؟!

📖 **قال أحد القديسين:** "الذي لا يكون أمينًا على درهم، كاذب هو إن ظن أنه يكون أمينًا على ألف دينار".

📖 المهم هو الأمانة، وليست الدرجة التي تتولاها. القديس أسطفانوس لم يكن واحدًا من الاثني عشر رسولًا، ولا كان أسقفًا في الكنيسة، إنما كان مجرد شماس. ولكنه كان أمينًا لهذه الدرجة، حتى آمن الكثيرون على يديه، وأفحم مجامع الفلاسفة. وصار في قمة قادة الكنيسة وهو شماس.

📖 وبالمثل كان الشماس أثناسيوس القديس، وكان أيضاً الأغنسطس مار إفرام السرياني، والقديس سمعان الخراز. والقديس الأنبا رويس، كان أمينًا بلا رتبة. لم يكن شماسًا، ولا أغنسطسًا، ولا راهبًا، ولا من الإكليروس جملة، ولا من خدام الكنيسة. ولكنه كان أمينًا في حياته الروحية، وفي علاقته مع الله، فصار من قديسي جيله،

وموضع محبة وتقدير البابا البطريرك في جيله.

المسألة إذن هي الأمانة في الحياة، وليست الدرجة.

ما هي إذن أمانتك في مسئوليتك، مهما كانت قليلة؟

إن بطل أية رواية لا يشترط أن يكون ملكًا، أو رئيسًا، أو قائدًا. بل قد يكون الخادم هو البطل في الرواية. والناس يقدرونه ويعجبون به من أجل أمانته في إتقان دوره، بغض النظر عما هو هذا الدور.

إذن كن أمينًا في القليل الذي في يدك. واعرف إن صاحب الوزنتين نال نفس الطوبى، التي نالها صاحب الخمس الوزنات، لأنه كان أمينًا مثله. وكان تطويب الرب مركزًا على الأمانة، وليس على الوزنتين، أو الخمس {متى٢٥: ٢١، ٢٣}.

داود كان أمينًا في رعي الغنم، فأقامه الله على رعاية شعبه.

كان داود أمينًا على القليل، وهو الغنيمات القليلات في البرية {١صم١٧: ٢٨}، ولما هجم أسد ودب على شاة من القطيع، تصدي لهما داود أنقذ الشاة منهما. وإذ رأى الرب أمانته هذه، أقامه على إنقاذ الجيش كله من جليات الجبار. وإذ كان أمينًا في التصدي لجليات، أقامه الله على المملكة كلها.

وهكذا أنت، ادخل في مثل هذه السلسة من الأمانة.

كن أمينًا في بيت فوطيفار، يقيمك الله على قصر فرعون، وأرض مصر. كن أمينًا في الإمكانيات القليلة التي معك، يقيمك الله على إمكانيات أكثر وأكثر. كن أمينًا في تقديم حفنة الدقيق التي معك، وقليل الزيت الذي في الكوز، كما فعلت أرملة صرفة صيدا، يقيمك الله على كوار الدقيق الذي لا يفرغ، وعلى الزيت الذي لا ينقص، طول فترة المجاعة {١مل١٧: ١٢، ١٦}.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل الثامن: الأمانة ـ الأمانة في القليل ـ من صفحة ١٤٤ ـ ١٤٨



{٥} الإرادة والفكر:

📖 لعلك تقف يائسًا أمام أخطاء مسيطرة عليك، كأنها عادة متمكنة، أو طبع ثابت، وأنت تصرخ مع الرسول: "أما أن أفعل الحسنى، فلست أجد. لأني لست أفعل الصالح الذي أريده، بل الشر الذي أريده، إياه أفعل" {رو٧: ١٨، ١٩}. فماذا أقول لك؟

📖 كن أمينًا فيما هو في مقدور إرادتك، يقيمك الله على ما هو فوق إرادتك. كن أمينًا في مقاومة الخطايا الإرادية، يقيمك الله على مقاومة الخطايا غير الإرادية.

📖 تقول وماذا أفعل من جهة الأحلام الخاطئة، التي تأتيني وأنا نائم، لا أملك ردها عنى، وهي أشياء مترسبة، وراسخة في عقلي الباطن؟ أقول لك: كن أمينًا في ضبط عقلك الواعي، يقيمك الله على ضبط العقل الباطن. كن أمينًا في مقاومة أخطاء الصحو، يقيمك الله على مقاومة أخطاء النوم. كن أمينًا في حراسة فكرك أثناء النهار، يقيمك الله على نقاوة الفكر في الليل. فإن حرصت على نقاوة فكرك وأنت نائم، لتكن لك أفكارًا مقدسة بالنهار، حينئذ تصحبك قدسيتها بالليل.

📖 وإن كنت أمينًا في محاربات الحواس، ينصرك الله في حروب الفكر. ذلك لأن الحواس هي أبواب الفكر ومسبباته. فإن كنت أمينًا في الابتعاد عن مسببات الفكر الخاطئ، سيحرسك الله من الأفكار الخاطئة. وإن كنت أمينًا في محاربة الأفكار، يقيمك الله على نقاوة القلب، وهي أفضل، وإن كنت أمينًا في محاربة الأفكار، يقيمك الله على نقاوة القلب، وهي أفضل. وإن كنت أمينًا في الحفاظ على هذه النقاوة، يقيمك في اليوم الأخير على إكليل البر {٢تي ٤: ٨}، في العالم الآخر، حيث لا تعرف خطية.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل الثامن: الأمانة ـ الأمانة في القليل ـ من صفحة ١٤٨ ـ ١٤٩

📖 {٥} الأمانة في المحبة:

📖 تقول: أريد أن أصل إلى المحبة الكاملة، فأحب الله من كل قلبي

ومن كل فكري {تث٦: ٥} وأحب الناس كلهم حتى أعدائي. وأحب الخير. فهل من الممكن أن أصل إلى هذه الفضيلة، التي تبدو صعبة؟ أقول لك: أبدأ بالقليل، تصل إلى الكثير.

🕮 إن كنت أمينًا في حفظ فضيلة مخافة الله، حينئذ يقيمك الله على فضيلة المحبة. وذلك لأن: "بدء الحكمة مخافة الرب" {أم٩: ١٠}. فإن كنت أمينًا في مخافة الله، وبذلك تحفظ وصاياه، يقيمك الله بعدئذ على "المحبة التي تطرح الخوف خارج" {١يو٤: ١٨}. لأن الأمانة في درجة توصل إلى درجة أخرى أعلى منها.

🕮 تقول: وكيف أحفظ الوصايا، وأنا أحب العالم؟! وهناك وصايا، قلبي يحب ما هو ضدها!! أقول لك: ابدأ بتغصب نفسك على عمل الخير. وإن كنت أمينًا في التغصب، ستصل حتمًا إلى محبة الخير.

🕮 لأن المحبة، محبة الله، ومحبة الخير، قد لا تكون نقطة البدء، وإنما نتيجة لعمل روحي طويل. فأغصب نفسك على عمل الخير. وإذ تمارسه، ستجد فيه لذة، وحينئذ تحبه وتعمله حبًا بدون تغصب. وهكذا يكون الله قد أقامك على الكثير.

🕮 كذلك إن كنت أمينًا في محبة أخيك الذي تراه، ستصل إلى محبة الله الذي لا تراه {١ يو ٤: ٢٠}. ابدأ إذن بهذا القليل، وهو محبة الناس، تصل إلى الكثير الذي هو محبة الله.

🕮 ولكن لعلك تقول: كيف أصل إلى محبة الناس، وفيهم أعداء ومقاومون؟! كيف يمكنني أن أصل إلى محبة الأعداء؟ أنك تصل بنفس القاعدة: وهي كن أمينًا في القليل.

🕮 كن أمينًا في محبة أقربائك، تصل إلى محبة معارفك.

🕮 لأن القلب الذي تعوده على المحبة، سيأتي وقت تنزع منه الكراهية تمامًا. فتصبح العداوة من جانب واحد فقط. هي في أعدائك وحدهم، وليست فيك.

{٦} الأمانة في فضائل الجسد، للسمو بالروح:

الذي هو آمين للفضيلة التي تمارس بالجسد، يرتقي إلى فضيلة الروح. فالأمين في صوم الجسد عن الطعام، يقيمه الله على صوم الروح عن الخطيئة.

فيصوم لسانه عن الكلام الباطل، ويصوم ذهنه عن الفكر الشرير، ويصوم قلبه عن الشهوات الخاطئة. أما الذي لا يكون أمينًا في صوم الجسد عن الأكل، وهذا شيء قليل لا يحتاج إلى مجهود، كيف إذن يمكنه أن يصل إلى صوم الروح؟!

كذلك قال أحد الآباء: "بسكون الجسد نقتنى سكون النفس".

سكون النفس شيء كبير لا نصل إليه، إلا إذا كنا أمناء في سكون الجسد. أي عدم انشغاله بالجولان من موضع إلى موضع، مع ضبط الحواس من الطياشة، فيما لا يفيدها، سمعًا، ونظرًا، ولمسًا، وشمًا.

كذلك بخشوع الجسد نقتني خشوع الروح.

وبالأمانة في اتضاع الجسد، نقتني اتضاع النفس.

لا شك أن الذي يكون خاشعًا بجسده أثناء الصلاة، واقفًا باحترام، رافعًا نظره إلى فوق، حافظًا لحواسه وحركاته، يركع وقت الركوع، ويسجد وقت السجود. إن فعل هذا بكل أمانة، ينعم الله عليه السجود الروح والحق. والذي يقول كلمة أجيوس {قدوس} وهو ينحني بكل إيمان، لا شَك أن هذا الانحناء يولد الخشوع في قلبه.

وبهذا نستفيد من خلع الحذاء، حينما ندخل إلى الهيكل، ونسجد أمامه. إنها أعمال جسدية، ولكنها إذا عملت بأمانة وإيمان، تنقل خشوع الجسد إلى الروح، فتخشع هي أيضاً. وذلك لارتباط الجسد والروح معًا.



📖 **وهكذا إذا كنا أمناء في هيكلنا الجسدي، يتحول إلى هيكل لله.**

📖 وإذا كنا أمناء في هذا الجسد المادي، يقيمنا الله على الجسد النوراني الروحاني في يوم القيامة {١كو١٥: ٤٤}.

📖 وإن كنا أمناء في الأمور المادية عمومًا، يقيمنا الله على الأمور الروحية. ولنأخذ الصلاة كمثال.

كتاب معالم الطريق الروحي - الفصل الثامن: الأمانة - الأمانة في القليل - من صفحة ١٥٠ - ١٥١

📖 {٧} الأمانة في الصلاة:

📖 لعل إنسانًا يقول لأي أحد أن: "يصلى كل حين ولا يمل" {لو١٨: ١} وكيف يمكن تنفيذ الوصية القائلة: "صلوا بلا انقطاع" {١تس٥: ١٧}؟! أليس هذا كثيرًا علينا جدًا؟! نعم إنه كثير، إن اعتبرته نقطة البدء. لكن ابدأ بالقليل يقيمك الله على الكثير.

📖 كن أمينًا في تعود الصلاة، يقيمك الله على طول الصلاة.

📖 إن كنت أمينًا في صلاة "أبانا الذي"، وقلتها في عمق، وأنت تعني كل عبارة فيها، لا شك أنها ستفتح لك أبوابًا من التأملات، وتقودك إلى صلوات أخري كثيرة. وإن كنت أمينًا في الصلوات المحفوظة، يقيمك الله على صلاة القلب.

📖 وتبقي أمامنا مشكلة الوقت، يثيرها البعض. نقول فيها: إن كان الإنسان أمينًا على الصلاة في الوقت المتاح له، سيتيح له الله أوقاتًا أخري كثيرة يصلي فيها. إنما المشكلة هي أنه أمامنا وقت طويل يمكننا الصلاة فيه، ولكننا نضيعه عبثًا، ولا نكون أمناء من حيث رغبتنا في الصلاة.

📖 يثير البعض سؤالًا أخر عن درجات الصلاة، وحالات الدهش والثيئوريا، والصلاة بدموع، وكيفية الوصول إلى كل هذا؟

📖 نجيب بنفس المبدأ: الأمين في القليل يقيمه الله على الكثير.

📖 كن أمينًا من جهة الصلاة بفهم وحرارة، يقيمك الله

على الصلاة بدموع. كن أمينًا في المداومة على الصلاة، وبحب لله، يقيمك الله على باقي الدرجات. تأتى وحدها، دون أن تشتهيها كدرجة. لأن موضوع الدرجات، قد تدخل فيه الذات. الحياة الروحية هي سلم روحاني، لا تستطيع أن تصل إلى أعلى درجات، إلا إذا اجتزت كل درجة سابقة بسلام.

كتاب معالم الطريق الروحي - الفصل الثامن: الأمانة - الأمانة في القليل - من صفحة ١٥٢

📖 {٧} أمثلة على الأمانة:

📖 كن أمينًا على الذي في يدك، يقيمك الله على الذي في يده هو.

📖 كن أمينًا في استخدام إمكانياتك الحاضرة، يقيمك الله على الإمكانيات التي ليست لك. إن أتقنت المشي مع المشاة دون أن تتعب، يقيمك الله على مباراة الخيل {أر١٢: ٥}.

📖 إن كنت أمينًا في محاربة الخطايا الظاهرة، يقيمك وينصرك على الخطايا الخفية والشهوات. إن كنت أمينًا لله في فترة الطفولة والفتوة، يجعلك الله أمينًا في محاربات الشباب. إن كنت أمينًا في قبول ليئة، يقيمك الله على الزواج براحيل {تك ٢٩: ٢٧}.

📖 وإن كنت أمينًا في غربة برية سيناء، يقيمك الله على أرض الموعد في كنعان. إن كنت أمينًا في هذا العمر القصير المحدود، يقيمك على الأبدية غير المحدودة.

📖 المهم أن تكون أمينًا في كل ما تمتد إليه يدك، مهما كان صغيرًا وقليلًا. لذلك كن أمينًا في الوزنة الواحدة التي معك، يقيمك على الخمس وزنات. وكن أمينًا في الأمور التي ترى، يقيمك على التي ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على بال إنسان {١كو٢: ٩}.

📖 **كن أمينًا على ثمار الروح، يقيمك على مواهب الروح.**

📖 لا تسرع في طلب المواهب {١كو١٢}، دون أن تقتني الثمار أولًا

{غل٥: ٢٢، ٢٣} فثمار الروح في معالم الطريق الروحي، لا بُد أن تسبق المواهب. لو كان أبونا آدم أمينًا في القليل {مجرد أنه لا يأكل من إحدى الأشجار}، ما كان قد حدث له كل ما حدث. ولأمكنه لو نجح في الاختبار، أن يأكل من شجرة الحياة.

من قوانين الرهبنة، أن الذي يكون أمينًا في فترة المجمع، وفي اقتناء فضائلها، يمكنه أن يدخل في حياة الوحدة إن أراد.

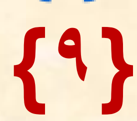
قال أحد الرهبان للأب الروحي في الدير: "اسمح لي أن أسكن في الوحدة، لأني لا أطيق مضايقات الإخوة". فأجابه الأب المختبر: "إن كنت لا تحتمل مضايقات الإخوة في المجمع، فكيف تحتمل حروب الشياطين في الوحدة؟!"

اللص اليمين كان أمينًا خلال ساعات خمس قضاها على الصليب، فأقامه الله على الدخول معه إلى الفردوس.

أحد الآباء طلب من ابنه أن ينظف الحقل من الشوك. فلما ذهب ووجد الحقل مملوءًا شوكًا، يئس ونام دون أن يفعل شيئًا. فلما علم أبوه بما حدث، قال له: "يا ابني. نظف كل يوم على قدر مفرشك فقط. وسيأتيك الوقت الذي يصبح فيه كل الحقل نظيفا من الشوك".

القديس الأنبا إبرام أسقف الفيوم، كان أمينًا في فضيلة الرحمة، يعطي كل من يسأله، ولا يستبقى شيئًا من ماله له، بل الكل للمحتاجين. فلما رآه الله أمينًا هكذا، ائتمنه على عمل رحمة أكبر وأعظم، إذ منحه شفاء المرضى. وهكذا كان الأنبا إبرام في أمينًا في القليل.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل الثامن: الأمانة ـ الأمانة في القليل ـ من صفحة ١٥٣ ـ ١٥٤



الجدية ـ التدقيق

🕮 {١} أهمية الجدية:

🕮 الشيطان يحارب الجدية بأسباب كثيرة.

🕮 الجدية هي من أهم معالم الطريق الروحي. وبدونها لا يمكن للإنسان أن يصل إلى هدفه. ولو أننا سألنا: "كيف وصل القديسون إلى تلك القامات العالية في حياة الروح؟"

🕮 لكانت الإجابة: ذلك لأنهم سلكوا في الطريق الروحي بجدية كاملة.

🕮 كان لهم خط واضح، رسموه لحياتهم، وساروا فيه بقلب ثابت، لا يتزعزع. ولم ينحرفوا عنه يمنه، ولا يسره. وكانت لهم مبادئ ثابتة لا يحيدون عنها. ولم يسمحوا مطلقًا للظروف أن تعوقهم. وهكذا وصل القديسون بسرعة.

🕮 القديس الأنبا ميصائيل السائح: سلك في الرهبنة بجدية من أول يوم. وأمكن أن يصير من السواح، وهو في حوالي السابعة عشرة من عمره. وكان أبوه الروحي الأنبا إسحق يلاحظ الصرامة الشديدة التي يعامل بها نفسه.

🕮 والقديسان مكسيموس ودماديوس: وصلا إلى درجة عالية في الروحانية، بينما كانت لحية أحدهما لم تنبت بعد. ولكن صلاتهما كانت كشعاع من نور، واصل إلى السماء، ذلك لأنهما سلكا في الطريق الروحي بجدية.

🕮 والقديس تادرس تلميذ الأنبا باخوميوس وكذلك القديس يؤانس القصير، صار كل منهما مرشدًا روحيًا لجيله في الرهبنة، وهو بعد شاب صغير.

🕮 بل ما الذي أوصل القديس الأنبا أنطونيوس إلى الرهبنة إلا الجدية!

🕮 سمع الآية تقول: "إن أردت أن تكون كاملًا، اذهب بع كل مالك،

أعطه للفقراء، وتعال اتبعني" وسمع هذه الآية معه كل الشعب في الكنيسة. ولكنه كان الوحيد الذي قام في جدية كاملة ونفذها عمليًا.

📖 كذلك سمع عبارة لو كانت راهبًا لدخلت إلى الجبل في البرية، لأن هذا المكان لا يصلح لسكني الرهبان، فقال: "هذا صوت الله إلى" وقام في جدية، ودخل إلى أعماق الرهبنة. وهكذا أسس حياة الرهبنة بجدية.

📖 **من منا له مثل هذه الجدية، في تنفيذ الوصية، بدقة وسرعة؟**

📖 هذه بعض أمثلة في حياة الرهبان. أما في مجال الخدمة، فيمكن أن نذكر كمثال: القديس يوحنا المعمدان، الذي كانت كل مدة خدمته حوالي السنة، وفي هذه السنة كرز بالتوبة، وأعد للرب شعبًا مستعدًا. وكان جادًا في خدمته، حتى قال عنه الرب: "لم يقم من بين المولودين من النساء، من هو أعظم من يوحنا المعمدان" {متى١١: ١١}. كذلك نذكر الجدية التي سلك بها القديس بولس الرسول في خدمته، حتى أنه تعب أكثر من جميع الرسل، الذين كانوا قبله {١كو١٥: ١٠}.

📖 **إن الجدية في الحياة دليل على الرجولة، وقوة الشخصية.**

📖 الإنسان الجاد في روحياته، هو إنسان يحترم نفسه، ويحترم مبادئه، ويحترم الكلمة التي تخرج من فمه، ويحترم الطريق الروحي الذي يسلكه. لذلك يتميز بالثبات، وعدم الزعزعة، هو كسفينة ضخمة تشق طريقها في بحر الحياة بقوة، متجهة نحو غايتها، وليس كقارب تعصف به الأمواج في أي اتجاه.

📖 عجيب أن كثيرين يسلكون في أعمالهم المادية، والعالمية بجدية، وأما في روحياتهم، فلا جدية على الإطلاق. هم جادون في أعمالهم من أجل المكسب، أو الترقية، أو من أجل ثباتهم في عملهم، أو خوف الجزاء، أو العقوبة، أما في روحياتهم فلا حافز داخلي يدفعهم إلى

الجدية، ربما لأن مخافة الله ليست في قلوبهم، أو لأن الأبدية ليست أمام أعينهم. لذلك لا يلتزمون بخط روحي واضح يسيرون فيه.
كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل التاسع ـ أهمية الجدية ـ من صفحة ١٥٦ ـ ١٥٩

🕮 {٢} صفات الإنسان الجاد:

🕮 الإنسان غير الجاد في روحياته، يتأرجح بين الصعود والهبوط. ومسيرته غير ثابتة: يسقط ويقوم. وفي حين يكون حارًا في الروح. وفي أحيان أخري يكون فاترًا، أو بعيدًا بالكلية عن الحياة الروحية.

🕮 أحيانًا يصلي، وأحيانًا ينسي صلواته. قد يقرأ الكتاب أولًا يقرأ. إن وجد وقتًا، يجلس مع الله، وإن لم يجد، فإنه لا يهتم كثيرًا، ويقابل الأمر بلا مبالاة. حياته وعبادته تتصف بالتراخي.

🕮 بينما يقول الكتاب: "ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة" {أر٤٨: ١٠}. الجدية في الحياة الروحية لا تقبل الإهمال، والتراخي، والتردد، والرجوع أحيانًا إلى الوراء. ولا تقبل التأرجح بين الفرقتين: محبة العالم، ومحبة الله.

🕮 **الإنسان الجاد لا يتساهل في حقوق الله مطلقًا.**

🕮 إنه يأخذ حق الله من نفسه أولًا، قبل أن يأخذه من الآخرين. هو يسلك في وصية الله بكل حزم، وبكل دقة، وبكل عمق. وطاعته لله تكون بغير مناقشة، وبغير مساومة.

🕮 أبونا إبراهيم يسلك في الطاعة بكل جدية، حينما أخذ أبنه الوحيد لكي يقدمه محرقة، حسب أمر الرب. إنه لم يجادل الله، ولم يعترض على أمره، إنما أطاع دون أن يتغير قلبه من جهة الرب. هذه هي الجدية في الطاعة.

🕮 وبالمثل كان يوسف الصديق جادًا في طاعته للوصية وفي حفظه لعفته، ولو أدي به الأمر إلى السجن.

🕮 وكان دانيال جادًا في عبادته للرب، ولو ألقوه في جب الأسود.

🕮 **الإنسان الجاد له قلب قوى، لا يضعف أمام الظروف الخارجية.**

🕮 يوحنا المعمدان كان جادًا في حفظ وصية الرب. حينما قال لهيرودس الملك: "لا يحل لك أن تكون لك امرأة أخيك" {مر٦: ١٨}. ولقد فعل يوحنا هذا، ولم يبال أن يلقي في السجن، أو تقطع رأسه.

🕮 أين هذا من الذين يضغطون على الكنيسة في أن يتزوجوا خلال الصوم، دون أن يأخذوا وصية الله بجدية.

🕮 **الإنسان الجاد لا يعذر نفسه، ولا يقدم تبريرات لخطيئته.**

🕮 الرجل هو رجل، مهما كانت الظروف الخارجية، يوسف العفيف كانت تضغط عليه الظروف. لكنه لم يخضع لها، ولم يتساهل مع الخطية بحجة أنه عبد، وتحت سلطان غيره، وبإمكان سيدته أن تؤذيه.

🕮 ودانيال لم يسمح لنفسه أن يأكل من أطياب الملك، مع أنه كان أسير حرب، وخاضعًا لنظام، لقد كان جادًا في المبادئ التي يؤمن بها، مهما كانت الظروف المحيطة.

🕮 **الإنسان الروحي يكون جادًا أيضاً في توبته.**

🕮 فإن ترك الخطية، يتركها بجدية، ولا يعود إليها مرة أخري.

🕮 يكون جادًا في مقاومة الخطية. ولا يكون كالعبرانيين الذين وبخهم الرسول قائلًا: "لم تقاوموا بعد حتى الدم، مجاهدين ضد الخطية" {عب١٢: ٤} ما أعمق جدية هذه العبارة. حتى الدم.

🕮 **والجاد في التوبة، لا يؤجلها:**

🕮 مثلما فعل فليكس الوالي {أع٢٤: ٢٥} وأغريباس الملك {أع٢٦: ٢٨}. بل يكون كالابن الضال، الذي قام لوقته وذهب إلى أبيه، وقدم

توبة في انسحاق قلب.

🕮 وجدية التوبة تظهر في قول ذلك الأب الروحي: "لا أتذكر أن الشياطين قد أطغوني مرتين في خطية واحدة". لأنه مادام قد عرفها، فلا يمكن أن يعود إليها مرة أخري. أما الذي يعترف، ويتناول، ويكرر نفس الخطايا، ويكرر نفس الاعتراف، فلا شك أنه غير جاد في توبته.

🕮 في قصص التوبة المشهورة في سير القديسين، مثل توبة مريم القبطية، وبلاجية، وأوغسطينوس، وموسى الأسود. نلاحظ ملاحظة هامة. إن التوبة كانت نقطة تحول في الحياة، بلا عودة إلى الخطية.

🕮 كانت توبة جادة، انتقلت من الخطية إلى النقاوة، وارتقت منها إلى القداسة، ثم سمت إلى الكمال. وتحول أولئك الخطاة إلى قديسين. وصاروا أمثلة في حياة البر، وبركة لغيرهم، وصاروا أيضاً مرشدين روحيين. كانوا جادين في جحد الشيطان. وكل أعماله الرديئة. وكانوا جادين في علاقة الصلح مع الله، وفي شهوتهم للحياة الفاضلة.

🕮 أما الذين يخطئون كل يوم، ويعتمدون على قول المزمور: "لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا بحسب آثامنا" {مز١٠٣: ١٠} فهؤلاء ليسوا تائبين بالحقيقة. ورحمة الله إنما تكون للجادين في توبتهم.

🕮 **الإنسان الجاد في طريقه الروحي، من صفاته أنه ينمو باستمرار.**

🕮 الجدية تمنحه حرارة روحية. والحرارة تدفعه كل حين إلى قدام.

🕮 إنه يجاهد من أجل النقاوة والكمال، إلى أبعد الحدود. بكل مثابرة واجتهاد، يعطي الله كل قوته، وكل إمكانياته. وكل أرادته وكل قلبه. ويعمل بكل النعمة المعطاة له. ولا يقصر في شيء، إنما يبذل كل طاقاته. وفي كل يوم التصاقا بالله، وقربًا منه. ويزداد عمقًا في المحبة الإلهية، ويزداد فهمًا للفضيلة. وممارسة لها.

📖 إنه لا يدلل نفسه، ولا يحابيها، ولا يعذرها في أي تقصير. وإن توانت يغضبها على عمل الله. حتى تتعود، وتؤديه في حب.

📖 **والجاد لا يهتم بهواه الخاص، بل يضحي بأية متعه من أجل الرب.**

📖 وهكذا الذين تدربوا على الجدية، كانوا يتعبون باستمرار لأجل الرب. يضحون دائمًا براحتهم من أجل روحياتهم، مثل القديس بولا الطموهي، الذي كان يجاهد بتعب شديد في نسكياته، وفي إخضاع جسده لروحه، حتى قال له الرب: "كفاك تعبًا يا حبيبي بولا"..

📖 ومثل داود النبي الذي قال: "لا أدخل إلى مسكن بيتي، ولا أصعد على سرير فراشي، ولا أعطي نومًا، ولا لأجفاني نعاسًا. إلى أن أجد موضعًا للرب ومسكنًا لإله يعقوب" {مز ١٣١}.

📖 هذه هي الجدية في الحياة الروحية.

📖 **والإنسان الجاد، إذا وجد صعابًا لا يعتذر بها، بل ينتصر عليها.**

📖 إنه لا يستسلم لعقبة، بل يكافح ويصلي، ساعيًا إلى المثاليات، واضعًا أمامه قول الرسول: "اركضوا لكي تنالوا" {١كو٩: ٢٤}.

📖 وبهذا يكون باستمرار "حارًا في الروح" {رو١٢: ١١}.

📖 ومادامت المثاليات أمامه، لا يرضى بأنصاف الحلول، ولا باجتياز مرحلة من الطريق، بل يكمل بكل نشاط، متجهًا نحو الكمال. لذلك فهو في صعود مستمر نحو الله. وطبيعة أن الذي يتقدم باستمرار، فهذا لا خوف عليه من النكسات، والرجوع إلى الوراء.

📖 إنه يأخذ كل شيء بجدية. إنه جاد في حياة التوبة، وعدم التساهل مع الأفكار، وهو جاد في خط سيره الروحي، وفي كل ممارسات الفضيلة. وهو جاد في تداريبه الروحية، لا يكسرها مهما كانت الأسباب، وهو جاد في كل كلمة تخرج من فمه.

📖 **وهو جاد أيضاً في كل نذوره، وتعهداته أمام الله.**

📖 لا ينذر نذرًا ثم يعاود التفكير فيه. أو المساومة. ولا يؤجل الوفاء بنذره، ولا يحاول استبداله بغيره، ولا يماطل، ولا يرجع في كلمته. إنما بكل جدية، وبكل سرعة ودقة ينفذ. جاعلًا أمامه قول الكتاب: "خير لك أن لا تنذر، من أن تنذر ولا تفي" {جا٥: ٥} ومثال يفتاح الجلعادي واضح في جدية النذر {قض١١: ٣٠-٢٥}.

📖 والجاد جاد أيضاً في عبادته. لا يكتفي فيها بالشكليات.

📖 إنما هو يهتم بجوهر الروحيات وعمقها، لذلك فهو عميق في عبادته، بكل إيمان، وكل تواضع، وخشوع قلب، يصلي بفهم، وحرارة، وتركيز، بمحبة قلبية لله، لا يسمح لفكره أن يسرح هنا أو هناك، ولا يسمح لحواسه بالتجول، إنما يسكب نفسه سكيبًا في صلواته وتأملاته، وميطانياته، وصومه. ولا يكون جسده داخل الكنيسة، وعقله خارجها، وكل ما يرشده الرب إليه، يسعى جاهدًا لتنفيذه. ويكون جادًا أيضاً في خدمته.

📖 والجدية تقود دائمًا إلى النجاح وإلى الإتقان. كل مسئولية تعهد إليه يؤديها بنجاح، وعلى أكمل صورة، سواء في حياته الكنسية، أو في وظيفة العلمانية، أو أي مشروع يقوم به.

📖 ولكن الشيطان يحارب الجدية بكل وسيلة، وربما بإقناعات كتابية.

📖 قد يسميها أحيانًا حرفية، أو خضوعًا للناموس بدلًا من النعمة.

📖 ولكننا نقول إن النعمة لا تشجع على الكسل، أو التراخي، أو التسيب. أو قد يقول الشيطان إن الجدية ضد المرونة. فنقول:

📖 إن المرونة ليست مجالًا للتراخي، أو للتحلل من الدقة، والالتزام. أو قد يقول الشيطان إن هذه ضد: "حرية مجد أولاد الله" {رو ٨: ٢١}، فنقول إنه لا توجد حرية تتعارض مع الوصية. والحرية الحقيقية هي التحرر من الخطية.

📖 أخيرًا نقول: إن الجدية ترتبط أيضاً بالأمانة، والدقة، والالتزام.

📖 وهذا ما أود أن أحدثكم عنه إن شاء الله.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل التاسع ـ أهمية الجدية ـ من صفحة ١٥٨ ـ ١٦٢

📖 {٢} حياة التدقيق:

📖 لكي نفهم التدقيق في عمقه، نفترض الآتي:

📖 تصور أن ملاكًا أعلن لإنسان أن حياته على الأرض ستنتهي بعد أسبوع، فلا شك إن هذا الإنسان سيسلك في خلال هذا الأسبوع بكل تدقيق ممكن، استعدادًا لأبديته.

📖 وعلى هذا المقياس نود أن نحكم على حياة التدقيق.

📖 {٢} أهمية التدقيق:

📖 إن التدقيق هو من أهم معالم الطريق الروحي. والإنسان الروحاني يدقق في كل شيء. يدقق في كل علاقاته مع الله، ومع الناس، ومع نفسه. يكون مدققًا في كل تصرف، وفي كل كلمة وكل فكر. ويكون مدققًا من جهة حواسه، ومشاعره، واتجاهاته. ومن جهة مواعيده، ووقته، والنظام الذي يسير عليه.

📖 والإنسان المدقق، لا يكون مدققًا فقط وهو مع الناس. وإنما حتى حينما يكون وحده في حجرته الخاصة. إن التدقيق في التصرف قد يكون سهلًا نوعًا في حضرة الناس. لأننا بطبيعتنا لا نحب أن ينتقدنا الناس، أو نخشى أن نكتشف أمام الناس، وتظهر أمامهم عيوبنا وأخطاؤنا. ولذلك فإن المقياس الحقيقي لتدقيقنا، يظهر حينما نكون وحدنا لا يبصرنا أحد. فإن كنا مدققين فيما بيننا وبين أنفسنا، يكون هذا تدقيقًا حقيقيًا، وليس ريائيًا.

📖 الإنسان الروحي يصبح التدقيق جزاءًا تلقائيًا من طبعه، وليس مجرد محاولة، أو تدريب. إنه إنسان تعود أن يكون مدققًا في كل



شيء، بدوافع داخلية فيه، تمثل بعضًا من مبادئه وقيمه.

📖 وحتى إن كان الناس لا يرونه، فإنه يجب أن يكون بلا لوم أمام الله الذي يراه، وأمام الملائكة الذين يرونه، وكذلك من أرواح القديسين.

📖 فهل أنت في داخلك نفسك تكون مدققًا بغض النظر عن أحكام الناس؟ هنا ونسأل، ما هو التدقيق؟

📖 التدقيق هو حرص من أقل خطأ، هو تصرف سليم متزن في احتراس، وفي سعي نحو أكمل وضع ممكن، بغير تسيب، ولا تراخ، ولا إهمال، وفي بعد عن الضمير الواسع، الذي يبرر كثيرًا من الأخطاء. والتدقيق خطوة نحو الكمال، فالذي يدقق محترسًا من الوقوع في الصغائر، من الصعب أن يقع في الكبائر.

📖 الذي يحترس بكل قوته لكيلا يقع في الخطية بالفكر، ليس من السهل أن يقع في الخطية بالعمل.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل التاسع ـ أهمية الجدية ـ من صفحة ١٦٣ ـ ١٦٤

📖 {٣} التدقيق والوسوسة:

📖 ولكن فليحرص كل إنسان أن يفرق بين التدقيق والوسوسة.

📖 الوسوسة هي الضمير الذي يظن الخطأ حيث لا يوجد خطأ.

📖 أو الذي يكبر من قمة الأخطاء فوق حقيقتها.

📖 أو الذي تحاربه عقدة الإثم، بدون سبب معقول. أو الذي يخرجه حب التدقيق، إلى التطرف البعيد عن الحق، فيؤثم تصرفات سليمة.

📖 والوسوسة لون من الحرفية والفريسة، وهي سطحية بلا فهم.

📖 ومثالها ما كان يراه الكتبة والفريسيون، دقة في تقديس يوم السبت، وهي لم تكن دقة، وإنما حرفية بلا روح، وبلا عمق، وبلا فهم سليم للوصية.

📖 **ونحن نرفض أن نسمي هذا الوضع تدقيقًا.**

📖 إنما التدقيق هو التصرف الروحي السليم، الذي هو في وضع وسط بين التسيب، والوسوسة. إنه يذكرنا بميزان الصيدلي كل مادة في تركيب الدواء، يكون وزنها دقيقًا جدًا. إن زاد قد يضر، وإن نقص قد يضر. وهكذا تكون حياة التدقيق روحيًا.

📖 الإنسان المدقق يراقب نفسه ويحاسبها، ولا يتساهل معها في شيء. له مبادئ وقيم يدقق في حفظها، ولا يسمح لنفسه أن يهبط مطلقًا عن مستوي هذه القيم والمبادئ، التي تمثل علامات واضحة في طريقة الروحي.

كتاب معالم الطريق الروحي - الفصل التاسع - أهمية الجدية - من صفحة ١٦٤ - ١٦٥

📖 {٤} مجالات التدقيق:

📖 الإنسان المدقق حريص على وقته، يري أن الوقت هو جزء من حياته، فهو يحرص على هذا الوقت، واستخدامه له. ولا يضيع دقيقة واحدة منه، فيما يندم عليه، أو فيما لا يستفيد منه. وهو يوزع هذا الوقت توزيعًا عادلًا على كافة مسئولياته.

📖 وفيما هو يحرص على وقته، يحرص بالتالي على دقة مواعيده، وعلى نظام حياته فلا تضيع أوقاته عبثًا.

📖 وكما يكون مدققًا من جهة وقته، يكون أيضاً مدققًا من جهة وقت غيره. نقول هذا لأنه قد يوجد إنسان وقته رخيص عنده، فيظن أن وقت الآخرين رخيص أيضاً عندهم. فيزور غيره، أو يكلمه، أو يشغله مضيعًا وقته، بينما هذا الغير لا يعرف في خجل كيف يهرب منه؟! أما الإنسان المدقق فهو يحترم حياته، ووقته، ويحترم حياة الآخرين، ووقتهم. ولا يسمح أن يضيع وقته في التوافه، أو أن يعطى حديثًا، أو مشغولية، أو زيارة فوق ما تستحق من وقت.

📖 ويحرص أن يعطي روحياته وقتها، يكون دقيقًا في الوقت الذي

تسمح به حياته للصلاة، والتأمل، والقراءات، الروحية، والوقت الخاص بالكنيسة، والخدمة، والاجتماعات. ويكون دقيقًا أيضاً في حفظ يوم الرب، وكل ما يتعلق بحياته الروحية، فلا تضيع في زحمة المشغوليات. وهو دقيق من جهة صلواته.

📖 يحرص أن تكون صلاة بكل ما تحمل كلمة صلاة من معنى، بكل ما يجب لها من فهم، ومن حرارة وخشوع، ومن عمق وإيمان وحب واتضاع. لا يسرع فيها السرعة التي تفقدها عمقها، ولا يترك عقله في طياشة وعدم تركيز.

📖 ولا يهمل قانونه، ومزاميره وساعاته، إنه إنسان يعبد الله في تدقيق، كذلك إذا رشم علامة الصليب، إنما يفعل ذلك بكل دقة، بكل ما تحمل علامة الصليب. من معان عقائدية وروحية، وبكل ما فيها من احترام، ومن تأثر روحي، ومن ثقة في فاعليتها. ولا تكون عنده علامة الصليب مجرد حركة سريعة، بلا خشوع، ولا فهم، كما يفعل البعض.

📖 وفي دخوله إلى الكنيسة دقيقًا، وفي حركاته، فلا يتلفت هنا وهناك، ولا يتحدث داخل الكنيسة مع هذا، أو ذاك، ولا ينشغل بغير العبادة، ولا يسرع في مشيته إسراعًا يتنافى مع الخشوع، وهيبة المكان.

📖 إنما يدخل إلى الكنيسة في هدوء، وهو يرتل قول المزمور: "أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك، واسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك".

📖 ويسجد، ويقف في مكانه بكل مهابة، مدققًا في كل ما يفعله بسلوك روحي، وبحفظ دقيق لعقله، وحواسه، وقلبه، بحيث حينما يقول الكاهن: "أين هي عقولكم؟"

📖 فيجيب: "هي عند الرب" فيكون صادقًا تمامًا.

📖 والإنسان الروحي يكون مدققًا أيضاً في أفكاره، لا يتباطأ مطلقًا في

طرد أي فكر خاطئ، بل يحرص أيضاً أن يبعد عن الأفكار الزائلة الباطلة، التي لا منفعة فيها، ويحاول بقدر إمكانه أن يجعل فكره نقيًا بالله، بعيدًا عن الطياشة. ويجعل أمامه قول الرسول: "مستأثرين كل فكر لطاعة المسيح" {٢كو١٠: ٥}. أما الذي يتساهل مع الأفكار، فهو ليس دقيقًا في ضبطه لفكره.

📖 **الإنسان الروحي ينبغي أن يكون أيضاً دقيقاً في كلامه:**

📖 إنه يزن كل كلمة قبل أن يقولها، سواء من جهة معنى الكلمة، أو قصدها، أو مناسبتها للمجال، أو للسامعين.

📖 إن الذي يتكلم ثم يندم على ما يقول، هو غير مدقق في كلامه.

📖 والذي يتكلم ثم يعاتبونه على معني كلامه، فيقول: "ما كنت أقصد" هو أيضاً غير مدقق في كلامه.

📖 كذلك الذي يتكلم فيجرح شعور غيره بغير حكمة.

📖 إن السرعة في الكلام من الأسباب التي تؤدي إلى عدم التدقيق فيه. إن السرعة في ابدأ الرأي. والسرعة في الحكم على الآخرين. والسرعة في الاستسلام للغضب. كل ذلك يعرض الإنسان للخطأ، فلا يكون مدققًا في كلامه، ولا يكون موفقًا في كلامه.

📖 أما الذي يتباطأ، ويزن الكلمة قبل أن يقولها، فهذا يكون أكثر تدقيقًا. لذلك يقول الرسول: "ليكن كل إنسان مسرعًا إلى الاستماع، مبطئًا في التكلم، مبطئًا في الغضب" {يع١: ١٩}.

📖 وفي الإبطاء، أو التفكير المتزن، يقدر الإنسان أن يتحكم فيما يريد أن يقوله، ويتخير الألفاظ المناسبة، ويكون مدققًا أكثر في كلامه. لأن الكلمة بعد أن يلفظها، لا يستطيع أن يغيرها، أو يسحبها، لقد حسبت عليه!

📖 وكما يدقق الإنسان في كلامه، ينبغي أن يدقق في مزاحه وضحكه.

📖 فلا يتحول ضحكه إلى نوع من التهكم على غيره، والاستهزاء به، وجعله مادة لفكاهاته، ولسخريته وتسلية الناس!! وبهذا يكون الضحك وسيلة لجرح شعور غيره. من حق الإنسان أن يضحك مع الناس. ولكن ليس من حقه أن يضحك على الناس!

📖 لهذا فإن الإنسان الروحي ينبغي أن يكون مدققًا في ضحكة ومرحه، حتى لا يجرح أحدًا، أو يهين أحدًا، ولو في مجال مزاح، ولو عن غير قصد. ولا يجوز أن يقول أية فكاهة تعجبه، غير مبال بتأثيرها على السامع، إن كان فيها ما يسمه.

📖 والإنسان الروحي يكون مدققًا أيضاً في نقده، وفي عتابه، وفي توبيخه، ولا يجرح فيما يحاول أن ينصح. ولا يوبخ فيحطم.

📖 ولقد حذرنا سيدنا يسوع المسيح قائلًا: "مَن قال لأخيه رقًا يكون مستوجب المجمع، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم" {متى٥: ٢٢}. وكلمة رقًا هي أقل كلمة تخلو من الاحترام.

📖 كم مرة يستخدم المتكلمون كلمة: "أحمق" ومرادفاتها العديدة، في شتى الألفاظ، التي يعبرون بها في غير تدقيق، عن استصغارهم لعقول غيرهم، ومستوي تفكيرهم. أما المدقق فلا يفعل هكذا.

📖 لاحظوا كيف تخير السيد المسيح أرق الألفاظ في الحديث مع السامرية، بحيث قادها إلى التوبة، دون أن يجرح شعورها على الإطلاق. ولو أراد أن يستخدم ما يسميه الناس بالصراحة، أو بمواجهة المخطئين، لنفرت منه هذه المرأة، وما كسب روحها.

📖 الإنسان المدقق تظهر دقته في أداء أية مسئولية تعهد إليه، أيًا كانت هذه المسئولية روحية، أو مادية، أو اجتماعية.

📖 ودقته هذه تقوده إلى النجاح، وإلى الإتقان، وإلى احترام الناس له، وثقتهم به. وهو لا يحاول أن يتعذر بأية أعذار لتبرير موقفه، إن لم يكن مدققًا. لأن المدقق لا يبرر تصرفاته مهما حدث، ويرى أن

محاولة التبرير ضد التدقيق

📖 للأسف: هناك كثيرون يدققون في محاسبة غيرهم. ولا يدققون في محاسبة أنفسهم بنفس القياس. هم مع غيرهم في منتهى الشدة، أما مع أنفسهم فما أكثر الأعذار، بينما العكس هو ما ينبغي أن يكون.

📖 حاسب نفسك بتدقيق شديد، ولا تعذر ذاتك.

📖 أما بالنسبة إلى الآخرين فحاول أن تلتمس لهم عذرًا.

📖 نلاحظ أن السيد المسيح أعطانا مثالًا لهذا، في قوله عن خطيئتك: "الخشبة التي في عينك" وقوله عن خطيئة الآخرين: "القذى الذي في عين أخيك" {متى٧: ٣}. هكذا ينبغي أن تحكم على أخطائك بالخشبة، وعلى أخطاء غيرك بالقذى.

📖 مشكلة الإنسان في حياة التدقيق، أنه يقسم الخطايا إلى صغيرة وكبيرة، ويستأهل في الأمور الصغيرة!

📖 ومن الجائز أن هذه الأمور الصغيرة في نظره، ليست هي صغيرة في الحقيقة. وحتى إن بدت صغيرة، ستتحول إلى كبائر فيما بعد.

📖 والإنسان الروحي لا يستهين بأي خطأ، ولا يحسبه صغيرًا. لأن الخطية خاطئة جدًا. وكل خطية تؤدي إلى الهلاك، لأن: "أجرة الخطية موت" {رو٦: ٢٣}. وهي تفصله عن الله، لأنه: "لا شركة بين النور والظلمة" {٢كو٦: ١٤}.

📖 إن أي عيب في شيء، ينقصه كماله.

📖 وأية بقعة في ثوب تشوه نظافته مهما كانت صغيرة.

📖 الإنسان الروحي يدقق في مقاومة الخطية، ويحترس لئلا يقع فيها.

📖 حتى تأتيه الخطية فيقاومها، بل يكون حريصًا في البعد عن الخطية، وفي سد جميع مسالكها، بحيث لا تجد منفذًا إليه. وإن حاربته خطية يكون دقيقًا جدًا في طردها عنه.

🕮 إنه دقيق في كل تصرفاته. يستمع دامًا إلى قول الرسول: "انظروا كيف تسلكون بالتدقيق، لا كجهلاء بل كحكماء" {أف ٥: ١٥}. لذا فهو يدقق في كل ما يعمله، في العمل ذاته، وفي وسيلته، وفي نتائجه، سواء بالنسبة إليه، أو إلى غيره. حتى الأشياء التي هي سليمة في ذاتها، ولكن قد تكون غير مناسبة، حسب قول الرسول: "كل الأشياء تحل لي، ولكن ليس كل الأشياء يبني" {١كو١٠: ٢٣}.

🕮 أنه يدقق في كل حركاته. في دخوله وفي خروجه. في صورته وفي مشيته. لا ينسي نفسه، فيعلو صوته على من هو أكبر منه، أو يقاطعه ليتكلم هو!

🕮 وفي انتقاله، كما قال الشيخ الروحاني: "بالرفق يفتح بابه ويغلقه" وفي كلامه يحترس، من أن يتطور مزاحه إلى العبث، أو التهكم.

🕮 ويحترس أن يتطور من سرد قصة إلى الإدانة.

🕮 ويحترس أن ينتقل من الأمر إلى التسلط، أو ينتقل من القدوة إلى محبة المديح وإعلان الذات. كذلك يكون مدققًا في عدم التحول من الموضوعية إلى النواحي الشخصية.

🕮 إن كل خطوة عنده لها حسابها، لا تجرفه التيارات السائدة، ولا يجاري الأخطاء الشائعة. ولا ينحدر من وضع إلى أخر بدون تفكير.

🕮 إنه مدقق في علاقته في الله، مدقق في حفظ الوصية، ومدقق في عودة لله، وفي كل نذوره، وفي عشوره، وبكوره، لا يساوم الله، ولا يرجع في عهد قطعه أمامه.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل التاسع ـ أهمية الجدية ـ من صفحة ١٦٥ ـ ١٧٠

🕮 {٤} محاربات الشيطان للتدقيق:

🕮 لذلك فالشيطان يحارب التدقيق ويسميه تزمتًا، أو عدم مرونة.

🕮 ويريد بهذا أن الإنسان الروحي لا يحتمل كلمة "تزمت" فيتحلل من

تدقيقه! كلا. فما ينتقده الشيطان هو الحرفية والفريسية، وليس التدقيق، كما أن المرونة ليس معناها التحلل من القيم. إنما هي مرونة داخل تنفيذ الوصية، وليست مرونة في كسرها، فلا تستفزكم هذه الألفاظ لتغيروا مبادئكم.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل التاسع ـ أهمية الجدية ـ من صفحة ١٧٠

{١٠}

حياة التدقيق

باسم الآب، والابن، والروح القدس
الإله الواحد آمين

📖 **نتكلم اليوم عن حياة التدقيق:**

📖 كيف يكون الإنسان مدققاً في حياته: في كُلّ تصرف، وفي كل علاقة، وفي كُلِّ مُعاملة.

📖 المفروض في الإنسان المدقق أن يكون مُدققاً في مُعاملته مع الله، وفي معاملته مع الناس، وفي مُعاملته مع نفسه.

📖 **مُعاملة الإنسان مع نفسه:**

📖 ١. أي: يُدقِق مع مشاعره، مع حواسه.

📖 الإنسان الذي يكون مدققاً في قلايته المغلقة، حيث لا يراه أحد، سهل عليه أن يكون مدققاً مع الآخرين، لأننا بطبيعتنا دائماً ندقق أمام الناس، لئلا ننكشف أمام الناس. أو لئلا ننتقد من الناس، أو لئلا يرى الناس عيوبنا، أو أخطاءنا.

📖 **لكن بيننا وبين أنفُسنا، قد نكون غير مُدققين:**

📖 أو داخل أنفُسنا قد نكون غير مُدققين.

📖 هنا أحب أن أقول مُلاحظة: قد أعود لها فيما بعد، لكن أقولها الآن

"هناك فرق بين التدقيق، والوسوسة". أي يوجد إنسان التدقيق يصل عنده إلى حد الوسوسة.
📖 الوسوسة هي أن يظن الخطأ، حيث لا يوجد خطأ.
📖 أو يكبر قيمة الأخطاء، أكبر من حقيقتها.
📖 أو يتحول الإنسان إلى شخص فريسي، أو شخص ناموسي، أو شخص حرفي. كُلّ هذا لا نقصده.

📖 هناك التدقيق، وضع متوسط لا ينحرف إلى الوسوسة شمالاً، ولا إلى التّسيب يميناً. التدقيق معناه: "إنَّ الإنسان يبتعد عن التراخي، والكسل، والتّسيب".
📖 يكون مُراقباً لنفسه، ومُحاسباً لنفسه، وضابطاً لنفسه.

📖 **٢. الإنسان المُدقِّق يكُون مُدققاً:**
📖 **مثلاً:** من جهة النظام، من جهة المواعيد، مُدقق من جهة وقته، ومن جهة حرصه على وقته واستخدامه لوقته. لا يُضيع دقيقة من وقته فيما يندم عليه، أو فيما لا يستفيد منه.

📖 **يكون مدققاً أيضاً من جهة وقت الآخرين:**
📖 قد يكون إنسان وقته رخيص عليه، وبالتالي يُضيّع وقت الآخرين، لأنه مُتخيّل أنَّ وقتهم أيضاً رخيص، ويخجل منه الآخرون، ولا يستطيعون أن يقُولوا له لا.
📖 أيضاً: الإنسان المُدقِّق يكون مدققاً من جهة أفكاره، لا يسمح لنفسه بأي فكر خاطئ، ولا بأي فكر باطل.

📖 **ما الفرق بين الفكر الخاطئ والفكر الباطل؟**
📖 الفكر الخاطئ، أي: "فكر خطية" مثلاً.
📖 أمَّا الأفكار الباطلة، هي: "أن يُفكر الإنسان فيما لا يفيد".

📖 مثل إنسان ينظر للقلاية، ويُفكر في أساساتها، وفي مبانيها. وأيضاً في الكلام هناك كلام خاطئ، وهناك كلام باطل لا فائدة منه.

📖 **٣. الإنسان المُدقِّق يُفكر في كلامه:**

📖 كُلّ كلمة لها وزن، سواء في معناها، أو في قصدها.

📖 أحياناً واحد يقُول كلمة، وعندما يعاتبونه عليها يقُول إنه لم يقصد. أي: "غير مدقق". يجب أن نقول كلاماً يُفْهَم بطريقة صحيحة.

📖 والمدقق يختار الألفاظ.

📖 **أيضاً من ضمن الأشياء التي تمنع التدقيق:**

📖 السرعة: السرعة في الكلام، في إبداء الرأي، في الحكم على الآخرين. السرعة تجعل الإنسان غير مدقق. لكن الذي يتباطأ ويزن الكلمة قبل أن يقُولها، ويُفكر فيها قبل قولها، يكون أكثر تدقيقاً.

📖 والرسول يقُول: "لِيَكُن كُلُّ إِنْسَانٍ مُسْرِعاً فِي الاِسْتِمَاعِ، مُبْطِئاً فِي التَّكَلُّم، مُبْطِئاً في الغَضَب" (يع ١: ١٩).

📖 "مُبْطئا في التكلم" ليس معناها إنَّ الإنسان لا يعرف كيف يتكلم، بل معناها أن يُفكر الإنسان في الكلمة قبل أن يقُولها، ويُفكر في معنى اللفظ قبل أن يقُوله.

📖 إنسان يتكلم ثم يحكم على كلامه، أو يحكم عليه الناس بعد أن تكلّم.

📖 هذا لا يستطيع أن يُعيد ما قاله. المفروض أن يحكم على نفسه قبل أن يتكلَّم. فَيُغيِّر، أو يُبَدِّل، الأمر في يده.

📖 **٤. الإنسان المُدقِّق أيضاً، يُدقق في نبرة صوته:**

📖 لا تعلُو عمَّا ينبغي، ولا تنخفض عمَّا ينبغي. يتكلّم بهدوء.

📖 يوجد إنسان يعلي صوته، وصوته يُسبب ضجيجاً، وقد يُزعج غيره وهو لا يهتم، لأنه غير مدقق. وخاصةً الصوت بالليل بالنسبة للدير،

يُسبِّب صدى.

📖 مثل إنسان يُصلح شيء في قلايته بالليل: فَيُسَبِّب أصوات عالية، ولا يهمه إن كان الدير يسمع الصوت، أو لا يسمع.

📖 المُدقِّق يُدقق في كُلّ تصرف يتصرفه، في نتائجه على غيره، وعلى الآخرين، يليق أو لا يليق. الرسول يقُول: "كُلُّ الأَشْيَاء تَحِلُّ لي، لكنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاء تُوَافِقُ" (اكو ١٠: ٢٣).

📖 أي: "تُناسب أو تكون لائقة" إذاً هناك أُمور حلال، لكن غير لائقة. مثل الحكيم عندما يقُول: "الرَّجُلُ الحَكِيمِ لَا يَأْكُل فِي الطَّرِيقِ" الأكل في حد ذاته غير مُخطئ، لكن في الطريق لا يليق.

📖 **٥. المُدقِّق أيضاً يهتم بكُلِّ شيء:**

📖 حتى في سيره ووقوفه، مع الناس، ومع الله، ومع نفسه.

📖 وفي دخوله وخروجه فيقول الشيخ الروحاني: "بالرفق يفتح بابه ويُغلقه"، أي: "لا يُحدث صوتاً في دخوله، أو خروجه".

📖 **الشخص المُدقَّق مثالي في كُلّ تصرفاته:**

📖 إن كان مثالياً في حياته العامة، فمع الله بالأكثر.

📖 مثال: الدخول إلى الكنيسة. بأي تدقيق يدخل الإنسان إلى الكنيسة؟

📖 المُدقِّق يقُول: "أَمَّا أَنَا فَبِكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ أَدْخُلُ بَيْتَكَ. وَأَسْجُدُ قُدَّامِ هَيْكَل قُدْسَكَ بِمَخَافَتَكَ" (مز ٥: ٧)، أي يدخل في خُشوع.

📖 مجرد خلع الحذاء أمام باب الكنيسة في الدير، دليل على أنه مكان يحتاج تدقيقاً فيه، مكان له قدسية خاصة. السير في الكنيسة لا يكُن بسرعة، أو بجري. الجلوس، والوقوف. حفظ الحواس في الكنيسة. ترتيب الآباء في الكنيسة، في وقوفهم، ومنظرهم، في الخدمة، في تأدية الألحان.



📖 ٦. **التدقيق في الصَّلاة أيضاً:**

📖 هناك إنسان يُصلي بسرعة، حتى أنه لا يفهم ما يقُول.

📖 وإنسان يُصلي في هدوء، بتدقيق كُلّ كلمة يقُولها. يُدقِّق في معناها، ويفهمها، ويقولها بالمشاعر اللائقة بها بفهم.

📖 الإنسان المدقق لا ينجرف في أي تيار يكون أمامه، له شخصيته الثابتة المدققة، التي لا تنجرف في تيارات. أي: لا" ينسى نفسه". له قيم، ومبادئ، يُدقِق في حفظها، ولا يهبط عن مستواها. وكُلّ عمل يعمله يعمله بتدقيق.

📖 **وأقول لكُم مثالاً بسيطاً، كلنا نرشم الصليب:**

📖 هل كُلّ واحد يرشم الصليب بما يليق باحترام الصليب. وبما في الصليب من عقيدة خاصة بالثالوث، والتجسد، وعمل الرُّوح القدس. أم مجرد حركة فقط، وكما تتم بلا تدقيق، بلا قصد، بلا فهم، بلا خشوع؟

📖 **المُدقِّق يُدقق أيضاً في اعترافاته:**

📖 يُدقق أيضاً في فهم كُلّ تصرُّف، ويحترس من الخطايا التي تلبس ثياب الحملان، وتبدو في هيئة فضيلة وهي خطية. أو تأخذ اسماً غير اسمها.

📖 ٧. **الإنسان المُدقِّق كُلّ كلمة يقُولها لها معناها:**

📖 كمثال لعدم تدقيق الناس في الألفاظ ومعناها: كلمة "البَرَكَة".

📖 الناس تقُول: "خليها بالبَرَكَة" أي: "اجعلها فوضى"، أي: "بلا نظام، وبلا ترتيب، وبلا إعداد". بينما إنجيل البركة، مُباركة الخبز، هو نفسه إنجيل النظام. المسيح بارك الخُبز، ونظم الناس فرقاً.

📖 **الإنسان المُدقَّق يهتم بأنَّ الوسيلة تُناسب القصد:**

📖 فلا يتخيَّر وسيلة خاطئة لمقاصده الطَّيبة، ويجعل لكُلّ تصرف من تصرفاته حدوداً.

📖 مثال: إنسان يضحك بمرح، يُدقق بحيث أنَّ ضحكه لا يتحول إلى تهكم على الناس. أي: "في ضحكه لا يقُول كلاماً يجرح الآخرين، أو يتحول إلى تهكم على غيره".

📖 يضحك مع الناس، لكن لا يضحك على الناس.

📖 كثيرون يضحكون مع الآخرين، ويهينونهم أثناء الضحك. أو يجرحونهم ولو بدون قصد، لأنه لا يوجد تدقيق. يأتي بنُكتة يقُولها، ولا يدري تأثيرها على الآخرين.

📖 **٨. الإنسان المُدقِّق يتخيَّر الألفاظ:**

📖 ولذلك المسيح حذرنا من كلمة "رقا" ومن كلمة "أحْمَق" وقال: "مَنْ قَالَ يَا أَحْمَقُ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جهنم" (مت ٥: ٢٢).

📖 وكم مرة يستخدم الإنسان كلمة أحْمَق بمُرادفاتها؟ أي: يقُول "لا يفهم"، "ليس عنده عقل". هذه مرادفات أحمق.

📖 المسيح في كلامه مع السَّامرية تخيَّر ألفاظاً لا تجرح إطلاقاً، مُنتهى الرقة في تَخيَّر الألفاظ، رغم أنها امرأة خاطئة!

📖 الإنسان المُدقِّق إذا عُهِدَ إليه بمسئولية، أو عمل، يكون مدققاً في عمله، وفي مسئوليته، بطريقة كلها أمانة.

📖 **٩. المُدقَّق أيضاً لا يُبرِّر تصرفاته مهما حدث:**

📖 لأنَّ التبرير ضد التدقيق. ولا يلتمس لنفسه الأعذار.

📖 للأسف هناك كثيرون يُدققون في مُحاسبة غيرِهِمْ، ولا يُدققون في مُحاسبة أنفُسهم. أي: "مع غيره في منتهى الشدَّة، في كُلّ تصرف،

وبتدقيق عجيب. لكن مع نفسه الأمر يكون مريحاً.
📖 بينما العكس ينبغي أن يكُون، حاسب نفسك بتدقيق شديد، ولا تعذر ذاتك. وبالنسبة للآخرين حاول أن تُبرِّرهُم، أو تعذُرهم.

📖 **ونُلاحظ: إنَّ السيّد المسيح أعطانا مثالاً لهذا:**
📖 وإنه قال بالنسبة لخطيتك فإنها: "الخشبة التي في عينك"، وبالنسبة لخطية غيرك فإنها: "القذى في عينه". أي: "تكون شديداً في مُحاسبة نفسك، وطيِّباً في محاسبة غيرك".
📖 حياة التدقيق يقف أمامها أحياناً، أننا نُقسم الخطايا إلى خطايا صغيرة، وخطايا كبيرة. ونتساهل في الأمور الصغيرة.

📖 الإنسان المدقق يعرف أنَّ كل خطية ممكن تهلك الإنسان، مهما كانت صغيرة في نظره. أي عيب في شيء مهما كان صغير يُفسده.

📖 **مثلاً:** لو ملابس مقطعة قطع صغيرة، لا يليق أن ترتديها أمام الآخرين، لأنها مقطّعة. بقعة في ثوب اسمه ثوب غير جيد، حتى وإن كانت بقعة واحدة، وليست بقعاً كثيرة. ميكروب واحد في طعام، ولا يكون مملوء ميكروبات، اسمه طعام ضار.

📖 **١٠. المُدقِّق يهدف إلى الكمال، ولا يُبرِّر نفسه، ولا يعذُر نفسه:**
📖 إن كان لديهِ مسئولية يُدقق فيها. وإذا كان لابد أن يأمر في مسئولية، يُفَرِّق بين الأمر والتّسلُّط. المُدقِّق قد يأمر، لكن لا يتسلَّط، وإلا لا يكون هناك تدقيق.

📖 **الإنسان المُدقِّق لا يُقدِّم احتجاجاً عن أخطائه:**
📖 لا بأعذار، ولا بقلة إمكانياته. بل يجب أن يكون أميناً في كُلّ الإمكانيات التي عنده، ويستخدمها إلى أبعد حدودها.
📖 ويجب أيضاً أن يُوسع نطاق إمكانياته دائماً، هادفاً إلى الكمال، لا

يقُول: "ظُروفي لا تُساعدني في أن أقول أكثر من مزمورين". حاول ورتب نفسك من جهة ظروفك أو حسّن ظُروفك لكي تسلك بتدقيق.

📖 ١١. المدقق لا ينتظر إلى أن يقع في الخطية في أعماقها، إنما منذ الابتداء يكون دقيقاً. أي: "يحترس من بداية الخطية".

📖 كما قال: "يَا بِنْتَ بَابِلَ الشَّقِيَة، طُوبَى لِمَنْ يُكَافِئُكِ مُكَافَأَتِكَ الَّتِي جَازَيْتِنَا. طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكَ وَيَدْفِنَهُمْ عِنْدَ الصَّخْرَةِ" (مز ١٣٧: ١٨ - ٩) أي: "يدفن الخطية وهي طفلة". والصخرة هي: "المسيح" أي: "ينتهي منها قبل أن تكبر".

📖 **أي مثلاً:** لا تنتظر إلى أن تسقط في خطية كراهية إنسان، إنما من البداية إذا وجدت أنَّ مُعاملتك له بدأت تتغيَّر أفكارك من جهته، بدأت تتغيَّر كلامك عنه، بدأ يتغيَّر. احترس لنفسك، وكُن مدققاً لئلا تتطور الأمور إلى أزيد.

📖 المدقق لا يسمح إنَّ الخطايا تجرفه وتتطور به حتى تصل إلى عُمقها. يُدقق من أولها حتى لا يسقط.

📖 أفضل تعبير في التدقيق، في مُحاربة الخطايا، قول بولس الرسول في (عب ١٢: ٤) "لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ، مُجَاهِدِينَ ضدَّ الخَطِيَّة".

📖 الإنسان المدقق يُقاوم حتى الدم، ولو أدَّى الأمر أنه يستشهد، ولا يسقط في الخطية، بتدقيق في الأمور الصغيرة والكبيرة.

📖 وقد تكون الأمور الصغيرة في نظره، لا يُسميها صغيرة، إنما ما يُسميه الناس أموراً صغيرة. لأنَّ الخطية التي ضيَّعت العالم كله "الأكل من شجرة".

📖 قد يتخيَّل إنسان أنها أُمور صغيرة: فما المُشكلة، أو ما الخطأ في أن يأكُل إنسان من شجرة؟ لكن كانت تحمل في طياتها أموراً كبيرة جداً،

وليس مجرد أكل من شجرة. المُدوّق لا يُسمي خطايا صغيرة.



📖 في صلوات القديسين نجد عجب:

📖 قديس كبير يقُول: "أنا الخاطئ"، أنا "الفاسد"، أنا "الهالك". كلام صعب. لماذا؟ لأنَّ الخطية ليست صغيرة في نظره. من فرط تدقيقه.

📖 الخطية هي تشويه للصورة الإلهية التي خُلِقَ عليها الإنسان"

📖 فهي ليست صغيرة، لأنها خاطئة جداً.

📖 حياة التدقيق تلزم الإنسان بأمرين:

📖 ١. الأمانة في الحياة الروحية.

📖 ٢. الجديَّة في الحياة الروحية.

📖 لكي يكون الإنسان مدققاً، لابد أن يكون أميناً في روحياته، وجاداً في روحياته. الأمانة والجديَّة لهما وقت آخر إن شاء الله.

كتاب عظات رهبانية ـ من صفحة ٥٤٦ ـ ٥٥٠

{١٤}

أغناطيوس بريانتشانينوف

الفصل الرابع والثلاثون

في الصحو واليقظة

📖 بين توصياته الكثيرة المقدسة، أوصانا ربنا أن نمارس يقظة دائمة على أنفسنا، أثناء الصلاة، وهذه الحالة تسمى، عند الآباء القديسين: "الرصانة المقدسة، أو اليقظة".

📖 الرب قال لتلاميذه: «اسهروا وصلوا، لئلا تدخلوا في التجربة» {مت٢٩:٤١}. «وما أقوله لكم، أقوله للجميع، اسهروا» {مر١٣:٣٧}.

📖 ويحدد القديس ايسيخيوس الكاهن، اليقظة على النحو التالي: «الرصانة، أو اليقظة، هي: السبيل إلى كل فضيلة، ووصية الهية»

{الفيلوكاليا، الفصل ٣}.

📖 من هذا يتضح، إن اليقظة تنبع من أدق درس مستمر لوصايا الإنجيل، وبالتالي فهي وليدة درس كل الأسفار المقدسة.

📖 اليقظة تدأب على الدوام، أن تلتزم وتتقيد بكل وصايا الإنجيل، في كلمات الإنسان، وأعماله، وأفكاره، وأحاسيسه. وكي تبلغ اليقظة هدفها المنشود، فإنها تصحو على الدوام، متأملة في نواميس الله، وصارخة نحوه بصلاة حارة، طلبا للعون.

📖 اليقظة نشاط مستمر. إنها كما يقول القديس ايسيخيوس الكاهن، "فن روحي"، ومن شأنها مع الممارسة الطويلة، وبمعونة الله، أن تعتق الإنسان، بالكلية، من الأفعال الشريرة، والأفكار الشهوانية، والكلمات السمجة.

📖 كذلك من شأنها أن تهب من يمارسها، معرفة أكيدة عن الله، الذي لا يدرك، بمقدار ما يمكننا أن ندركه، وتقدم حلولا للأسرار الالهية المحتجبة. اليقظة تحفظ كل وصية الهية في العهدين القديم والجديد، وتهب المرء بركات الحياة الآتية.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ١٩٤

📖 إنها حقا نقاوة القلب، التي بسبب روعتها، وقيمتها، أو لنقل بأكثر دقة، بسبب كسلنا، أصبحت اليوم أمراً نادرا جدا بين الرهبان.

📖 اليقظة هي: الصمت الدائم في القلب، الحر من كل الأفكار. فهي تدعو يسوع المسيح ابن الله بلا انقطاع، وتتنفسه لوحده، وتقاتل معه الأعداء بشجاعة، معترفة أنه وحده يمتلك سلطان غفران الخطايا.

📖 ومثل هذه النفس، تعانق يسوع المسيح، بذكر اسمه على الدوام، فهو وحده يعرف خفايا القلوب، وهي تسعى جاهدة، وبكل السبل، كي تخفي العذوبة، وحياتها الداخلية عن الناس، وذلك للحيلولة دون انسلال الشر، بقصد تبديد عمل اليقظة الحسن والصالح.

📖 اليقظة هي: الانضباط الثابت، الذي يتوخى إحضار الذهن إلى عتبة القلب، كي يرى الأفكار عندما تأتي، ويسمع ما تهمس به، ويعرف ما يفعله اللصوص، وما الصور المبثوثة، التي تحاول الشياطين أن تعدها، بقصد غواية الذهن بالخيالات، والصور {الفيلوكاليا، الفصل ٦}.

📖 وموسى المشترع العظيم، أو بالأحرى الروح القدس نفسه، هو الذي يشير إلى نقاوة، وعمق تأثير وفاعلية هذه الفضيلة {اليقظة} وإبداعها الرفيع، فيعلمنا كيف نبدأ بإتمامها: «انتبه لنفسك كيلا يكون من كلمة خفية، أو فكر خطيئة في قلبك» {تثنية١٥:٩}.

📖 وما يعنيه بعبارة «كلمة خفية» و «فكر خاطئ»، هو تصوير ذهني حقيقي لأي أمر خاطئ، وغير مرضي لله، وهو ما يسميه الآباء القديسون «هجوما، وهو ما يشنه الشيطان في العادة ضد القلب، تتبعه أفكارنا عندما يتم الإيحاء به للذهن، وهكذا تداعب أفكارنا هذا الإيحاء، بلذة، وشغف {الفيلوكاليا الفصل ٢}.

📖 اليقظة: تقاوم الخطيئة في منشئها، ومنابعها.

📖 كذلك: فإنها تقاوم الأفكار المعابة، والأحاسيس الشريرة.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ١٩٥

📖 ومن شأنها أيضاً: أن تحفظ وصايا الإنجيل في قلب الإنسان.

📖 اليقظة: تكشف للنفس الصاحية، واليقظة، طبيعتها المعطوبة.

📖 كذلك فإنها: تكشف لنا الأرواح الشريرة، فضلا عن إتكال الطبيعة البشرية على الأرواح الشريرة، الأمر الذي وقع فيه الإنسان عندما أطاع مشيئة هذه الأرواح، وعندما رضخ لمشيئته الخاطئة.

📖 وتسوء حالة سقطتنا، ويصبح السقوط خاصية دائمة، وعربونا دائما فينا للهلاك الأبدي، وذلك عندما نطيع مشيئتنا المعطوبة، ومشيئة الشياطين.

📖 اليقظة هي: الخاصية الضرورية للعمل الروحي الحقيقي، وبها يتم حسب إرادة الله، عمل الراهب، المنظور منه، وغير المنظور، وذلك إرضاء لله. وهذا العمل يبقى محفوظا بمنأى عن خدمة الشيطان.
📖 اليقظة هي: سبب نقاوة القلب، وسبب رؤية الله التي تمنح للأنقياء، بالنعمة، فترفع هذه النقاوة إلى درجة اللاهوى المغبوط.
📖 ولا تنفصل اليقظة عن الصلاة الدائمة، فاليقظة وليدة الصلاة، ومولدتها بأن معا. ومن هذه الولادة المزدوجة المتبادلة، تلتحم هاتان الفضيلتان في وحدة لا تنفصم عراها.

📖 اليقظة هي: الحياة الروحية. إنها: الحياة السماوية، والتواضع الحقيقي الذي يركز كل رجائه في الله، ويرفض كل سيمونية، وثقة بالناس. لهذا السبب، فهي تبدو لهم {للشياطين} الزهو الأكثر رعبا وهلعاً، فيستشعرونها، ويجدفون عليها، ويضطهدونها بمرارة.

📖 ومن الضرورة بمكان الانتباه هاهنا، أن القديس ايسيخيوس يتكلم عن وصايا العهد القديم بمعني روحي، لا بمعنى يهودي.
📖 وعندما ترفع الغشاوة عن العيون الروحية، وهذا يكون في المسيح، يصبح اليهودي مسيحيا، عندئذ يكتسب العهد القديم - في عيني قارئه الأهمية ذاتها التي للعهد الجديد.
كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ١٩٦

📖 والناموس المدون الذي يعبر عنه أفضل تعبير وبوضوح، في العهد الجديد، ها هو يعبر عنه في العهد القديم برموز وتشابيه.
📖 لذا على المبتدئ أن يدرس العهد الجديد. أما الفهم الروحي للعهد القديم أيضاً، فيأتي تباعا، وفي وقت موافق، لأن ذلك هو من خواص الذين قطعوا شوطا في الحياة الروحية.

📖 وتقتني اليقظة تدريجيا، عبر ممارسة طويلة ومستمرة، فهي: وليدة

القراءة الصاحية، والصلاة، والمراقبة الدائمة للنفس، والصحو، والتأمل في كل قول، وفعل.

📖 كذلك فإنها: وليدة الرقابة على الأفكار، والأحاسيس، والانتباه، والسهر على أنفسنا، كيلا نصبح فريسة للخطيئة، في أي شكل من أشكالها: "اسهروا، أصحوا" يقول الإلهي بطرس، لأن عدوكم الشيطان يزأر، بحثا عمن يلتهمه، فاثبتوا ضده أقوياء في الإيمان {١ بطرس٥:٨-٩}.

📖 كونوا جميعا عيناً كالشاروبيم يقول القديس افتيميوس الكبير، مخاطبا راهبا يخضع لتجربة شيطانية. وحيثما كنتم، انتبهوا لأنفسكم بأعظم جهاد، وذلك لأنكم تسيرون وسط فخاخ، وأشراك {حياة القديس افتيميوس الكبير}.

📖 لقد أعطى القديسان برصنوفيوس الكبير، ويوحنا النبي، لكل من أراد أن يعيش في اليقظة، حياة مرضية لله، النصيحة الرائعة التالية وذلك من أجل اليقظة العملية: "قبل أن نبدأ حديثنا، وعملنا، فلنرفع فكرنا إلى الله طالبين منه العون، والاستنارة".

📖 وكي يبقى المرء في اليقظة، من الضروري أن يحرس طلاوة الذهن، وإشراقته بكل عناية، ودقة.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ١٩٧

📖 فالذهن يظلم من جراء الاستعمال الطائش للطعام، والشراب، والنوم، وكثرة الكلام، ومن جراء التشتت، والاهتمامات الدنيوية: «احذروا ألا تثقل قلوبكم» {لوقا٢١:٢٦-٣٩}.

📖 وكما أن يوم الدينونة العامة يأتي بغتة، هكذا يأتي بغتة يوم الدينونة الخاصة لكل إنسان، وهذه تكون يوم موته. ولا نعرف متى دعي.

📖 الإنسان يبدأ حياته على الأرض، ثم ما يلبث أن يختطف إلى الأبدية. وآخر يختطف بعد أن يكون قد قطع شوطا قصيرا فقط،

وآخر، بعد نصف شوط، وآخر، على مقربة من النهاية، وقلة فقط تشبع من الأيام ومن ثم تغادر مسكنها الأرضي، أعني جسدها، وذلك عندما لا تعود تقوى على البقاء.

📖 وأثناء محجتنا على الأرض، وعبر الإحساس بالخلود، وبعد أن تكون السقطة قد شتتنا، فإن جسدنا يبدو لنا خالدا، ومفعما حيوية، ونشاطا، وثمرا، وفي هذه يتشارك الكبار والصغار، المراهقون، البالغون والعجزة. الجميع خلقوا للخلود، ونفوس الجميع خالدة.

📖 ويجب أن يكونوا خالدين بالجسد أيضاً. أما سقطتهم التي ضربت النفس والجسد، بالموت، فقد لا يعرفون عنها شيئا، أو انهم لا يريدون أن يعرفوا ما يختص بها، أو انهم يعرفونها، ولكن على نحو ناقص وغير كاف.

📖 إذا فنظرة أذهانهم وإحساس قلوبهم، لجهة الحياة الأرضية، هي نظرة خاطئة، ومليئة بالضلال والانخداع.

📖 لهذا فالناس من كل الأعمار، يتوهمون باطلا أن ميراث الإنسان أبدى. وبعد انتهاء محجتنا الأرضية، وعند عتبة الموت، فإن الطريق الممتدة إلى ما لا نهاية، إلى المستقبل، تبدو من منظور الماضي قصيرة جدا، والنشاط الهائل الذي قمنا به، لا من أجل الأبدية، يبدو خسارة فائقة الضرر، لا تعوض، والفرصة التي أعطيت لنا من أجل خلاصنا، لا تعوض.

📖 وبالصواب يعرب أهل الدنيا عن انخداعهم، عندما يطلقون على الموت اسم: "المصيبة غير المتوقعة"، في أي عمر حلت هذه المصيبة، على أصدقائهم، وأنسبائهم.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ١٩٨

📖 أما بالنسبة للمقعد، أو المقعدة من الناس، المثقلين بالسنين والأسقام، الذين منذ زمان بعيد، كانوا ينحدرون إلى القبر دون أن يفكروا

بالموت البتة، وقد فاتهم أن يتذكروه، فإنه في الواقع مصيبة غير متوقعة.

📖 وبالمعنى الأعمق، فإن الموت هو أيضاً مصيبة غير متوقعة، للذين لم يستعدوا له. ومن الناحية الثانية، هنيئا لأولئك العبيد الذين يجدهم السيد، مستعدين لدى مجيئه، وهم ينظرون إلى الحياة الأرضية، ويفهمون الموت، ويستعدون له، لكونه يأتي في كل عمر، وفي أية حالة من حالات الصحة. {لوقا١٤:٣٧-٣٩}.

📖 ينبغي أن نتم مسيرة محجتنا الأرضية، بانتباه عظيم، ويقظة كاملة، وسهر على نفوسنا، داعين الله على الدوام في الصلاة طلبا للمعونة. وليكن الإنجيل مصباح رحلتنا، كما يقول النبي داوود: «لأن ناموسك نور القدمي» {مزمور١١٩:١٠٥}.

📖 نحن لا نسلك طريقا ضيقة {فقط}، نحن نسافر في الظلام {٢ بط١:٩}. ويقظة الذهن الدائمة ضرورة، وذلك لئلا ننساق إلى الطبيعة الساقطة، فننقاد إلى آبائنا وإخوتنا، الذين اجتذبتهم الطبيعة الساقطة قبلنا، وذلك كي نتحاشى كل الفخاخ، والمكر الشيطاني، والدهاء الذي لا يفهمه البشر، مع الشر الذي يأتينا من الملائكة الساقطين {الشياطين}.

📖 وبعد أن نحرس ذواتنا ضد الشرود، والتشتت، والاهتمامات، فلنوجه انتباهنا كله إلى جسدنا، الذي عليه تعتمد يقظة أذهاننا. الأجساد الإنسانية تختلف كثيراً فيما بينها، لجهة القوة والصحة. فبعضها كالنحاس، والحديد صلابة. وبعضها الآخر طري كالعشب. لهذا السبب يجب على كل إنسان أن يسود جسده بحكمة عظيمة، بعد أن يكتشف قواه الجسدية.

📖 أما الجسد المعافي، والقوي، فيناسبه أصوام خاصة، وسهرانيات خاصة، وهذه من شأنها أن تجعله خفيفا، وتعطي الذهن يقظة خاصة.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ١٩٩

📖 فالجسد الضعيف يتقوى بالطعام والنوم، حسبما تدعو حاجته إلى ذلك، ولكن لا نبلغ به حد التخمة في أي حال من الأحوال. فالتخمة مؤذية جدا، حتى للجسد الضعيف، إذ من شأنها أن تضعفه، وتجعله عرضة للأمراض.

📖 لأن: الاعتدال مع البطن، هو باب لكل الفضائل.

📖 أضبط معدتك فتدخل إلى الفردوس.

📖 أما إذا أرضيتها وأشبعتها، فإنك تقود جسدك إلى النجاسة، إلى نار الغضب، وبذلك تكدر عقلك وتظلمه. وعلى هذا النحو تبدد قوي صحوتك، وإمساكك، ويقظتك، ورصانتك.

📖 الهدوء الجسدي في الدم، ضروري للغاية من أجل اليقظة، وهذا يتحقق في الأساس بفعل الاعتدال الحكيم.

📖 الأهواء هي التي تجعل الدم في حركة متقلبة ومتبدلة، وهي بدورها متقلبة، وتتعارض فيما بينها. وكثيرا ما تلغي الأهواء حركة الدم، الا أن هذه الحركات المختلفة التي للدم، تتصل فيما بينها بفعل التشتت، وأحلام اليقظة، وهجوم الأفكار الواسع، فضلا عن الصور التي تثير حب الذات.

📖 وعندما يكون الدم في حركة عنيفة غير طبيعية، فهناك على الدوام هجوم عظيم تشنه الأفكار، وأحلام اليقظة، التي تصاحبها.

📖 وهذه الحركة هي حركة أثيمة، فهي ثمرة السقوط ونتيجته. وحركة الدم هذه كما يقال - ليست أهلاً كي ترث ملكوت السماوات {١كور ١٥:٥٠}.

📖 بكلمات أخرى، فإن من يجيز لنفسه أن تؤجج دمها، وتستلذ بما تفعل، لا يصلح لنيل النعمة الالهية. وحركة الدم هذه هي الأكثر خطا، لأن قليلين يفهمون ذلك.

🕮 وبالعكس، فإن كثيرين يرون في حركة الدم الأثيمة، في أنفسهم، علامة على فعل جيد، فينقادون إلى دوافعهم الخاطئة، كما لو أنها دوافع يلهم إليها الحق المقدس، المرضي لله.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٢٠٠

🕮 ومع كثرة الأفكار، وأحلام اليقظة، التي تتجاوز الحد الطبيعي، لاحظ الحالة التي يكون عليها دمك، عندها تفهم حركته الأثيمة، فتنأى بنفسك عنه.

🕮 إن مياه سلوام تفيض بلطف من منابعها {أش٨:١}، والفضائل المرضية لله، تفيض من طاعته، ويصاحبها التواضع، لا بفعل التأجج، أو الأثارة، لا بفعل نوبات، أو انتفاضات، لا بفعل ارتعاشات، أو تقلصات، لا بفعل إرادة ذاتية، وغرور، ومجد باطل، والتي هي صنو الاهتياج الخاطئ في الدم.

🕮 فحركة الدم بفعل أفكار الغضب، والأحلام، تختلف عن حركة الدم بفعل الأفكار الحسية غير الطاهرة، وتختلف أيضاً عن حركة الدم بفعل الأفكار الباطلة، أو بفعل أفكار الجشع والطمع، أو بفعل أفكار الحزن والاكتئاب، أو بفعل أفكار السخط والغضب، أو أفكار الكبرياء وسواها. لهذا السبب فإن: الصوم هو الأداة الأولى لكل الفضائل.

🕮 وكما أنه يجب علينا الانتباه فلا نفرط في الطعام، هكذا أيضاً علينا الانتباه في الاعتدال المفرط، أو الامتناع المتطرف، فالأول يضعف الجسد، ويبدد صحوته، وبرودته، وطراوته الضرورية من أجل اليقظة، فهذه تضعف وتخبو، عندما تضعف قوي الجسد وتنهار.

🕮 وقد قال القديس إسحق السرياني: "إذا أرغمت جسدا ضعيفا كي يعمل فوق طاقته، فأنت تعرض نفسك لظلمة مزدوجة، وتقودها إلى البلبال لا إلى الراحة.

🕮 لكن إذا أعطيت الجسد القوي تساهلاً، وراحة، وخمولاً، عندها

فأنت نهض كل الأهواء الرابضة في النفس".

🕮 ولو ان في النفس توقا عظيما إلى الصلاح، فإن فكرة الصلاح المنشود، سوف تنتزع منك. والقياس مع الحدود الزمنية، في الانضباط، من شأنهما معا أن ينيرا الذهن ويقصيا البلبال. فالذهن عندما يتعكر بفعل سيرة طائشة، وغير متعقلة، للحال تغش النفس الظلمة، والظلمة تجلب معها الفوضى والبلبال.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٢٠١

🕮 والسلام من الانضباط يأتي، أما النور فُيولد من سلام النفس. ومن السلام يفيض الذهن بالفرح.

🕮 أما اليقظة الدائمة والمتوثبة، فيوفرها اعتدال متعقل. واليقظة الدائمة توفر سيرا أمينا وراء تعاليم الإنجيل. إن تعليم الإنجيل هو المصدر الوحيد لكل الفضائل الحقيقية، والمسيحية المرضية لله".

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٢٠٢

{١٥}

القديس مرقس الناسك

🕮 **١٦٨-** الناموس يأمر الناس رمزيا أن تعمل ستة أيام، وفي السابع يستريحون {ق.م. خر ١٠:٢٠-٩}. إن الكلمة «تعمل» عندما تطبق على النفس، تعبر عن عمل الخير والمروءة بواسطة ممتلكاتنا، وذلك من خلال الأشياء المادية.

🕮 ولكن راحة النفس ونياحها، هي: "أن تبيع كل شيء وتعطى للفقراء" {مت ١٩: ٢١}، كما قال المسيح نفسه، حتى إنه من خلال نقص الممتلكات، سوف تستريح {النفس} من عملها، وسوف تكرس

نفسها للرجاء الروحي. وهي أيضاً الراحة التي يحثنا بولس على دخولها قائلاً: «فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة» {عب: ١١}.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٣٧

📖 **١٤٩-** عند قولنا هذا فنحن لسنا ناسيين بركات الحياة الآتية، أو نحد مكافأتنا الكلية في الحياة الحاضرة. فنحن ببساطة نثبت أنه من الضروري في المقام الأول، أن ننال نعمة الروح القدس المنشطة للقلب، وهكذا فبالتناسب مع هذا التنشيط، ندخل ملكوت السماوات.

📖 لقد وضح الرب ذلك في قوله: «ها أن ملكوت السماوات في داخلكم» {يو ١٧: ٢١}.

📖 وقال الرسول بالمثل أيضاً: «وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجي، والإيقان بأمور لا تري» {عب ١١: ١}؛

📖 و «اركضوا لكي تنالوا» {اكو ١: ٢٦}؛

📖 و "جربوا أنفسكم هل أنتم في الأيمان ... أم لستم تعرفون ... إن يسوع المسيح هو فيكم، إن لم تكونوا مرفوضين"

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٣٧

📖 **٢٠٦-** الحكمة ليست فقط في أن ندرك النتيجة الطبيعية للأشياء، ولكن في أن نقبل أيضاً حقد الذين يظلموننا كواجب علينا. الناس الذين لا يتجاوزون النوع الأول من الحكمة يصبحون متكبرين، بينما الذين يقتنون الثانية يصبحون متواضعين

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٤٣

📖 **٦٨-** كل رذيلة تقود في النهاية الى لذة محرمة.

📖 وكل فضيلة الى بركات روحية. كل منهما ينهض ما يماثله.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في الناموس الوحي - القديس مرقس الناسك - صفحة ١١٠

📖 **٥٤-** لا تفكر في شيء، ولا تعمل شيء، بدون هدف موجه لله، لأن الارتحال بدون اتجاه مجهود ضائع.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في الناموس الوحي - القديس مرقس الناسك - صفحة ١١٠



٩٣ - الشـرور تقـوي، وتسـلح كـل منهـا الآخـر، كـذلك الفضـائل تشجعنا هكذا أن نستمر، بمجهودات أعظم.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في الناموس الوحي - القديس مرقس الناسك - صفحة ١١٣



٩٤- الشيطان يهون من شأن الخطايا الصغيرة.

وبخلاف ذلك {إن استيقظنا} لا يستطيع أن يجرنا إلى الأكبر منها.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في الناموس الوحي - القديس مرقس الناسك - صفحة ١١٣

{١٦}

القديس ديادوخوس الناسك

٤٢- ضبط النفس هو عامل مشترك في كل الفضائل، وعلى ذلك فيجب على كل من يمارس ضبط النفس، أن يفعل ذلك في كل الأشياء.

إذا أزيل أي جزء، مهما كان صغير، من جسم الإنسان، فإن الإنسان كله يتشوه، بالمثل من لا يراعى فضيلة واحدة فهو يُدمِّر دون أن يدري، كل النظام المنسجم الذي لضبط النفس.

وعلى ذلك فمن الضروري أن ننمي ليس فقط الفضائل الجسدية، ولكن أيضاً تلك التي لها قوة على تنقية إنساننا الداخلي.

ماذا ينتفع إنسان يحفظ بتولية جسده، إذا كان يترك نفسه ترتكب الزنا، مع شيطان عدم الطاعة؟ وماذا ينتفع إنسان يُسيطر على البطنة، وعلى رغباته الجسدية الأخرى، إذا كان لا يبذل مجهوداً لكي يتجنب الزهو، والبر الذاتي، ولا يحتمل بصبر حتى أصغر ألم؟ في يوم الدينونة، أي إكليل سوف يستحقه، عندما ستعطى المكافأة فقط لهؤلاء الذين تمموا أعمال البر بروح التواضع؟

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - القديس ديادوخوس الناسك - صفحة ٢٥٩



📖 ٧٤- عندما تصل النفس الى فهم الذات، فهي تنتتج في داخلها شعوراً مؤكداً بالدفء تجاه الله. وعندما لا ينزعج هذا الدفء بالاهتمامات الدنيوية، فهو يلد رغبة في السلام.

📖 وعلى قدر ما تسمح قوتها تبحث عن إله السلام، ولكن يُسلب سريعاً منها هذا السلام، أما بسبب إن انتباهنا مشتت بواسطة الحواس، أو لأن الطبيعة، بسبب قصورها الأساسي، تستنزف نفسها سريعاً.

📖 هذا الذي لأجله لم يستطع رجال الإغريق الحكماء، أن يمتلكوا كما يجب، ما أملوا أن يقتنوه من خلال ضبطهم لنُفُسهم، لأن الحكمة الأبدية التي هي ملء الحق، لم تكن عاملة في فكرهم.

📖 ومن جهة أخرى: الشعور بالدفء، الذي يولده الروح القدس في القلب، يكون بالكامل هادئاً وثابتاً.

📖 إنه يوقظ اشتياقاً لله في كل جزء من النفس. إن حرارته لا تحتاج لأن تضرم بأي شيء من خارج القلب، ولكنها من خلال القلب، تجعل الإنسان كله يبتهج بحب لا يقاس وهكذا.

📖 وفى أثناء إدراكنا للنوع الأول من الدفء، يجب أن نجاهد لكي نقتني النوع الثاني، لأنه بالرغم من أن الحب الطبيعي علامة على أن طبيعتنا في حالة صحية، من خلال ضبط النفس، فمع ذلك مثل هذا الحب تنقصه القوة التي يمتلكها الحب الروحي، لكي يُحضر العقل الى حالة اللاهوي.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ القديس ديادوخوس الناسك ـ صفحة ٢٧١

{١٧}

ثيئودورس الناسك العظيم

📖 ٢٢- عندما يكون الإدراك الحسي للجسد سليماً، يكون المرء واعياً بأي مرض يصيبه، بينما إذا كان المرء لا يعي، فيكون المرء ضحية البلادة. بالمثل الفكر، طالما كان يحفظ طاقته صحيحة، فهو واعى

بقوته، ويعرف من أين تدخله الشهوات المستبدة، ويقوم بمقاومة صامدة ضدهم. ولكن من الصعب أن يمضي المرء {المستيقظ لنفسه} يومه في حالة اللاوعي، مثل من يحارب في الليل، لعدم مقدرته على رؤية الأفكار الشريرة التي تحارب المرء {لآنه يعي جيداً ما يدور داخله}.
الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس ثيئودورس الناسك العظيم ـ صفحة ١٦

📖 ٧٨ ـ لا تعتمد على سنينك الكثيرة في الحياة الرهبانية، ولا تسقط ضحية الكبرياء، بسبب خشونة جهادك النسكي، والطريقة التي احتملت بها البرية. ولكن ضع في ذهنك قول الرب بأنك «عبد بطال» {ق.م. لو ١٧: ١٠}، ولم تكمل الوصايا بعد حقاً.
📖 طالما كنا في هذه الحياة، فإننا لم نعد بعد من السبي، لكن مازلنا نجلس بجانب نهر بابل، لا زلنا عبيدا في صنع {الطوب} اللبن في مصر، لم نرى بعد أرض الميعاد حيث إننا لم نخلع. بعد "الإنسان العتيق الفاسد، بحسب شهوات الغرور" {أف٤ :٢٢}، فإننا لم نلبس بعد «صورة السماوي» {١كو ١٥ :٤٩}.
الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس ثيئودورس الناسك العظيم ـ صفحة ٢٨

📖 وفقا لذلك، فليس لنا سبب لكي نفتخر، لكن يجب أن نبكي، صارخين في الصلاة، لمن يمكن أن ينقذنا من العبودية الثقيلة التي لأقسى الفراعنة، ويستطيع أن ينجينا من هذا الاستبداد الفظيع، ويأتي بنا إلى بركات أرض الميعاد، هناك لنجد راحة في مكان الله المقدس، ونثبت عن يمين العَليّ.
📖 لأن هذه الحقائق المباركة، التي هي أعلى من التفكير، لا تُقتنى من خلال أعمالنا، مهما في صلاحها. ولكن تعتمد على رحمة الله التي لا تحد. لذلك دعنا لا نكف عن البكاء ليلاً ونهاراً، تابعين مثال ذاك الذي قال: «تعبت في تنهدي، أعوم في كل ليلة سريري بدموعي أذوب فراشي» {مز ٦ :٦}، لأن "الذين يزرعون بالدموع، يحصدون بالابتهاج" {مز ١٢٦:٥}.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس ثيئودورس الناسك العظيم - صفحة ٢٩



القديس مكسيموس المعترف

📖 **٤٣-** إذا رغب إنسان في شيئاً ما، فهو يبذل كل جهد لكي يقتنيه. ولكن بين كل الأشياء الصالحة والمرغوبة. {الأشياء} الإلهية هي الأفضل، والمرغوبة أكثر بما لا يضاهى. فأي حماسة إذاً، يجب أن نكون عليها لكي نقتني ما هو صالح في طبيعته نفسها ومرغوب.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الأولي - صفحة ٥٤

📖 **٤٧-** يوجد كثير من الناس في العالم مساكين بالروح، ولكن ليس بالطريقة التي يجب أن يكونوا عليها. يوجد كثيرون حزانى، ولكن من أجل خسارة مالية، أو من أجل موت أطفالهم. كثيرون ودعاء، ولكن تجاه الشهوات النجسة. كثيرون جوعي وعطشى، ولكن للاستيلاء على ما هو ليس ملكهم، وللاستفادة بالظلم. كثيرون رحماء، ولكن تجاه أجسادهم، وتجاه الأشياء التي تخدم جسدهم. كثيرون أنقياء القلب، ولكن من أجل البر الذاتي. كثيرون صانعي السلام، ولكن بجعل النفس تخضع للجسد. كثيرون مطرودين ولكن كفاعلي إثم. كثيرون يُشْتَمون، ولكن من أجل خطايا مخجلة.

📖 المطوبون هم فقط هؤلاء الذين يفعلون، أو يعانون من هذه الأشياء لأجل المسيح، وعلى مثاله. لماذا؟ لأن لهم ملكوت السماوات، وسوف يُعاينون الله {ق. م. مت ٥: ٣ - ١٢}. ليس لأنهم يفعلون، أو يُعانون تلك الأشياء فإنهم مطوبون، لأن هؤلاء الذين تكلمنا عليهم سابقاً يفعلون بالمثل، {ولكن} لأنهم يفعلونهم ويعانونهم من أجل المسيح، وعلى مثاله.

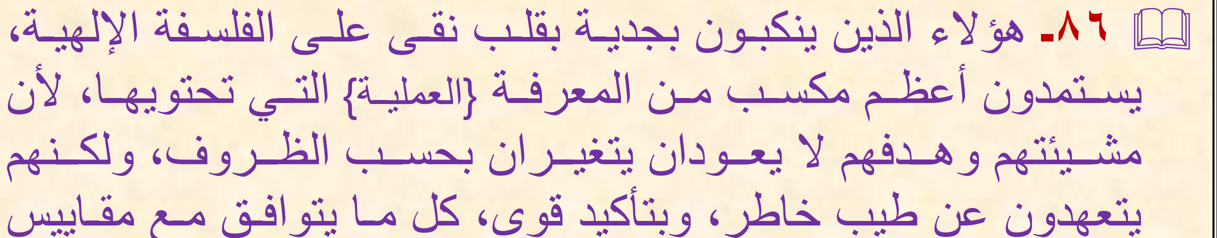
الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثالثة - صفحة ٨٧

📖 ١٧- أحياناً عندما يبحث فلاح عن مكان مناسب لكي ينقل إليه شجرة، فإنه على غير توقع يجد كنزاً، شيء مشابه يمكن أن يحدث للذي يطلب الله، إذا كان متضعاً، وغير متأثر، وإذا كانت نفسه، على غرار مثال المبارك يعقوب {ق.م. تك ٢٧ :١١}، ملساء – من المادية - وليست مشعرة بها، حينئذ يمكن أن ينعم الله عليه بالتأمل في الحكمة الإلهية، حتى ولو لم يتعب لأجلها.

📖 ولكن إذا سأل {الله} الآب، حينئذٍ كيف أتى بهذه المعرفة سريعاً، قائلاً له «ما» هذا الذي وجدته سريعاً يا بني؟ فيجب أن يرد مثلما فعل يعقوب: "إنه ما أنعم به الله على" {تك ٢٧:٢٠ س}.

📖 يجب أن نفهم بوضوح في حالة مثل هذه، إن ما قد وجده هو كنزاً روحياً، لأن الطالب التقى لله هو الفلاح الروحي، الذي ينقل تأملاته في الأشياء المرئية والمحسوسة، كما ولو كانت شجرة، إلى حقل الحقائق العقلية، وبفعله هذا فإنه يجد كنزاً {وهو}، استعلان الحكمة في الأشياء المخلوقة {وذلك} بالنعمة.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الأولي - صفحة ١١٣



📖 ٨٦- هؤلاء الذين ينكبون بجدية بقلب نقى على الفلسفة الإلهية، يستمدون أعظم مكسب من المعرفة {العملية} التي تحتويها، لأن مشيئتهم وهدفهم لا يعودان يتغيران بحسب الظروف، ولكنهم يتعهدون عن طيب خاطر، وبتأكيد قوى، كل ما يتوافق مع مقاييس القداسة.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الأولي - صفحة ١٣٠



{١٩}

كتاب بستان الرهبان

📖 مرة أتي أناس لأمونيوس الأسقف:

📖 يريدون أن يتحكموا بحكمته، وكان الشيخ يجعل نفسه جاهلا. فوافت امرأة ونظرت إليه وقالت: "إن هذا الشيخ موسوس".

📖 فلما سمعها قال لها: "أتعلمين مقدار التعب الذي كابدته في البرية حتى اقتنيت هذا الوسواس؟". قالت: "لا".

📖 قال: "لقد تعبت خمسين سنة لأجله، فهل أفقده من أجلك في هذه الساعة؟" وإذ قال ذلك تركها في القلاية، وترك الأسقفية ومضي.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٣٠

📖 **وقال شيخ أخر:** "الإنسان المنتبه، يستطيع أن يحفظ الإنسان الجواني، فلنجاهد كي نحفظ إنساننا".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٦٨

📖 **قال أنبا بفنوتيوس:**

📖 "كثيرون يجعلون نفوسهم وحدهم مؤمنين باللسان لا بالعمل، ويتظاهرون بأنهم قائمون. و {في حقيقتهم} ليس لهم شيء من الأعمال البتة، ويفتخرون باطلاً بما لم يصلوا إليه".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٨٩

📖 **قال أنبا بيمن:** "علم قلبك ما تقوله بلسانك من العلم".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٨٩

📖 **وقال أيضاً:** "إن كثيرين من الناس، يتكلمون بالأشياء الفاضلة، ولكنهم يفعلون الفعال الدنيئة".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٨٩

📖 **قال شيخ:** "ويح لنفسك قد اعتادت أن تسأل عن كلام الله، وتسمعه، ولا تعمل شيئاً بما تسمعه".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٨٩

📖 **زار إخوة ومعهم علمانيون الأب فلكسيا:**

📖 وطلبوا إليه أن يقول لهم كلمة، أما الشيخ فبقي صامتاً.
📖 فلما طلبوا إليه كثيراً قال لهم: "هل تبتغون أن تسمعوا للكلمة؟".
📖 فأجابوه "نعم أيها الأب".
📖 فقال لهم: "لما كان الأخوة يسألون المشايخ، ويفعلون ما يقال لهم، فإن الله كان يلهم الآباء بما يقولونه، وأما الآن فلأنهم يسألون ولا يفعلون ما يقال لهم، لذلك رفع الله موهبة الكلام عن الشيوخ، إذ لا يجدون ما ينطقون به، لأنه لا يوجد من يعمل. لأن المزمور يقول: "إن الرب أطلع من السماء على بني البشر، فلم يجد من يفهم ... إلخ.
📖 فلما سمع الأخوة هذا الكلام تنهدوا قائلين: صلي علينا أيها الأب".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩٠

📖 قيل عن أخ راهب:

📖 كان يسكن القلالي، هذا أقام عشرين سنة مواظباً على القراءة ليلاً ونهاراً، وذات يوم نهض وباع الكتب، والصحف التي كان قد اقتناها، وأخذ وشارحه، وذهب إلى البرية الداخلية.
📖 فالتقاه أنبا إسحق، وقال له: "إلى أين تمضي يا ولدي؟".
📖 فأجابه الأخ قائلاً: "يا أبي، إن لي عشرين سنة أسمع أقاويل الكتب فقط، والآن أريد أن أبدأ في الابتعاد، عملاً بما سمعته من الكتب".
📖 فقدم الشيخ صلاة من أجله ثم أطلقه.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩٠

📖 قيل إن ثلاثة من الأخوة زاروا شيخاً:

📖 فقال له الأول: "يا معلم، لقد كتبت بنفسي العتيقة والحديثة {العهدين القديم والجديد}". فأجابه الشيخ "لقد ملأت طاقات قلايتك ورقاً".
📖 فقال له الثاني: "إني قد حفظت العتيقة والحديثة في صدري".
📖 فقال له الشيخ: "لقد ملأت الهواء كلاماً".
📖 أما الثالث فقال له: "لقد نبت الحشيش وملأ موقدتي".
📖 فقال له الشيخ "لقد طردت عنك محبة الغرباء".

